

لويس أرنو

# زمن "المُحَلّات" السلطانية

الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب  
ما بين 1860 و 1912م



ترجمة : محمد ناجي بن عمر

زمن "المَحَلّات"  
السلطانية

© أفريقيا الشرق 2002

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

المؤلف - لويس أرنو

ترجمة - محمد ناجي بن عمر

عنوان الكتاب

زمن "السفحلات" السلطانية

الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب

ما بين 1860 و1912م

رقم الإيداع القانوني : 1037/1999

ردمك : 8-229-25-9981

أفريقيا الشرق - المغرب

159 مكرر شجاع يعقوب المنصور - الدار البيضاء

الهاتف : 022 25 95 04 - 022 25 98 13 - فاكس : 022 44 00 80

أفريقيا الشرق - بيروت - لبنان

ص. ب. 3176 - 11

لويس أرنو

# زمن "المُحَلَّات" السلطانية

الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب  
ما بين 1860 و1912م

ترجمة : محمد ناجي بن عمر

أفريقيا الشرق 



# فهرس

9	تقديم
21	الهوامش
23	ولاية مولاي الحسن 1874-1894
25	1- الاستيلاء على فاس ومغامرة غيابة
25	ا - تولية مولاي الحسن الأول
26	ب- رحلة السلطان إلى مكناس
26	ج - أحداث كروان
28	د - أحداث بني مطير
30	2 - أحداث فاس
36	و - أحداث بوعزة الهيري
37	ز - وباء 1874-1875
38	ح - تحركات الحملة بمنطقة تانسيفت والمدن الساحلية.
39	ط - أحداث بني يزناسن 1876
44	الهوامش
45	حملات مختلفة (إلى وادي سوس 1882-1886)
50	مراجعة نظام الجند
51	حملات إلى تادلة
52	حملات إلى سوس
55	استقبال المتوكي للسلطان
57	أحداث آيت سخمان
	آخر الحملات
59	(وفاة مولاي الحسن 6 يونيو 1894)

73	الهوامش
75	ولاية مولاي عبد العزيز من 8 يونيو إلى 19 غشت 24 نونبر 1908
95	الهوامش
97	آخر محلات الوصي على الملك - اختفاء عائلة باحماد - مظاهر كفاح المخزن.
118	الهوامش
121	ثورة بوحمارة
123	أ - نشوء وتطور حركة بوحمارة)
132	ب - أطوار المواجهات الأولى :
142	محلة المنبهي الكبرى
153	ماذا أصبح بوحمارة؟ مطارد، متابع. إنها أيام قد زالت وانمحت
159	الهوامش
161	الريسولي: "أحد ملوك الجبال"
169	تقدم تحركات مطالب حقيقي بالعرش : مولاي عبد الحفيظ
189	ولاية مولاي عبد الحفيظ (من 19 غشت 24 1908 إلى 30 مارس 1912)
191	المواجهات الحربية الأولى ضد آيت يوسي ويني مطير
195	نهاية مأساوية لغامرة بوحمارة
207	مصاعب جديدة للمخزن الحفيظي
215	آخر أحداث مغرب ما قبل الحماية
220	الهوامش

**ولاية سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859-1873)**

**الجيش المغربي حوالي 1870**





## تقديم

تختلف مصادر تاريخ المغرب باختلاف مواردها، لكنها تتكامل جميعها من أجل كتابة تاريخ يصمد أمام كثرة الطروحات والمساءلات النظرية والمعرفية.

وتأتي الرواية الشفوية أحيانا في صدارة هذه المصادر المكتوبة في تاريخ المغرب. وتأتي ترجمة هذا الكتاب «زمن المحلات» في إطار مشروع مع ثلة من الباحثين لإعادة بعث هذه الروايات الشفوية لما لها من أهمية ليس لأنها تحمل أحيين كثيرة أخبارا ومستجدات لا توجد في المصادر المكتوبة، بل لأنها تشكل مادة تكميلية في كتابة تاريخ المغرب خاصة منه المعاصر.

لكن تجدر الإشارة إلى أن هذه الروايات تتحكم فيها أحيين كثيرة أهواء الراوي ومصالحه، ووسطه، ونفوذه وطموحه، وأهدافه. لهذا نرى ضرورة إخضاع هذه الروايات إلى منهج علمي صارم ينقي صادقها من كاذبها.

أما هذه الرواية الشفوية التي أقدمنا على ترجمتها فقد توافرت فيها شروط موضوعية أكسبتها وثوقية أكبر أهمها :

— كون الراوي الحاج سالم العبيدي (وأحيانا أخرى الملازم بن سديرة) مواكب ومساهم في الأحداث التي رواها بدقة متناهية.

— كونه (أي الراوي) يتميز بموضوعية في الحديث تظهر من خلال قوله عندما لا يكون متيقنا من شيء (لا أدري، نسيت. . .).

— كون الكاتب لويس أرنو كان حريصا على تدوين كل ما يقوله الحاج سالم على هامشيته أحيانا.

— كون هذه الرواية وصفت أحداثا هامة عاشها المغرب ما بين 1860 و 1912 بطريقة لا نكاد نجد لها في كثير من المصادر المكتوبة عن هذه المرحلة.

— كون الحاج سالم العبيدي كان جنديا بخاريا، فإنه أعطى نظرة مفصلة عن طبيعة تكوين الجيش المغربي المعاصر.

— كود هذه الرواية يعود تاريخ حكيها إلى الثلاثينيات من هذا القرن وهو زمن لازال فيه صدى تلك الأحداث حاضرا في عقول وقلوب من واكبها وحضرها.

رغم هذا كله لا ندعي أن كل ما ورد في هذه الرواية المفصلة متفق على صحته، لأن الأمر يتعلق باسترجاع واستذكار قد تحفه كثير من مشاكل النسيان أو الإهمال أو . . . . وهذا إشكال نظري أترك البث فيه للمختصين، أما أنا فلست سوى باحث أغوتني هذه الرواية فترجمتها.

«شرح الحاح سلم العبيدي في روايته وأسلوبه الخاص». جلس مرتاحا على كرسي فسي مطرر. وأمام كأس شاي منعنع :

أتذكر في الوقت الذي أصبحت مميزا بعض الشيء، أنه كان يحكم هذه البلاد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن<sup>(1)</sup>، إلا أن أحداثا هامة عرفها هذا العهد قد تغرب عن ذهني لأنها لم تكن راسخة بالشكل الكافي.

لقد ولدت في دار ولد الحاح العياشي بعبدة، وكان أبي بخريا<sup>(2)</sup> عبدا للمولى سليمان. وكنت عبدا للقائد العياشي أقدم صحته من عدة إلى المشور ثلاث مرات سويا بمناسبة الأعباد<sup>(3)</sup> وأتذكر أن سيدي محمد كان طويل القامة، قويا، ذا صدر عريض وقوي لكن رحلاه كانت نحيفتين. وقد كان من عاداته الاحتفاظ بشعر طويل موج على الطريقة البربرية. كن يمتطي ظهر بغل العارف المثقف وصهوة فرس المحارب. فعندما كان خفيفة لأبيه على مراكش، قام بعدة حملات عسكرية، فهو الذي كان قائد القوات المغربية لإمداد الشريف عبد القادر بلعون في مواجهة الفرنسيين بواد إسلي (14 غشت 1844)، حيث هربا متراجعين أمام قصف مدافعهم. وهو الذي قاد أيضا المغاربة لصدفاح عن البلاد بعد أن لجأ إليها الجزائري الماضل (1847).

وقد كان حاح قصره سي موسى بن حماد، والد حماد المشهور الذي سيكون بدوره حاحا لاسه مولاي الحسن. فقد كن حاحه من عائلة قديمة من العبيد الزوج وكان وريره هو سي الطيب اليميني الملقب ببوعشرين. وكان قائد مشوره الجيلالي بن حمو، وكان خليفة هذا الأخير أو ملارمه أحد البخاريين السود يدعى الحاح محمد بن يعيش جد الحاحب الملكي الحالي الذي كن -كما تعلم- قائد المشور في عهد المولى يوسف.

وقد تميزت مدة حكمه بالحرب ضد إسباني (22 نونر 1859) حيث حاصر الريفيون وحبالة سبته وطنجة. وأحدثوا عدة اضطرابات بها مما جعل الأسان يخرجون لمحاربتهم. وقد كن أصححت معسكرين بمعسكر عير الدلية، ولا يتعدى عددهم خمسة عشر ألف رجل في ذلك الطامبون وعير الطاميين، وعشرات المدافع يشعلها عص الفارين من

أحدية، وألف فارس فقط مكونين الحرس الخاص لمولاي العباس أخ السلطان وقائد النظاميين. ورغم عدد المغاربة : فقد انهزمنا أمام الطلقات السريعة للبنادق الإسبانية. ولا أتحدث لك عن هذه الحرب إلا عن سماع، لأنني لم أولد إلا بعد انتهاء هذه الحرب<sup>(4)</sup>

وقد استه السلطان بعد هذه الهزيمة إلى ضعف وقلة أفواج جيشه، وإلى تنظيم وتخطيط الحشوش المسيحية، ففكر في إمداد جيشه بجميع التعزيزات من أجل ترميم وخلق جيش قوي يحمل هذا الاسم.

وهكذا فتح مخازنه، ووزع الأموال والأسلحة والألبسة، وأرسل طلبات للحصول على لبندق و التموينات من إنجلترا كما نظم مصلحة خاصة بالخبايا مركزا رجالاتها في الميقات والمدن الكبرى من أجل الإخبار بكل ما يروح في البلاد. وهكذا أصبح الجيش والمخزن يحتلان مكانة وأهمية أكبر بالنسبة للعرش. وسأحاول أن أصف لك وضعيتها الجيدة سنة 1285 هـ/ 1868.

لقد كان الرجال الذين يحاربون ويرافقون السلطان في الحملات ضد القبائل الفوضوية ثلاثة أنواع : فقد كان هناك النظاميون، و الجنود الرسميون (العسكر)، ثم رجال المخزن أو المسحرين الذين كانوا لا يحملون البنادق والبارود إلا عندما يخرج السلطان إلى الفراك<sup>(5)</sup>، ثم في الأخير يأتي مجندو القبائل العرضيون، أعدادهم غير قارة، ولا يلتحقون بصفوف الجيش إلا في الحالات والدعوات الخاصة.

إن « العسكر » الذي تكون مجموعاته ما يسمى بالكيش، يكون دائما في حالة استعداد للمعركة. ويقطن رجاله في القصبات، مجهزين وموئنين من الخريشة. ويأتي هؤلاء الحشود في الأصل من القبائل الخزنية التي يعهد لها بمجموعة من الامتيازات منها إمداد السلطان بالوحدات العسكرية التي يكون عددها محددا أو متفاوتا حسب أهمية القبيلة. وهذه القبائل هي :

1. الوداية : المكونة من ثلاث مجموعات، كما تعلم، الأولى قرب وادي سبو<sup>(6)</sup>، الثانية بقصبة الرباط، والثالثة بحوز مراکش.

2. الشراكة : من أصل عربي أتوا من المشرق، وأكبر فخذة فيهم هم «أولاد جامع الموجودين في الجهة الشمالية لفاس، والمكونين لأكثر عدد من العسكر. حيث يفوق عددهم جميع باقي لشراكة، حتى إنه أصبحنا نحن أصحاب المخزن، لا نفرق بين أولاد جامع والشراكة.

3 «الكيش» تنتمي للشراردة المحسوبة على أولاد دليم الشبانات وعدة قبائل أخرى.

4 وفي الأخير يأتي البخاريون الذين أنتمي إليهم والذين يقضون حياتهم في الجندي

٦ كم يوحّد أبص كش صغير مكوّن من رجل سوس (أهل سوس) المستقرين  
سهن سبس قرب صفرو لكنه لا أذكر مؤسس هذا الجيش هل هو سيدي محمد أم  
مولاي الحسن<sup>7</sup>

ولا يجب أن نطرح بأن فذل المحرّ هده التي شرت إليها سبقة تعت 100 أو 200 رحل  
سوس من أهل تكوير العسكر. ذلك أمر كان وارداً في البداية. أما مع توالي الأيام فقد  
أصبحت الحندية حرفه. وأصبح أبناء الخوّد يشكّون خلفاً لأنهم من أجل الحفاظ على  
التوارن. فقد كن حوّدأد عن حد. حيث كانت العتة إذا كن لها أولاد ذكور. ترسل  
أحدهم إلى العسكر والأخر إلى فرس البخاريين، والثالث إلى المخزن في هيئة معينة. وكان  
السلطان لا يندأ إلى طلب الخوّد من القنائل الخاضعة إلا في الحالات الخاصة. حيث يأمر  
بعث العديد من الخوّد إلى فاس أو مراكش.

كما كن هناك مورد آخر للحصول على جنود للعسكر المخزني : فقد كن العبيد  
يشكّون مجموعتين الأولى : تسمى «صبور عسكر العيد» حيث تصم العبيد الذين كانوا  
يستحقّون السحن ثم الصعاليث منهم. المسجلين بصفة رسمية. الثانية البخاريين ذوي  
السيرة القبيحة. (لكن هؤلاء لأحيرين يتم الاحتفاظ بهم لفترات غير محدّدة لا يفقدون  
حقهم بصفتهم أحراراً) خاصة العيد العاطلين الذين يزعمون القصر. وكان من عادة القواد  
لأغنياء للفتش الكرى : دكلة. عبدة. متوكة. كلاوة إهداء عدد منهم من العبيد والخدم  
إلى لقصر في لأعد الكرى ولقد أحصيتهم بلدت في عص أبم «لهدية»<sup>8</sup> فقد بعث  
المؤكّي يوم. إلى مولاي الحسن مجموعة من العبيد تقدر ب 200 فرد.

وقد كن لفنّد لعدم للجيش هو محمد الشركي أم لذي كن يحكم كل خيلة  
وفرسان المحلة. و لفرسان المظميين وغيرهم فهو قائد الرحي من أصل تركي. وسيحتفظ  
بهذا المنصب حتى عهد مولاي الحسن.

في الأيام العادية كنت تورع بعض التجريدات من الجيش النظامي في الميناءات  
والمدن التي لا يقصتها السلطان مثل : الرباط، مكس، تزة حيث ركز سيدي محمد  
«محاربة» كبوا من قد مى حنود أبيه أصبحوا محرطين في سلك الشرطة ورحل الدرك  
وقد كان مجموع العسكر الملازم لسلطان في حلّه وترحاله سواء إلى فاس و مراكش  
يضم

— فلقا من 1800 إلى 2000 من اشدة تحت قيادة حاج عزور الفاسي الذي كان ممسكا  
بقصة بوحنود. وقصبة فيلالة بدس. وكانت له في مراكش قصة كبيرة قرب باب الملاح  
لم يبق لها وحنود

— فيلق من الفرسان البخاريين يتراوح عددهم ما بين 500 و 1000 تحت قيادة الحاج عبد القادر البخاري المستقر في فاس بقصبة الشراة، كما تضم القصبة نفسها جنود القائد المشهور ' الحاج سو المتراوح عددهم ما بين 1200 و 1500 من المشاة و 500 فارس .

أما مختلف أبراج فاس (البسيون) أي البرج الشمالي، و البرج الجنوبي، و برج سيدي بونافع و برج الشيخ احمد فقد كانت تحت قيادة فيلق مكون من 500 راجل تحت قيادة ابن المختار . و سيركز مولاي الحسن معملا للسلاح (مكنة) قرب القصر في المشور القديم بين باب لسكمه و باب دكاكين . تحت مراقبة معسكر طابور العبيد (نحو 400 رجل) و قيادة القائد صالح بن الحايط .

و قد كان قائد الرحي، رئيس الفيلق يتقاضى 250 فرنك يوميا إضافة إلى عدة قروش من راتب بعض الجنود الذين لا توجد منهم إلا أسماء على الورق، ومن أسلحة متلفة، وهدايا مختلفة مما يجعلني أقول دون أدنى شك أن راتب قائد الرحي يساوي الآن 30 إلى 50 فرنك وكان راتب قائد المائة (قائد مجموعة من الجنود مكونة من 100 جندي ) يساوي 2 إلى 4 قروش يوميا في حين كان راتب الجندي العادي فلسا واحدا في اليوم، وعليه تدبر شؤونه في باقي مصاريف غذائه حيث يتلقى الإمدادات من عائلته أو قبيلته أو أن يسرق من هنا وهناك ولا يعيش في أغلب الأحيان إلا على الحركات <sup>(10)</sup> وقد كانت تعطاه أسلحته : بوشفرة (بندقية من الحجارة ) استبدل في مرحلة لاحقة بالبندقية المدنة، والبندقية البلجيكية، ثم الخربة (نافة) يغمدها أو دونه، وقد كان الجنود كلهم تقريبا يحملون خنجرا بجانب أحزمتهم، حيث كانوا يشترون هذا السلاح المميز لهم باعتبارهم رجال بارود، ولم تكن هناك بدلة عسكرية حقيقية بالمعنى الذي يعطيه « الروميون <sup>(11)</sup> » الغريون فقد كان البعض منهم يلبس اللاغي، وفي حالة المشي للحروب وكان الكل يمشي حافي القدمين باستثناء ذوي الرتب العالية المقدمين (الرقباء : جمع رقيب والخلفاء (أي الملازمين ) وكانت البدلة الأكثر ارتداء : سروالا فضفاضا من كتان / ثوب أزرق، يعطيه المخزن للجنود، مع معطف في لون الراية : أخضر، أزرق، إلى غير ذلك . . وقفطانا مقطوعا إلى المنكين.

ولم يكن باستطاعته الجندي أن يعيش في راحة تامة، حيث تعدد الحملات والحملات المتعاقبة، إذ يورع المخزن الرصاص المستدير الأصفر عن عيار البندقية على الجنود وقد كان عدد الرصاصات يتراوح ما بين الخمس والست وكان البارود يباع بالتقسيط في علب من ورق محزومة، يحتفظ بها المحارب في قرايه إذا توفر له أو في وعاء من خشب.

ورغم مجهودات القادة وجود محاربين مهرة في الجيش فإن التمارين / المناورات العسكرية لم تكن تسير بشكل منظم، بسبب التغيرات المستمرة للجنود لأسباب مختلفة وفي الحقيقة فقد كان الجنود يمتنون حرفا أخرى من أجل العيش، وإعالة عائلتهم خاصة

أن عددا كبيرا منهم كن متزوحا، بل كان بعضهم يبيع سلاحه ويتحلى عن سدك الجندية. لكن عدة م محدهم في الصموف منتظمين حين كل انطلاقا ببندقية الله وحده يعلم مصدرها.

والى جانب العسكر كن هناك «المسحرين» رجال المخزن، الذين كنوا كلهم تقريبا. في المحلات على صهوات الحيد، هندامهم مغربي عادي، قفطان ملون، وفرجية غالبا ما تكون رقيقة وشعافة، و سلهم غنيط، و شاشية حمراء مقرنة مدينة في الأخير « ببلوطة» من حرير سوداء. وكان لقوادهم نفس الهدام، لكن كنوا يتميزون عنهم بإدارة عمامة بيضاء غبيظة حول الشاشية

وقد كن لهم نفس سلاح العسكر أحدثت هن، عن الرجال ذوي الخاجر (الكميات) وليس عن الوزراء والكتاب المثقفين : رجال الشكارا (محفوظة من جلد توضع على الحزام مشدودة بحل من جلد أو غيره إلى العنق) فهؤلاء، لم تكن لهم علاقة بالحروب حيث كنوا لا يحملون إلا أقلامهم القصية الرقيقة الرأس<sup>(12)</sup>

وكان هؤلاء المسحرين يأتون من نفس القبائل المخزنية، حيث يتوارثون هذه المهمة أبا عن جد. فقد كنوا يجتمعون متأهين للانطلاق في حركات تحت قيادة قائد الرحي مكوين مجموعة مهمة بعض الشيء (1500 من البحريين، و 500 من الوداية و 500 من الشراكا، و 400 من أهل سوس).

وقد كان هؤلاء المسحرين، خلال الأيام العادية، موزعين في مختلف أجنحة القصر : مروضي حيول، سعاة، منظمي إسطول الخيول والبغل، مشيدي حيام، أصحاب سلاح، معدي أسرة، معدي شبي، مهثي ماء نظافة السلطان. . . وعندما تكون هناك حركة ما فإنهم يأخذون أسلحتهم ويصبحون السلطان، حيث ينون من خيامهم دائرة حول الفراك، مكوين بذلك حراما آمنا قويا. أما في المدن الكرى فقد كانوا يعيشون مع عائلتهم في سويل "مجتمعة أو في دور أو منازر مجورة لدار المخزن بهم في سدك السلطان، وأبنؤهم في خدمة المخزن، سواء في سلك الحندية أو في أحد أروقة المسحرين، أو سواء اشتغلت فتياهم لدا العائلات المخزنية أو داخل القصر.

لكن سيدي محمد الذي كن يريد جيشا كثيرا وقويا لن يتأخر في ملاحظة أن عدد المسحرين غير كاف، فقد أحصاهم، يوما ولم يجد عددهم يتعدى الألف فقط وكان يذهب نصفهم في حين يبقى لنصف الآخر قرا للحراسة أو لعمل داخل دار المخزن في عيب السلطان. ولهذا فكر في حق قبائل تسمى «الذبية» مهمتها تزويده بالحنود فارس مسلح من كل عانة، وكانت تسمى حركات هذه القبائل : النوايب. وكانت تأخذ مكانها سجون المسحرين حول الفراك و يتشككون من فسائل عبدة، و دكالة، و الرحامنة.



والمنابهة لكن هؤلاء الوافدين الجدد لم يكونوا محط رضى المسخرين الرسميين الذين يندھون بشيئيتهم ويعتبرون أنفسهم عمدة السلطة في البلاد، أليسوا تقريبا من درجة القواد؟ أليس منهم يختار السلطان موظفيه والحاجب الملكي وقائد المشور؟ لهذا كانوا يتجاهلون فئة النوايب إلا أنه عندما تتحدث البنادق، تكون الحاجة إلى النوايب أكثر حيث يوضعون في الأماكن الأكثر اشتغالا في الحرب. وأذكر أن هؤلاء الأقوياء كانوا أكثر شجاعة من المسخرين وقد كان أول من لبي نداء السلطان من هذه القبائل، الرحامنة، الرماة الأقوياء ولأغنياء، فقد كانوا دائما في حرب بضواحي مراكش وكان منهم الفرسان والخيول القوية دائما محيطة بالسلطان. وبعد مدة لاحقة سوف تعمل كل قبائل الحوز : عبدة والمنابهة واحمر و حربيل ودكالة<sup>(14)</sup> على إرسال أنصاف المسخرين إلى قاعدة «المخازنية» وقد كانت هذه الطريقة وسيلة جيدة لتقوية المخزن واستتباب السلم في جنوب البلاد. هذا إذن كل ما يتعلق بما هو نظامي في العسكر والمسخرين.

أما بالنسبة للمدفعية : فقد كان هناك طابور مكون من 400 مدفعي، والجنود المسمى طابور الطليعية أو المهندس مكلف بالثماني أو العشر مدافع التي كانت تتبع المحلة. وقد كانت هذه مدافع المختلفة الأنواع تحمل بشكل مسهم على ظهر الجمال كما كانت هناك مدافع صغيرة خاصة بالجبل تملأ من أفواهاها. لكن المغاربة لم يكن منهم ميل وإتقاد لتشغيل هذه المدافع، حيث كان يتولى تشغيلها بدلهم بعض المرتدئين العسكريين الأسبان. ولم تكن نعد من المعارية سوى «معلما» واحدا يدعى إسماعيل في تجريدة المدفعيين في الرباط يستدعى الرماية والإصلاحات<sup>(15)</sup>.

وقد كان عدد هؤلاء المهندسين أو الجنود المهرة حوالي 30 فردا محسوبين على طابور المدفعية، وتتحدد مهمتهم في توضيح الطريق أمام المحلة حيث كان عليهم معرفة جميع لطرق والممرات، والمعابر والمسالك، وعيون المياه، وتحديد أماكن التمسك، وكان الجيش يسير بتوقيت مضبوط، حيث كان هناك موظف خاص (الموقت) مهمته ضبط التوقيت بسرعة يحملها في المستودع.

وكان على هؤلاء المهندسين أيضا تخطيط تصاميم الجهات التي مستمر بها المحلة. والتعرف على الأحوال، واستباق الطابور من أجل معرفة حالة الأودية والتغيرات التي لحقت المسالك والممرات. وكانوا لا يشاركون في الحروب، إلا أن هذا لا ينفي أنهم دائما كانوا مسلحين مثل باقي الجنود الآخرين.

وكانت فئة الخيالة لا تتميز عن باقي مكونات العسكر التي وصفتها. فهي الطريق (أي طريق لمحمة) كان المشاة والخيالة يسيران معا متبادلين الإعانة، وفي الحالات الخاصة أو القيام ببعض العمليات المعددة، يجمع كل الخيالة (1500 إلى 2000 نظامي) ويضاف إليهم فرسان القبط التي سأحدثك عنها بعد قليل، تحت قيادة وتعليمات قائد الرحى الغوجة.

أم البحرية العسكرية فلم تكن موجودة كما هو الشأن عندكم، فقد كانت هناك بعض المدفوعات فقط، وفرقاطة أو فرقاطتين بالعرائش لا تفيد في شيء خاصة أنه لم يكن لها راسية وبحارين مستعدين لقيادتها.

كما لم تكن هناك أيضا مصالح طبية في عهد سيدي محمد، ولم نعد أطباء في المحنة إلا زمن مولاي الحسن مع قدوم الأطباء العربسيين الأوائل Inares Jaffary البدان كن يحضيان باحترام وحب كبيرين. كما كان هناك أيضا علم يدعى مولاي أحمد الزواق يعتني بفئة المهندسين ويقدم علاجاته أثناء الحملات، وأثناء التوقفت كان الخنود يدجأون إلى لمدواين التقليديين.

هكذا كانت تركيبة الجيش المغربي في هذه الفترة إلا أنه يجب أن نضيف إلى هذه المجموعات النظامية، الوحدات العسكرية للحركة. فعندما يقرر السلطان بعث حملة ضد هذه القبيلة أو تلك يعين حركة، أو حين يريد الذهاب من فاس إلى مراكش. سكناه الرسميين. مروراً بالرباط، فإنه يكون واجب على قواد القبائل الخاضعة للمشعرين من قبل بعث وحدات عسكرية مجسوبة من الحركة لتأمين وتقوية طريق المخزن ويكون القائد عادة هو الذي يتولى قيادة رجال قبيلة المتراوحة أعدادهم حسب أهمية القبيلة. وهكذا كان يصل عدد دكلة إلى 2000 رجل وكانت عبدة تبعث 5000 رجل، واحمر 250 والشبظمة 500 وحاحا 2000 وزمران 500، والرحامنة 2000 والشاوية 3000 وبني مسكين 300 والشراردة، وكان السلطان لا يرغب إلا في فارس واحد لكل 50 كانون (منزل). لكن كنا نبعث ما كان المستطاع وكان بعض الناس يستبدلون أو يقدمون الأموال لبقواد من أجل إعفائهم وكان بعض المشاة يتفرقون منذ المراحل الأولى للحركة، راجعين إلى أراضيهم وقطعناهم. لقد كانوا في حقيقة الأمر جماعة من المحاربين المترددين الذين يوضعون في الحراسة الأممية، وعلى جنوب المحنة وكان المخزن لا يفكر كثيرا في مؤونة وصيانة مجموعات الحركة. لأن القبيلة هي التي كانت تدفع المال الكافي لكل فرد / جندي طول مدة الجندية. حيث كانت كل فرقة تصرف الأموال على عدد الفرسان والخيول التي بعثت بها، وقد كان القائد هو خزن وممون مجموعته دون أدنى مراقبة، وبما أن الخنود هم المعول عليهم في قوة المخزن، فإنهم يكونون هم الساقون إلى الاستمادة من خدمات القبائل، وكان القائد أحيى يعطي منذ الإطلاقة مصاريف كل الطريق لكن النتيجة تكون دائما نفسها حيث تنهب الأموال منذ المراحل الأولى. وحول معسكر السلطان كانت تتجمع القذائل يمين ويسرا حيث تضرب حيامها على بعد من هذا الأخير.

وقد كان الفراغ يصمم خيام السلطان المزينة في أعلاها بالكرات الذهبية، والمحاطة بحيام الورراء والكتب والموسيقين. وكنت خيام المسخرين تشكر حول هذه النقطة لوسطى مربعا مغلقا صعب الاختراق، بداخه حيول السلطان وبغل الموكب والمدافع.

وليس بعيدا عن هذا المكان، يتجمع الجنود داخل خيامهم الجلدية حول حيمة العلاف أو وزير الحرب، كما يوجد طابور عسكر العبيد أقرب ما يكون إلى المعسكر السلطاني وسأقول لك السبب في ذلك : فقد كان السلطان يصحب معه أثناء الحملات عددا من النساء ثلاثين أو أربعين يوجد منهن الخدم والجواري وعشرات الخصيان. إنها داره المتحركة -الأمثلة والحواضر على ظهور البغال التي يحرسها هؤلاء العبيد السود والحال أن العبيد الزوج وحدهم عادة هم الذين لهم الحق في رؤية النساء غير المحتجبات. وعندما يكون هناك إعصار أو رياح شرقية قوية تتحرك من جرائها جوانب الفراگ، تستقدم وبسرعة أفواج العبيد حيث يقفون معلقين على حبال الفراگ طول مدة هذا الطقس المضطرب، وإذا سقط أو رفع الفراگ لم يكن من اللائق لغير المسخرين البيض رؤية مقر إقامة السلطان.

ولهذا السبب بالضبط كان طابور عسكر العبيد المرافق دائما لبغال نساء القصر والخصيان وأمتعة السلطان لا يطلع بأي دور عسكري مهم، وعندما تريد امرأة أو أحد الخصيان التوقف في الطريق لقضاء الحاجة فإن المقدم يعمل على بناء خيمة صغيرة من الكتان تطوى من بعد بواسطة عبيدين مكلفين. وكانت صفات العبيد ناقصة فأحيانا عندما يهجم على الموكب الذي يحرسون ولا توجد له الأموال ولا نساء، فإن رعيا كبيرا يمتلكهم.

وعدة ما يكون بين معسكر الجنود والمسخرين سوق متنقل تعرض فيه كل السلع : واللحوم والتوابل وقطع الثوب والشموع والسكر والشاي وبلغ اليهود، بل حتى النساء اللواتي يخفن ويرفهن على الجنود بأغانيهن ورقصاتهن.

ولم يكن هناك نظام معين لسير الحملات، فعادة - عند عبور أراضي القبائل الشائرة تتكف وحدات القبائل بأخذ القيادة من أجل إجلاء كل المخاطر على جوانب الحملة. لكن عندما يخاف من المفاجآت من الخلف خاصة من القبائل البربرية، تعطى الأوامر لهذه الوحدات بالرجوع إلى الخلف وعندما تكون هناك حرب ما فإنهم يكونون دائما في الصفوف الأمامية وبما أنهم قد تعودوا على ذلك فإنه ليس ضروريا أن يتدخل النظاميون لأعانتهم والحسم في الصراع وقد كانت تسير الحملة تحت حمايتهم في السهول حتى إنك تخالها بحرا بشريا أمواجه تتلاطم تباعا مشاة وفرسانا. وعندما تمر هذه الأمواج يطهر السلطان في الوسط خلف خط حاشيته تحت مضلته وموسيقين الذين يغنون خلال الثلاث ساعات من الرحلة مقدما بذلك المسخرين الشراكة و الوداية والقواد والضباط، أما أسلحته فكانت قريبة منه عند من هو مكلف بذلك. وخلفه يوجد الحاجب والوزراء والكتاب فوق البغال، والرمة بمدافعهم وأفواج باقي المسخرين مشكلين بذلك حزاما آمنا للموكب، وتبع لطبيعة المناطق والقبائل المعبورة فإنه يحاط أيضا بطابور الزوج وما يحرسون سواء في مقدمة الأفواج أم خلفها.

أما فيما يتعلق بالأسلحة والتمويكات، فإن سيدي محمد كان يستقدمها من إنجلترا، لكن لم يكن بالإمكان لكل الجنود حصول عليها، خاصة رجال وحدات القبائل الذين كانوا يأتون بأسلحة قديمة متوارثة أب عن جد من مسلح فاس، تطوان، مكناس حيث ظلوا متوفرين دائما على بنادق من الحجارة تملأ من الأنبوب، وحتى لا تزيد الرصاصات من المستدبرة من مكائنها فإنها كانت تلفف بشيء من الصوف في قطعة من برونس أو في حشو نحلة قصيرة تسمى اللسفة. في حين يأتي الباقي من الحممة بدون أسلحة أخرى غير الخنجر أو المطرقة. وكان بعض الفرسان يحتفظون برماحهم التي قد تفيدهم في الهجوم على الأعداء. ولم يكن سيدي محمد مهتما كثيرا بمسألة التسليح حيث لم يقيم بأي مجهود لتطوير هذا القطاع في حين أن ابنه مولاي لحسن هو الذي عمل على بناء معمل للأسلحة بفاس، من أجل صنع المدافع والبنادق والعتاد (1286) وكان يسمى المعمل «المكيكة» وقد بني المشور القديم في باب لسكمة، وباب الدكاكن حيث تشتغل عدة آلات تحت إدارة لإيطاليين الذين جاؤوا لهذا الغرض<sup>17</sup>. فكان يحرق من هذا المعمل الرصاص، والمدافع والسادق والقنود حيث كانت تسك بها أيضا القنود التي تلعب دورا حاسما في الحرب. وقد كنت دائما لأشياء الحديدية تواجه عراقييل تحول دون انتشارها في المغرب فمن أجل صنع سلاح واحد كان لابد من مكينات / مصانع كثيرة. فإلى حدود عهد مولاي عبد العزيز كان البارود يعطى للجنود في علب من الورق ولا زالت هناك بنادق قديمة لا نريد إتلافها، كما كانت هناك أعدادا مهمة من البنادق العادية والخفيفة العصرية، Gras، Martintteury، Winchester، Mauser ورعت بشكل عشوائي وقد كان هذا التنوع في الأسلحة يفرص بالمقابل تنوعا في العدد وبما أن الأعداء الخاصة كانت نقصة فإن البعض فضل الرجوع إلى سنادق آتائه التي كانت تطلق طلقات لا بأس بها، لكن بمعدل طلقة واحدة من عشر طلقات من بندقكم.

أما فيما يخص تغذية هذا العدد الهائل من الرجال، فلم يكن هناك مورد قار للمؤونة أو مخزون فعندما كنا نغير إحدى الطائفة فإنه كان عليها تقديم المؤونة<sup>(17)</sup> أما إذا عرنا منطقة عدو أو نثر في كل واحد من الجنود يصرف نحو قطعان الأغنام والدجاج ومخازن الحبوب حيث كنا نجمع كل ما نجد أمنا. وقد كانت محلة السلطان تمر بأراضي القبائل الخاصة أحيانا لأنها كانت تحمل المخزن على كواهلها المتعبة، وقد كانوا يمدون المخزن إضافة إلى ذلك إما بالعسكر أو المسحرين، أو القنود أو وحدات الجنود غير النظامية وكان عليهم أيضا تغذية عدة آلاف من الرجال طول مدة إقامتهم على ترابهم، مما جعل القبائل البعيدة تفضل الانشقاق وتكوين بلاد السبية، حيث تحدث حروب بين الفينة والأخرى مما يخلف مشاكل مستعصية، تجنب الحسائر لطرف المنهزم، لكنها أهون وأقل كلفة من صرائب المخزن.

ومن أجل إبهاء قصة سيدي محمد سأضيف بأنه كانت هناك ثورات كبرى قديمة في هذه الحقبة، وكان الناس مسرورين وسعداء فقد كان القمح متوفراً في المخازن حتى الفئران كنت تأكله ولا تلجأ إلى قضم جلود سروج الخيل. وأذكر أنه في سنة (1285 هـ / 1867 م) حبر ستصاف سيدي محمد سلطانكم (نابليون 3) بعث بعض المغاربة برئاسة أحد وجهاء فوس الحرح محمد بن العربي القباج، إلى معرض بقصر كريسطل بسروج مطرزة وأحزمة فاسية مزينة بالذهب، وزرابي جميلة جداً.

ورغم ذلك فإنه كانت تبعث حملات اعتيادية لزموار والرحامنة المستعدين للتمرد والعصيان في كل وقت، وكذلك إلى قبائل بني موسى بتادلة حيث كان يؤتى منها بخمسين قتيل وسبعين سجين.

وكن السلطان لا يغادر القصر إلا قليلاً، تاركاً لأبنائه<sup>(18)</sup> مهمة تسيير هذه العمديات الصغيرة، مرتاحاً بصفة خاصة لجنوب البلاد تحت حكم ابنه المفضل وخليفته علي مراكش مولاي الحسن.

وبعد مدة وجيزة من بعث الحملات إلى قبائل تادلة (1873 م) توفي فجأة سيدي محمد في قصره بمراكش. ولم يصدق الناس هذه الوفاة المفاجئة لهذا الرجل العالم المحبوب وقالوا بأنه قد شرب حريرة سببت له في إسهال حاد ولعل المقصود بذلك عدهم، أنه مات مسموماً ولكن ذلك أمر لا يعلمه إلا الله وحده.

## الهوامش

1. حكم مولاي سليمان في 1792 و 1822، ومولاي عبد الرحمان في 1822 و 1869
2. التحريين جمع بحري، وهم: حار، ينمو، إلى طائفة البحريين التي أنشأها مولاي إسماعيل سنة 1677م ويكنون ميثساب، بحه سوداء، تُسمَّب على كتاب صحيح بحري ثم حُملت هذه الاسم بعد ذلك
3. بعدو لأقران الأعياد الدينية الثلاثة: عيد الفصح، عيد لأصْحى، عيد مولد نسوي
4. كـ مجموع لأقران 35000، حل، في ذلك 74 مدفع، وكانت أهم مدافع Los Castillejos حيث انصرف لإسقاط محصن بحري 100 قبيل و 500 حريق (3 يناير 1860) نظوب حيث كُت خسائر تعددت 66 قتيل و 1097 حريق وقد كُت نفادته لصبح بواد ابرس في 26 ابرس 1860م
5. نظام من نظام عرب فيه حديم السطاب في مجموعته خاصة
6. يستعمل على صفوف و د مكس رفة د سبو
7. قد شكَّن أهل سوس منذ عديم خاصة في عهد سعيدي (نوة عرب بي معقل) كجمع و حد، و آدمجهم لمولي إسماعيل في بؤدية مع 11 مكفرة في 19 و أعيد نكوبهم في عهد مولاي حسن في 19 مع مهاجري سوس، و فيلات و جماعة صغيرة من حديه و فريق أولاد ابرس اشترده المستعربين في شهر سايس قرب صفرو
8. حفلات بولاء و لهدى التي تعقد لأعياد اندسة ثلاثة
9. مراكز الاتصال لخصالات عسكرية
10. حفلات عسكرية من حل حصص ليعتقل لشارة
11. عقد كان يقصو على نصري
12. يسميخ لأفلام انكاس منها انصوغة من قصص، و عادت ما يكثر أنسها ريفية
13. دج من سكن بني من قصص و صي
14. هم يكن دكة محسوبة على قنائل نسوب
15. منذ عهد مولاي احمر أصبحت اندفعة نسير مام استصاف خاصة أن هذا لأحر كـ بعضي أهمية كبرى بعد سوع من الأسندة
16. لقد كُت ول سفاة إصطالية في معرب سنة 1875، اي بعد سنين من تولية مولاي الحسن
17. عبة عز طعمة بعض يوم بحري لسيل و منهم في حاحة اليه
18. فمن بين مائة سبعة هذا هو في مدرسة دس وهم إسماعيل، عرفة، لوشيد، د، حسن، و هذا لأخير هو ندي عينة سبدي محمد حنيفة به بعد ب دت عينة معمر نرحوة



**ولاية مولاي الحسن (1874-1894)**





## 1- الاستيلاء على فاس ومغامرة غيابة

### 1 - تولبة مولاي الحسن الأول:

عندما توفي سيدي محمد (بن عبد الرحمان)، كان ابنه مولاي الحسن ولي العهد وخليفته عنى مراكش في عمليات حربية في احache و وريقي قرب دار القائد أنفدوس في حوص واد إيكر أو رار حيث أعس هذك سلطانا لسلاد. فغادر العمليات الحربية الجارية ثم توجه صوب مراكش حيث سيقضي شهر ستمبر.

وقد أخبر وهو في الطريق أن الرحامنة، عندما علموا ب وفاة السلطان، قد شقوا عصا الطاعة ضد قائدهم و لدسة، المتهم بحبسه قائدهم القديم عبد الحميد بالصويرة (موك دور). فأطلق مولاي الحسن سراح هذا السجين وعينه قائدا على الرحامنة، وكان هذا التعيين هو أول تعيين رسمي له.

كان هذا السلطان الجديد صويل القمة، رقيق وقوي، وذابسية جسمية نبيلة وذا سحنة، ووجه لطيف أسمر مع عيين سود وبن واسعتين وأنف أفنى وخديين ممتلئين، وشفتين مثمرتين وحية سوداء.

وكان ابن خلافته على مراكش يحظى باحترام جميع المسممين المثقفين والأغنياء، وحتى الفقراء بل إن بعضهم قد قال بأنه سيكون منكأ عظيما مثل مولاي اسماعيل، وذهب البعض أن سيدي محمد قد كان مصيبا جدا عندما عين مولاي الحسن وليا للعهد رغم أنه لم يكن لاسن الأكبر وقد كان الكل مسرورا ويطلب طول العمر لمولاي الحسن. وكان هذا الأخير قد ذهب لإحلال النظم وإحضار عائلة مشهورة (عائلة أويهي) المتمردة ضد قائدها، وهي صريق عودته صحب معه بعض وحدات القنائل الهجورة (عدة و الشياطمة و متوكة و دكلة وأحمر و غلاوة و دسات)، ودخل إلى مراكش وسط استقذلات شعبية كبيرة، حيث نحى أفراد المحزن أممه مبايعين. وقد تم الاحتفاط بجميع وزراء سيدي محمد في ذلك الحفاء، كم عين مولاي عثمان قائد على مراكش.

## ب - رحلة السلطان إلى مكناس

وبعد إقامة، قرابة شهر، في مراكش كانت جميع المشاكل المستعجلة قد حلت وقرر مولاي الحسن الذهاب إلى مكناس عبر الرباط للقيام بالزيارة المعتادة لمولاي إدريس زرهون والتي بدورها لن تكون هناك بيعة صحيحة وحقيقية، وهكذا عبر نهر أم الربيع عبر مشرع بن عبو لتتزل المحلة بسيدي حجاج، حيث واجهت أمطارا غزيرة ورياحا قوية، لم يعد معها بالإمكان شد الخيام بسهولة، حتى أن الوحل انغrust فيه الأرجل (أكتوبر 1873). لتعبر بعد ذلك مرات ثم وصلنا الرباط عبر زعير، ومن الرباط بعث مولاي الحسن، حسب العدة، استطلاعات نحو بني حسن الذين كان يشك دائما في خضوعهم للنظام. وكان أفراد هذا الاستطلاع مكونا من قسم من الخيالة مع الغوجة والجنود لابن المختار. وبوصولنا إلى م بين بلاطو وواد بهت، فوجئ جنودنا بالقائد العربي لكحل الحسناوي عسى رأس حملة مختلطة من زمور وبني حسن. وعند انهزام القائدين (الغوجة وابن المختار) إتجهنا نحو الرباط راجعين بدون عتاد ولا سلاح، وفي نصف ثياب. وفي الطريق بين سلا والقنيطرة شاهدنا محلة السلطان تتقدم، فوقف السلطان غير مكترت لرؤية قائديه الراجعين الحجولين فدا كأنه غير مهتم بجنوده المهزومين المختبئين بين الصفوف، ورغم ذلك تبلور عنده مشروع حق لحجهم لمعاقبتهم، وكان الشرفاء الوزانيون الموجودون في المحلة قد تدخلوا ليشفَعوا لبقائدين المهزومين عند الملك، خاصة أنهما فوجئا أمام حملات الحسناوي. فعفى عنهم السطون. لكن طلب منهم إخباره بالمكان المدقق الذي وقعت فيه الواقعة، إلا أننا عندما وصلنا إلى الممر الخطير لم نجد أحدا، يبدو أن المتمردين المسرورين بأول انتصار لهم (على الوحدات السلطانية) لم يريدوا تضييع فرصة السبق، فقد اختفوا خائفين من قبضة هذا السطون الجديد الذي يريد تركيز سلطته ومد نفوذه باللموس<sup>(1)</sup>. وقد كان مولاي الحسن قد بعث إليهم وفدا لإخبارهم بأنه سيذهب إلى مولاي إدريس، وأنه يمكنهم الذهاب في أمن إلى مكناس، إذا بدا لهم ذلك حسنا وأن قائدهم لن يحسه مكروه. ودون أي إزعاج وصل السطون إلى الضريح، حيث سيبقى أياما للزيارة وإغداق الهدايا على شرفاء الزاوية.<sup>(2)</sup> وبعد ذلك يستعد للرجوع إلى مكناس قصد الاستقرار بدار المخزن الإقامة المعتادة لأبيه لمرحوم بالله.

## ج-أحداث كروان

لكن في طريقه إلى مكناس لاحظ السلطان بعض الفوضى في صفوف جنوده وهكذا أعطى تعليماته لمختلف قواد الرحي الذين تنهوه بأن مصدر هذه الفوضى هو تحركات الكروانيين في آخر الصفوف أو ما تسموه أنتم بالمواكب، حيث ينهبون التجار، ويقتلون دون ذنب بعض جنود المكناسيين الذين كانوا يحرسونهم. وفي اليوم نفسه قال مولاي الحسن «غدا،

فجرا سنهاجم كروان، وسأكلف فيلق الحاج مولهجوم والعلاف سي عبد الله بن أحمد بقيادة العمديات». وقد كان هذا الأخير وزير للحرب في عهد مولاي الحسن وأحبالسي موسى الذي كان وزيرا وحاحيا في الوقت نفسه، وكان هذا المنصب المزدوج يخول له التحكم في المخزن ككل.

وهكذا انطلق فيلق الحاج منو لتمشيط الطريق، إلا أنه لم يكن يتعلق الأمر إلا ببعض الطوائف من اللصوص الهائين الذين يحب إراحتهم عن عيين ويسار الطريق حتى يهاجموا بعض الفرق المنعزلة من محتنت. وقد تم بالفعل طرد هؤلاء الفوصويين على يد بعض المحبرين، كما رجعا بعدة أسرى ورؤوس متقين بذلك الطريق بين مولاي إدريس ومكناس، وبهذا مشط حوض وادي الردم تماما، وعندما علم سكان مكناس بقرب وصول السلطان الجديد، وإزالة خطر هؤلاء الفوصويين الذين خربوا أجنحتهم لقريبة منهم منذ وفاة سيدي محمد، خرجوا فاتحين أبوابهم فرحين بسي عبد الله وحنوده مرتدين لباس العيد منتظرين قدوم مولاي الحسن.

هكذا إذن دخل السلطان مكناس في حمل بهي وسط زغاريد النساء، وطلقات البنادق، متحفا إلى دار المخزن، في حين ذهب الجيش الكبير والمسخرين للاستراحة إلى معسكر سيدي بوزكري، المنكر المعتاد بتعسكر الحملات الشريفة<sup>3</sup>

وقد عزز الحرس المنكي، المكون من البحريين لمستقرين في النوايل قرب باب الروى بجنود الحاج عبد القادر البخاري وليس هناك ما يدعو إلى الاستغراب من هذا الأمر، فقد سبق أن قلت لك، أن كل وحدات المسخرين مكونة من قسم فار ورسمي ثم قسم متحرك غير فار يعين أفرادهم بشكل تنووبي، فكان لقرون الرسميون منهم يكتنون في القصر في حين يذهب الآخرون إلى الحركات، لكن عددهم كان قليلا وفي الوقت الذي يكون فيه السلطان مقيما بأحد قصوره فإن هذا العدد يعزز بالعناصر التي تؤخذ من الوحدات التي وصلت مع الحملة<sup>4</sup>

لقد كان مولاي الحسن متزوجا بصحبته في طريقه من مراكش إلى مكناس ثلاثين من النساء، فيهم محصاته وحواريه وحده، وكان يركن، كما نعلم، السعال التي يحرسها خمسة عشر عبدا من اخصيص وتحت مراقبة طيور عسكر العيد.

وكان وصول السلطان الجديد إلى مكناس بداية لأسبوع من الحملات والأفراح حيث حلد الشعب أفراحه، ونشط التجار، وشويت وطهيت الأطعمة الشهية في كل أطراف المدينة، حتى إن الرائحة المسعثة من لأحباء توحى بأيدم العيد الكبير (الأصحي) وفي كل مساء عقب كل صلاة عصر تقدم حفلات الحيلة التوريدة في ساحة باب المصور العلح.

## د - أحداث بني مطير

لكن الأساء السيئة لم تفتأ أن وصلت إلى القصر : فإن طوائف قوية من بني مطير الذين أحدهم فصل الشتاء قد هبطوا من الجبال اتجاء مكناس حيث اجتأهه قما. وقد فوحتوا حد رؤسهم الحلة الشريفة معسكرة ببوزكري بعد أن نهبوا قطعان لأعدائهم من مرعى وقتلوا الحراس ليلا بعد أن شوها جثثهم وعروا عنهم ثيابهم. وإثر هذه الأحداث ذهب سيدي عبد الله لإخبار السلطان :

... ما الذي تحكي لي أنت؟ قال السلطان. هذا غير معقول؟! أليس هناك في الحلة وحدة عسكرية من بني مطير مع قائدهم ولد الشبلي.

... نعم سيدنا ! قال الآخر الصواب ما قلتم سيدي ولد الشبلي معنا، لكن إنهم أيضا نو مطير من يقتل رجالنا، فقد تمكننا من معرفة بعضهم حالت رصاصاتنا دون هروبهم.

... إذن أبعث لي، وبكل سرعة، ولد الشبلي !

ثم جاء هذا القائد بسرعة، وبعد أداء فروض الطاعة والتحية سأله السلطان :

... ولد الشبلي !ماذا تعني هذه الضوضاء، والاضطرابات التي يحدثها الآن أسمعك. لقد طمأنتني. وصمنت لي أبناء قبيلتك بأن يعترفوا بي سلطانا عليهم، ويطيعوني. وهاهو الآن يصلني أن بني مطير قد نهبوا قطعاني وقتلوا حراس محلي.

نعم سيدي. والله لقد قلت الحقيقة، إن قبيلتي فعلا سيدي طائعة، ولكن إذا كان من تخدتي عنهم سيدي من بني مطير، ولست متيقنا من ذلك، فليسوا، وبدون شك سوى مجموعة من اللصوص، وبعض من « سخن عليهم الرأس » كما هو الشأن. في كل قبيلة، ولا أستطيع أن أدافع عن هؤلاء الأغبياء، لكنني رهن إشارتكم فإذا رغبتم سيدي فإني مسند منذ الآن أن آخذ وحدتي العسكرية مع بعض جنود التقوية الذين تمدوني بها من أجل تنظيم حركة ضد هؤلاء.

... إذن فلتذهب حالا، يقول السلطان، وأرى أن جنودك وحدهم يكفونك لإحلال لضم ولتعقل في تلك العقول المتهورة، وبهذا ستحكم سيطرتك عليهم. فانطلق ولد الشبلي راجعا إلى بوزكري ليذهب مع جنوده بعد أن قام ببعض الاستطلاعات، وتمكن فعلا من إنجاء المهمة، وبعث ببعض الرؤوس إلى مكناس لكن فقد بالمقابل بعض التحريكات التي صعدت شكل تمرد وسط الاشتباكات. وفي خضم هذه السلسلة من الانتصارات والهزائم تصعد تدور القبيلة ككل حيث عمت الفوضى كل أفراد القبيلة وجهر بذلك حتى في الأسواق، مما جر القبائل الأخرى المجاورة للقتل مثل بني مكيلد والمجايط وأيت يوسي فقرر

السلطان تنظيم صوكة<sup>٤٦</sup> قوية ضد هؤلاء وهكذا بدأت لغة البنادق والبارود في النطق بين بني مطير والمخزن فاستمرت طيلة فصل الشتاء بشكل تناوبي بين الطرفين، وعندما تعب السلطان من رؤية تزايد هجوم أعدائه الدين وصلوا إلى حدود أسوار مقر إقامته، قرر اخروح شخصيا مع المحلة كلها وجمع الأفواج المخزنية المعسكرة في سيدي بوزكري خاصة أن الوصعية أصبحت أكثر صعوبة. كما نادى من مكاس على وحدات جديدة من قبائل بني مسكين ورمزان و الرحامنة واحمر وعدة ودكالة مما مكّنه من جمع حوالي 5000 رجل لتقوية صفوفه.

وكانت المعركة على جبهة مكاس -قصبة الحاجب - على امتداد مساحة أكثر من خمس كيلومترات شيئا ما شمال زاوية سيدي أحمد التجاني. حيث التقى الطرفان على خطين متقابلين، وهكذا تقدم بنو مطير في شكل منتظم مثل عمود خشبي عريض يتوسط الساحة منشدين أغانيهم الحربية، وضدا عليهم فقد أحكم السلطان تنظيم وحدات القبائل في حط طويل أيضا. وكان قد أخذ بنفسه مكانا في نفس الخط مع حرسه فوق هضبة مما مكّنه من متابعة أطوار المعركة بواسطة نظارتيه بشكل أسهل مع إعطاء التعليمات الضرورية، وكان قد وضع هذا الخط قواته النظامية الاحتياطية.

وقد استمرت المعركة التي بدأت صباحا اليوم كله، لكن دون نتائج مشجعة وعند المساء شن الحاج منو، بعد موافقة السلطان، حملة قوية أعطت الانتصار للوحدات المخزنية، وهكذا تمكن من جمع جنوده وتوجه بحبوية أكثر مع فرسانه إلى الجهة اليسرى من بني مطير. وعندما هددهم بالإحاطة بهم طالب الرجال الموجودين في المواجهة إعانة جنود الوسط للوقوف ضد هؤلاء الأعداء الجدد وعندما كان الحاج منو في وضعية صعبة أمر رجاله بالإبصار أرضا، والفرسان بالدهاب على يمين ويسار هذا الخط، وفي الوقت التي ضعفت فيه الحرب على الجبهة الرئيسة، بدأ القصف يتقوى اتحاه جنود الحاج منو، لكن هؤلاء الأحييريين كانوا قد تلقوا تدرييب على مثل هذه الظروف، وبعد أن نأوشوا بعض الشيء وقرعوا الطول متراجعين. ليزيلوا بعد ذلك الغطاء على الخط الجديد من الرماة الذين لم يكن يتظرهم العدو حيث كانوا مختبئين في فنادق صغيرة محفورة بسرعة، بالخناجر، هذا في وقت كان الحاج منو يركز جداره المتحرك، وكان الجنود في الخنادق الصغيرة يقاومون عدوا متريدا شيئا فشيئا ووثقا من البصر. لكن وبإشارة، اجتمع فرسان اليمين واليسار على بني مطير في شكل حيب ونم يستطع المرار منهم إلا القليل، وهكذا جمع الحاج منو 40 سحينا، وحمل إلى السلطان عشرين رأسا وسط رعايد وتهاليل الانتصار، وعندما رأى باقي جنوده بني مطير في الجهة اليمنى هذا المنظر فروا خلف متاعة الفرسان الاحتياطيين. وهكذا رجعت المحلة ليلا إلى سيدي بوزكري حيث ستعسكر.

وبعد مرور يومين انطلقنا لمطاردة بني مطير الذين قبض عليهم قرب الحجاب، وخلال أربع ساعات وصلت الأفواج السلطانية للقاء العدو الذي كان في وضعية جيدة محميا في الخلف بمرتفعات جبلية.

وفي بداية الحرب قتل الشريف مولاي المدني الامراتي المتهم، ظنا، بكونه المسؤول الرئيس عن ثورة بني مطير فتوقف إطلاق النار وتوقفت المواجهة، وأيقن المتمردون أنهم عمى وشك الخضوع والانصياع للأمر الواقع، وهكذا جاء أعيانهم ورجالاتهم سائقين ثيران « التركية »<sup>6</sup>. ونسأوهم تستغيث، وأطفالهم يحملون ألواحهم القرآنية على صدورهم مرتدين ثيابهم البيض فأعطاهم مولاي الحسن الأمان، وأمر بأن يؤتى إليه في الغد أعيان بني مطير بدار المخزن بمكناس.

وبالفعل حضر وجهاء بني مطير وضمنهم القائد ولد الشبلي الذي كانت تحركاته أثناء، هذه الحملة مشبوهة بشكل لافت، وفي حضرة السلطان نودي على ولد الشبلي وتقدم مجموعة من العساكر لإخراجه ووضع القيود في رجله والذهاب به إلى مراكش ثم أعلن السلطان على لسان قائد مشوره، خلع وإقالة جميع قواد بني مطير السابقين وطلب منهم تعيين قوادهم بأنفسهم فأجابوا :

\_\_ اقبيلة أمامكم سيدي، عينا أنتم قوادها الجدد وسيكون اختياركم محط رضانا وطاعتنا ودون أدنى تردد عين مولاي الحسن القائد رحو ولد ماما لمطيري قائدا عاما على كل بني مطير، فانصرف أعيان بني مطير مرتبكين قلقين لأنهم قد علموا أنه ولي عليهم رجل قوي وحيوي، لين وقاس في الوقت نفسه وكانوا أمامه كفران أمام قطة.

### \_\_ أحداث فاس

وبعد تصفية هذه القضية، قرر السلطان الذهاب إلى فاس مدينة « العلماء »، لكن منذ انطلاقه من الرباط كان قد علم عبر مخبريه طبيعة موقف أهل فاس من المخزن، وعلم أيضا أنهم قد ثاروا ضد الأمين الكبير<sup>(7)</sup> للمدينة : المدني بنيس المكلف باسم السلطان باستخلاص مستحقات أبواب وأسواق المدينة فقد عنفوه وأهانوه في الشارع وكاد يقتل في إحدى الأمسيات لولا احتماؤه بأحد الحمامات، واختبأ في أحد غرفه المظلمة الملائى بالسطول الخشبية حيث أمضى فيها ليلته هذا في الوقت الذي كان فيه منزله تحت حراسة المتمردين المتطرين وصوله لتعنيفه حتى ييوج بمكان خزنه الذهب والمال ثم بعد ذلك يتخلصون منه. وعندما أخبره أحدهم بذلك استجار بصريح مولاي إدريس.

وإثر هذه الأحداث كتب السلطان من مكناس، إلى أعيان فاس ما يلي :

« لقد عدمت ببلع الأسى والأسف أن الفاسيين قد ثاروا ضد حديم الأرضي سي لمسي نيس » .

أدعوكم إلى العودة إلى رشدكم والطعة، وأن تدعوا هذا الموطف في أمان، خاصة أنه لم يقم إلا بواجهه وتمييز الأوامر.

واعلموا أنني لا أعطي كبيراً اهتماماً للتصرفات الراهنة للفاسيين في هذه القضية بالإضافة إلى عدم اكتراثنا بالنقود التي سرقتم من المديني نيس، إنها أموال المخزن وهو من سيسترجعها.

لكن تبيها جيداً ما هي دواعي كتبنا لكم : إن نود أن تكونوا كدكم في سلام وسرور، فعبروا عما نريدون وترغبون والسلام عليكم.

ثم فرئت هذه الخطبة على من القرويين، فبدأ الناس يهنؤون بعضهم البعض برضى السلطان عنهم. هامسا بعضهم بتقدير السلطان لهم، وأنه لو عاملهم السلطان معاملة سيئة ولو بالكلام فقط، لخرحوا لمواجهته في مكناس.

وفي الوقت نفسه كان السلطان قد أرسل رسالة للمديني نيس يقول له فيها بأن لا يحشى شئ، وأن هذه لمشاكل سنزول في اليوم الموالي، داعياً الله أن يعوضه خيراً عن خسائره، خاصة أن المخزن قوي وعني.

وعلى صدى هذه الأحداث عذر السلطان مكناس مع محلته وكر أسرته (فبراير، مارس 1874) ليصل إلى فاس عبر ثلاث مراحل : عين طوطو، بن خاسة (واد النجا) والصويات حيث توحد بركتين مختين

وخلال يومين دخل لسلطان رسمياً وس في استقبال حماسي رائع. وجاء العلماء بكثرة لاستقباله مرافقين حيفة السلطان وأحد مولاي إسماعيل<sup>9</sup> في حشد كبير. وفي الوقت الذي دخل فيه السلطان وحاشيته والمخزن والشخصيات الرئيسية من باب السكمة عرج على صريح مولاي إدريس<sup>10</sup>، كانت المحلة قد عسكرت على الهضبة القريبة من قصبة الشراودة، على مرتفع مصفى حيث تمركزت وحدة بني مسكين بقيادة القائد الشافعي لمسكين، تحت الرياتين شمال باب محروق، في حين التحقت الوحدات النظامية بمختلف قصبات المخزن (الشراودة، الثور، الخ) في حين كان «بستيون» الساب المحروق (البرج الشمالي)، وحسب لأعراف القديمة، تحت حراسة الوحدات العسكية لمراقبة تحركات جنود السلطان إذا أرادوا إحداث اضطرابات في المدينة

وقد أقيمت هذه السك وقدمت الهدايا بصريح مولاي إدريس، حسب العدة، وهكذا دخل السلطان الممتطي جواده دائماً قصر فاس الجديد دون مشكل يذكر. وبعد مرور



أسبوعين تقرر استدعاء أعيان المدينة، حيث استقبلوا استقبالا رائعا ثم غادروا بعد ذلك، وفي ساحة الفصر تبعهم الوزير الأول سي الطيبي بن اليميني ليقول لهم :

« اسمعوني سكان فاس جيدا. فمن واجبي أن أشرح إليكم الأمور كما هي، فلقد افترقتم صد الخزن وضد سيدنا أخطاء كبيرة، فقد هاجمتم ونهيتم سي المدني بنيس والواقع أن الرجل ليس سوى موظف لنا مكلف باستخلاص حقوق الخزن. وكأنكم بفعلكم هذا قد هاجمتم ونهيتم الخزن نفسه، ثم إنني أرى من بينكم خدام الخزن الذين يدينون له بالشيء الكثير، وأرى من بينكم كذلك شرفاء زاوية مولاي إدريس ورغم ذلك تمردوا وقد أمرني سيدنا مولاي الحسن بإخباركم الآن بأنكم لن تفلتوا من العقوبات التي تستحقونها».

ففوجئ الأعيان بهذا الكلام القاسي، بعد أن سمعوا كلمات الترحاب قبل قليل وقالوا بعد أن اضطربت ألسنتهم :

— سنرى معالي الوزير ما يجب علينا فعله.

ثم نزلوا نحو فاس البالي غير راضين عن الكلام الذي سمعوه. ومرت ثلاثة أيام وهم يناقشون الوضعية دون أن يصلوا إلى حل معقول وفي حدود مساء الاثنين حيث اجتمع حيث اجتمع الأعيان في المسجد وقرروا انتخاب قائد « السبية » الذي كان يدعى الحاج أحمد الرايس. وفي اليوم الموالي صباحا، وبينما كانت أبواب المدينة مغلقة، جاءت وحدات مسلحة لتعزيز باقي الوحدات التي تحرس مختلف الحصون داخل وخارج المدينة.

وعندما علم مولاي الحسن بالأمر، بعث شخصيات مختلفة ومحترمة إلى الأعيان معرفة مصموم شكواهم التي كان من ضمنها تنحية الفقيه سي عبد السلام البقالي الذي كان ينزل إلى المسجد حاملا « التهليل »<sup>(1)</sup> في الجانب، و السبحة في اليد.

— قال الأعيان، إننا نريد الطاعة فعلا، لكن شريطة ما يلي، أن يوضع رهن إشارتنا ويسجى بعض الوقت كل من سي موسى بن أحمد وأنت أيضا سي عبد السلام البقالي وكذلك قائد المشور الجليلي بن حمو، لأنهم الشخصيات المقربة من السلطان والتي توليه ضدنا، كما نطلب علاوة على ذلك، أن تردوا إلينا سي المدني بنيس المنعم برضى الخزن حاليا، لنحاسبه ونقاضيه بأنفسنا ونعاقبه بما يستحقه.

هذه هي شروطنا من أجل الاتفاق. وإذا رفضها السلطان فله كامل الحرية أن يرد بالطريقة التي تعجبه.

وقد دار كل هذا النقاش والأبواب مغلقة والحصون محروسة. وفي اليوم الموالي بعث السلطان، الذي كان قلقا جدا من مجريات هذه الأحداث ببعض المخزنين للاستطلاع.

لكن لم يكده يصل هؤلاء الرجل إلى باب بوحود حتى قولوا بإطلاق الرصاص، فردوا بالمقابل لتبدأ معركة إدن. حيث شرع حصص باب محروق يقصف بمدفعه المحلة العسكرية حول قصبة الشراردة. وعلى الفور أعطى مولاي الحسن أمرا لأفواجه بالهجوم على المدينة. ثم تقدم بقطعه إلى مرتفع البطحاء لتهديد صومعتهم، وكان الفاسيون المحتلون لمسجد بوجود يطبقون. على مهل، مدفعايتهم التي تقترب لتقوية قطعهم. ووسط هذه الأحداث اقترح موحى، قائد رحي « الطلجية » أنه يمكن اقتحام باب بوحود الصغير المفضي إلى الجنائن بواسطة المشاة. وهكذا نزل الحاج منو، بالفعل مع جنوده وفرسنه من قصبة الشراردة نحو باب بوجود، حيث انتشروا في الحداثق على طول الود، لكن طبدقت الرصاص المنطلقة من صومعة المسجد كانت تعرقل تقدم تحركات جنود الحاج منو الذي طلب من موحى إسكات هؤلاء والقضاء عليهم فقصف موحى المسجد حتى نشطرت الصومعة شطرين، كما قتل عددا من الفاسيين، فاستغل الحاج منو فوراً هذه الاضطرابات ليقترحم السور المحيط بالمدينة ويدخل مع جنوده حي الدوح.

وهكذا فر الفاسيون خوف من هجوم هؤلاء الجنود المتحمسين تاركين وراءهم سلاحهم، وتم إخلاء المسجد من محتبيه إلا أن بعض جنود السلطان انطلقوا في نهب الأرقعة ولشوارع المفضية للمدينة، فافتحموا الفنادق<sup>(17)</sup>، وكسروا أبواب المحلات التجارية بعد أن جمعو العنشم فأطلقت المدفعية أربعين صقعة والستين نافور. لحلة مولاي الحسن الذي كان يتابع تقدم العميت بنظريته من على مقصورة « قبة النصر » ويعطي أوامره لجنوده من داخل البيعت<sup>(18)</sup> بالتمهل في الانطلاق وقتل ونهب وأقل ما يمكن.

وبعد ذلك رجع بعض الجنود من المواجهة، صاحبين معهم لأسرى ولأثواب والسلع المختلفة بالإضافة إلى النقود في الجيوب. وهكذا أخضع الحاج منوحي بوحود إخضاع تام، ولم تبق أممه سوى حبهة قوية، إنها قصة فيلالية، حيث كان أهل تافيلالت مساعدين لفاسيين وقد اختار الحاج منو أي جهة سيأخذ خاصة أنه علم فجأة أن فيلالة قد انظموا إلى المخزن، ويقصمون الآن فاسي « الطالعة »<sup>(14)</sup> وهاك ما حدث :

فأمام تقدم الأفواح الشريفة التي تحيط بهم من كل الجهات ومحافة العواقب لمستقبلية تمك الخوف فيلالة فاجتمعوا فيما بينهم وطرح عليهم أحدهم السؤال التالي :

— لقد تشاجر أبي مع أمي، وقررا الافتراق، فأيهما سأتابع يا فيلالة؟

— فأحيب : عليك باتباع من له الحق.

— إذن : فأبي هو السطرن، وأمي هي فاس، فلنذي معه الحق تأكيداً هو أبي لأنه المخزن، فعلي إدن أتدعه.

وطريقة لا شعورية شرع في إطلاق النار على أهل فاس وأخير الحاج موباهم معه.

وهكذا تراجع السكان نحو الأحياء السفلية، بعد أن تسلق بنو مسكين وضربوا سور الطلعة حيث تابعوا العمليات وقتلوا بعض التجار الذين كانوا يحاولون حماية متاجرهم. وقع كل هذا ورملة برج النور لا يعلمون ما حدث، فاكفوا فقط بمناوشة أهل الطالعة. حاهدين ارنداد فيلالة، وهكذا أفرغت المنازل والأحياء، ثم اتجه هذا الجمع الرهيب لأحداث الموضى والاضطرابات في اتجاه باب فتوح باحثين عمن يدافع عنهم، وكان من ضمن هذه الجماعة الموضوعية قائد السيا الحاج أحمد الرايس الذي كان شخصية بارزة وسط هذه الحشود. لمكونة من 25000 شخص متجه، يتسارعون نحو الأبواب الجنوبية حاممين أمتعتهم النفيسة، ثم اجتمع أعيان المدينة في مسجد القرويين خوفاً، لأنهم يعلمون بأن أفواج المخزن قد استولت على كل الأحياء الفوقية، وعند فرارهم قال قائد السيا لرجاله :  
— ألسنا على طريق ضريح مولاي إدريس؟ فعلينا الاستعانة والتبرك به، ثم اتجه نحو الضريح أعزل، بندقية على كتفه فجلس على ركبتيه فقال :

— الله ينصر السلطان ! هذا ما أريده وأتمناه، فلا داعي أن تعولوا على في شيء. وطيلة هذا الوقت ظل دائما صوت الرصاص والمدافع مسموعا، مما جعل السلطان يأمر المشاة والرماة بإطلاق الرصاص في الهواء لإخافة سكان فاس لضمان مسيرة أحسن لجنوده، فقد كان يرغب أن يقتل أقل عدد ممكن من الناس خاصة أنه كان هناك ثلاث قطع الأولى قرب ضريح سيدي بوبكر العربي والثانية قرب دار البطحاء، والثالثة باب برجات، التي أحدثت فزعا جهنميا.

وهكذا أحكم القبض على الفاسيين كفتران في مصيدة.

وفي طر هذه الوضعية، أرسل السلطان مبعوثا إلى الأعيان يخبرهم أن السنطون مستعد لإيقاف إطلاق النار إذا ما استطاعوا المحييء إليه ومبايعته، فبعث السكان النساء للاستعطاف، والأطفال الصغار بألواحهم القرآنية، وقائد السيا سي أحمد الرايس ملتقا في عطاء صريح مولاي إدريس محروسا ومحميا بملازميه.

فاستقبلهم السلطان بعد أن أوقف الحرب ثم قال لهم :

— لا تخافوا أي شيء، لن نعاقبكم لأنكم لستم أتمتم المذنبين، فقد سامحتكم فذهبوا آمنين.

وبالفعل بدأت طلقات النار تهدأ، وتساقطت الأبواب في أيدي الجنود دون أدنى مقاومة تذكر، بعد أن ركز الحاج منو في كل واحد منها مجموعة قوية من الحراس. ولم يحل الليل حتى أصبحت المدينة كلها في يد السلطان.

وفي اليوم لموالي اسندعي جميع الأعيان إلى دار الخزن، وكان من بينهم باشا فاس سي إدريس السراج، وللمرة لثنية، أحمد لرئيس قائد لسيد السابق وكان أول المستقبلين الشئ وحده الذي قال له مولاي الحسن.

— إن هذه المدينة متمبرة، في الواقع بقوصدها، وعدد أهلها أظن يا إدريس أن لها منيلات أكثر؟ لا أظن! فمن أين جاء هذا الشر إذن؟!

— إن سكان فاس، سيدد، عمماء جد، ولهذا لا يستحسنون ولا يرصون تلك الامتيازات التي تعطي للآخرين

— لا يا إدريس! إن مرد ذلك فقط، لأنهم يشعرون أنهم تحت قبضة أيدي ضعيفة فأنت لا تعرف الحكم والقيده، فإنك أنت سبب هذا العصيان، فسأسحكنك أنت أيضا.

ثم قيده بعد ذلك المحزنة وتم إخراجه من قاعة الاستقبال على مرأى من الفاسيين، الدين دهشوا عندما أدن لهم بالدخول، وبعد أن وقفوا مذهولين أمام السلطان خرجوا للاجتماع مع قائد المشور الذي قرأ عليهم هذا الخطاب.

— «إعلموا سكان فاس، إن المسؤول عن فوصى وعصيان فاس هو باشاكم القديم سي إدريس لسراج، ولهذا سحر، وعلموا أن باشكم الحديد الذي ما لبث يريد سيدنا هو: الحيلالي بن حمو. ثم إن قائد السب سيصح قائد سلاح بتوليته منصب خليفة البش، فاسم من تورد، دون سب، صد أمينكم بنيس وبالتالي ضد الخزن ولهذا قرر السطرب لمعاقتكم ما يلي: من كان منكم يؤدي قرش للضريبة سيؤدي قرشين، كما عليكم دفع تعويض عن خسائر الحرب ب 100000 دورو، كما عليكم أيضا تجهيز وحدة عسكرية دائمة من 500 حندي. ويأمر سيدنا أن يكونوا من أبناء مدينتكم لا من الخارجيين عنها أو لمعوضين أو المشترون. كما سيكون الفينق الفاسي تحت قيادة ابن أحمد الرئيس. واعلموا أيضا أن السطرب قد أخذ من كل مدينتكم وحدات حربية، فلا داعي لعصيانكم من جديد، أن الحيلالي بن حمو، خلال أيام سأكون من الآن باشكم وسأعمل على تنفيذ هذه التعليمات في أحسن الأحوال، ذلك لأنني لا أعرف إلا الإستقامة والخزم في تسيير الأمور، والويل من أراه يندس في الطرقات والمعبر. هذا كل ما في الأمر، والسلام عليكم».

وهكذا رجع الفاسيون إلى بيوتهم صمتين مطأطئين.

وخلال هذه الفترة اضطط أصح الخرح محمد بن يعيش قائدا للمشور بعد أن عين حيلالي بن حمو في بشوية فاس

وقد أقام السطرب بمدينة رعة أشهر تقرب خضعت فيها المدينة خصوعا تاما وبعد ذلك انصرف للاعتناء بحجوده، وملاءم المراءات، ومراقبة تقدم المدفعية، كما عمل على

تشيط التحاق وحدات المدن التي حدثت عنها قبل قليل. ومراقبة الفيلق الفاسي الجديد، ومتبعة، واثناء شديد، كل الأحداث الجديدة الآتية من نطق المغرب المختلفة.

## و- أحداث بوعزة الهبري

ثم لما وصلت أخبار متمرّد يسمى بوعزة الهبري، يدعي أنه ساحر وكثير الحديث عنه في بواحي تازة حيث هاجم فرسانا يدعون أنهم أتباع بوعزة قبيلة أولاد الخاح سو، وكان السلطان لا ينتظر إلا الفرصة المواتية للخروج لهذا المتمرّد، وهكذا حمل المراك إلى معسكر قططرة واد سبو تاركا وراءه أفواجا كافية لحراسة المدينة وبعد ذلك انطلقت الحملة لبحث عن بوعزة هذا (سبتمبر 1874)

لقد كان الحاج منو يتوفر على مخبرين في كل مكان تقريبا في طنجة كما في سوس، وقد علم من أحدهم أن هذا المتمرّد قد اختبأ عند بعض الأتباع من بني سادن الذين أعطوه الأمن والحماية، وهكذا اجتحن المنطقة تحت مفاوضات بسيطة لم تكن لها أهمية تذكر، فسلسا ونهب لكن دون أن نجد هذا المبحوث عنه، ثم إن بني سادن كانوا سيسلمونه لنا إن كن عندهم فعلا.

وقيل لنا بأنه موجود عند أيت سفروشن فانطلقنا إليهم، لكن هؤلاء الرجال كانوا لا يدعونا نجتاح أراضيهم ومزارعهم دون مقاومة. ثم تتبعنا مكان وجود صاحبنا عبر بني وارين إلى حدود غيابة وهناك فقدناه. وفي الوقت الذي كان السلطان يعسكر أميم تزة ويستقل هدايا قائل المنطقة، أخذنا نتساءل هل ذهب هذا المتمتع بوعزة إلى الريف أو الصحراء أو جبال بني وارين. وقد كان هذا الاختفاء المفاجئ لهذا المتمرّد فرصة لإكثار الحديث بين الجنود حول كونه ساحرا. وفجأة علمنا أنه موجود عند هواره واد مسون قرب تزة، حيث نخلى عنه هؤلاء بكل تلقائية، وكان من حمل الخبر إلى المعسكر أحد مخبري الخاح منو.

وكان قد دخل هذا الساحر المشعوذ إلى السوق ليقول للناس :

أن هو بوعزة الهبري، لست خائفا من سلطانكم الجديد مولاي الحسن المعسكر الآن مع بعض الجنود قرب تازة. فمن حيث الجنود فإني أتوفر على عدد أكثر منه، أخرجهم وقتما شئت خاصة أنني أخرجهم من الأرض لقيادتهم، أترون جلد الخروف هذا المطروح على الأرض فإن تحته أسلحتي، وسترون ذلك.

ثم رفع ذلك الجلد يهدوء :

إذن انطروا أيها الجاحدون، هؤلاء هم مشاتي، هؤلاء هم جنودي، وهنا كل مدافعي، فما علي سوى إعطاء إشارة إلى هذه الحلقة لإخراج كل هذه الفرق وقصف الأفواج الشريفة،

لكن لا أريد بالسلطان سر . فمفهم بواحدة . ولبتركي أقوم مهممي . وأحتفظ بجنودي  
حروب أكثر قدسه ، وقول لكم يا هورة ، ليس يسمعونني . أنا مؤيد للقيم بالجهاد .

ولم ير من كان يحيط بالرحل سوى حجارة حور جند الحروف ، فطر بعضهم إلى  
بعض مستعربين من هذا لرحل موهم ، ثم قال له أحد الرعاة الأكثر دكاء من الآخرين :

ألا نرور يا هورة ، أيها الرجال السطاء الصرخاء أن هذا الرجل يخدعكم بقوله إنه  
ولي ، وفي الواقع إنه ليس كذلك ، ذلك أنه لو كان كذلك لكان وجوده في قبيلة ما يكفيهم  
من كل خطر وشر ، والحال أنه كان بين طهراني بني سادن وأيت سغروشن وبني وارين ،  
وعند آخرين ، وتعموم ماذا حوا من ذلك ، فقد بهت كل هذه القبائل ، وأتلفت محاصيلها ،  
وبيعت نسأوه وأصبح أطفالها عسا للقبائل المحورة ، وههم الآن يبحثون عن الخبز وعليهم  
العمل أكثر لتسديد ديونهم وصرئهم ، فهذا ما ينتظركم من هذا الرجل فإذا أردتم ألا  
تواجهوا نفس المصير ، فخذوه ، تم اذهبوا به إلى السلطان وعنده ستعرف هل هو ولي  
حقيقة أم لا ؟

وفعلا هدم ما حدث

وقد كان قد ذهب القائد الشافعي المسكيني والحاج منو مع جنودهم من المعسكر إلى  
هورة ، لكنهم صادفوه في طريقهم موكب هورة رفقة أسيرهم فرجعوا إلى المحنة ، وكان  
السلطان في «سيوانه»<sup>٤</sup> مع وزيره لأول وقائد المشور عندما دخل عليه بوعرة الهيري .

فجر هذا لأخير ساجد وصعد جبهته أرضا مستمعا لسلطان وهو يقول :

أنت هو بوعرة الذي كلموني عنه ، فماد تقوم به صدي فأحاب الرجل وهو في  
نفس لوضعية دائما<sup>٥</sup> .

— الله وحده يعلم الهدى ما قدر الله أولاً أن في حميتك ، فلا تقتلني

— لا تخف ، أحب السلطان ، فقد أقسمت أن لا أقتل أحدا أبدا .

وبعد بقيده والصواف به فوق حمل على المعسكر ، اقتيد أسيرا إلى فاس ، وكانت هذه  
نهائيه .

## ز- (وباء 1874-1875)

وبعد استراحته في طريق وحده ، حيث عين مولاي الحسن قوادا مختصين لحج البشير  
من مسعود على بني برنيس ، وحمو لوزكوي على بني بوزكو ولسهالي على مهية ،  
اتجهوا نحو قصبة سون قصبة شهر رمصد ، وبعد ذلك اتجهوا نحو فاس ، لكن كان برد

هذا الشتاء (1874 1875) قاسيا جدا، حيث كانت الأمطار والرياح والأحوال تعرقل مسيرة الحملة، مما تسبب في وفاة الكثير. وكان قد انتشر المرض في صفوف الجنود على طول الطريق، فنتاب السلطان مولاي الحسن قلق كبير حيث كان يحمل ويتفقد المرضى، ويأمر حدوده بإمداد المرضى المتعبين خيولهم لكن الرياح كانت قوية حتى إنه لم نعد نعرف أي أحد في الأرياف ويبدو أن الناس كلهم ماتوا. وبعد هذه الأضرار كلها دخلت الحملة أحيرا فأس بعد أن فقدت الكثير من الرجال.

وقد كان علينا أن نتمكث هناك حتى شهر أكتوبر 1875، وقد كان في فصل الربيع بعض الحملات الاستطلاعية لكنني لا أحتفظ بأي ذكرى شخصية عنها لأنني لم أكن هناك. وكنت قد أرسلت تجريدة من الحملة بقيادة مولاي علي، أخ السلطان، إلى صوحي بني يزباس حيث كان يحاولون مع قائدهم الجديد البشير بن مسعود الإنفصال وعدم الإعراف بالبحر الذي تربي في أحضانه. وقد دعمت هذه التجريدة بجنود تازة بقيادة بوريد الزراري الذي انهمر وتراجع دون نتيجة تذكر. أما السلطان فقد كان يتابع تقدم جنوده مؤخرا البث في هذه المشكلة الى وقت لاحق.

### ح - تحركات الحملة بمنطقة تانسيفت والمدن الساحلية.

كما شكل القائد أحمد بن مالك بمراكش، فرقان صغيرتان ضد قسبة تنمل - حيث كان يعيش سي عبد الله بن محمد الكندا في الذي لم يكن سوى شخصية عادية - وصغيرة - هزمتا أيضا من لدن أهالي الجبال. وقد أجل السلطان النظر في هذا المشكل إلى وقت إقامته المقبل بالجنوب.

غدرت الحملة فاس إذن مرورا بالرباط وصولا إلى مراكش دون مشاكل تذكر ودور عمليات حربية، كبيرة باستثناء إخضاع بعض الفرق الفوضوية من الرحامنة وأولاد ابن أبي لسباع. وبعد استقبال السلطان للكندافي اقتنع بأن تلك الاضطرابات ليست سوى منافسة وصراع بين هذا الأخير والقائد أحمد بن مالك أكثر منها تمردا على الخزن. وأمام إعجابه وتقديره لهدايا أهل الجبال قرر أن يكون الكندافي حاكما للسلطان على كل كندافة.

وأثناء إقامته في مراكش، تابع السلطان بجدية وحيوية أكثر إصلاحاته العسكرية حيث عزز مدفعيته بـ 22 مدفع جبلي من مختلف الأحجام و 14 رشاشة، وملاء الفراغ في صفوف جنوده، كما طالب بوحدات جديدة للتقوية حتى وصل جنوده في الأوقات العادية إلى 20000 جندي.

وللرجوع إلى فاس (ربيع 1876) عمل السلطان على استدعاء وحدات جديدة من عبدة ودكلة والرحامنة والحوز. وبعد جمع أطراف هذه الحملة القوية، قرر المرور عبر المدن

ساحية، وهكذا رر خديدة لني سموها أتم مركز، وتفقد القصة تي تحرس مداخل البحر، كما أطلقت المدافع بالماء ثم بعد ذلك أرموز موجودة على مصب وادي أم الربيع. ثم الدار البيضاء حيث أعطى السلطان أوامر بتأسيس سرية مدفعية، ومخبأ للمواني، ثم بعد ذلك الرباط حيث أخذنا قسما من الراحة وكان السلطان قد نزل مدة قصيرة بأكدال. وأخيرا وصلنا فاس عبر سلا ومكناس، وحلال مروره بالمدن الساحية أكد المخزن أنه قوي فعلا، كما يتضح ذلك من حلال اتخاذ السلطان جميع الاحتياطات لتقوية وسائل الدفاع على المواني.

### ط - أحداث بني يزناسن 1876

وفي هذه الأثناء اندلعت أحداث فوضى من جديد بضواحي وجدة، وهكذا غادرت فرقة حربية فاس بقيادة مولاي عرفة، أخ السلطان، لمساعدة بش وجدة عند لرحمان بن الشيخ الذي وصلت صراعاته مع قائد بني يزناسن البشير بن مسعود إلى حر القبيلة إلى التمرد والعصيان، إلا أن رجال البشير قد هزموا فرقة الشريف مولاي عرفة، حيث نهبوا معسكرا وحرروا مولاي عرفة في حده فوصلت أصداء هذا الحادث المفزع إلى فاس، ففقد السلطان حدا من الانهزامات المتتالية ضد البشير هذا، ورفض أن يرى جنوده المهزومين الراجعين لمخيم ضريح مولاي إدريس.

فتم استدعاء بش وحدة المسؤول الأول عن هذه الهزيمة الذي حصر إلى الحصرة لسطينية مطاطنا، وقل لسيدينا الذي وبخه عن أخطائه القيدية المتنوعة :

\_\_\_ كل ما قلموه، سيدي. صحيح، وأريد لو حلقتهم لحيتي (عقبا لي)

\_\_\_ لماذا ؟ أجاب السلطان.

\_\_\_ لأنه لولاي لما كانت هذه المصيبة. كما أطلب منكم سيدي العفو ومراجعة السجلات لمعرفة مصاريف وعقوبات هذه الحملة التعسة

وبعد مراجعة السجلات وتقويم كل النفقات منذ الانطلاق من فاس

قيل لعمد الرحمان (س الشيخ)

\_\_\_ لقد أنفق أكثر من 50000 دولار مثلا.

وللمحافظة على مكانته، أعطى لبش ضعف المبلغ. فأنعم عليه بالأمان بالمقبل، وهكذا استطاع القواد والمندوبون معدرة ضريح مولاي إدريس حيث ظلوا مختبئين خوف من قمع رؤوسهم، إلا أنهم وضحو موقفهم مما يني



— ليس علينا أي ذنب، سيدنا، فقد سحقنا أمام كثرة أعداد العدو، فم نكن سوى 8000 ضد 60000 من بني يزناسن؟! فكيف كنا ستعامل مع الوضعية. فلم يبق إذن سوى لفرار والإفلات بأرواحنا. وها نحن الآن أمامكم.

فعى عنهم السلطان لأنه كان يعرف أنهم محاربون أقوياء. ولكن لم يكن من طباع مولاي الحسن أن يبقى هادئا من وقع هزيمته، فقد كان دائما متأهبا وهكذا قرر الخروج الى سي يزناسن رغم فصل الشتاء ومشاكل التموين.

— لا أريد أن أبقي هكذا، في انتظار الصيف، فلتبنوا الفراغ بسرعة في معسكر واد سبو، يقول السلطان.

وكتب إلى كل القبائل بأن تتجمع حول المعسكر الشريف، فانطلقت ليصل إلى الحياينة ثم غيائة الذين لازالوا دائما يشكلون رؤوس الفتنة، حيث استمر إطلاق النار على طول الطريق، وبدلوصول الى تازة ازداد إطلاق النيران خاصة من أهالي الجبال المختسنيين خدف صخور قوية، مما جعل صبر السلطان يتفد حتى أنه أراد، وبصفة شخصية، الركوب في «صوكة» الى غيائة، وهكذا انطلق مع أقوى أفواجه ليصل يوم الجمعة الى مكان موحش يسمى «الشقة» (الثقب) لكن الممرات كانت ضيقة جدا، وكنا لا نتقدم إلا بصعوبة كبيرة حول الحواجر الصخرية، تابعين أحيانا ممرات وبطون الأودية. وهكذا اتسعت وانتشرت الحجة على شكل شريط من الرجال والخيول يتقدم بصعوبة وتردد في هذه الأودية الصعبة، وفي مواجهة ضباب كثيف جدا ظل مخيما على المرتفعات منذ الصباح حيث انتشرت سرعة وشكل متزايد، وعوض الإقتشاع، بعد مدة قصيرة، كالعادة، فإنه ظل مخيما وكأنه مرسل من السماء، لم يعد ير الرجل أكثر من أمتار قليلة أمامه. لم يقل أحدنا شيئا، نكتد كد نساءل فيما بيننا هل هذا الطريق الذي أخذناه طريق جهنم أم لا؟ أم أهل الجبار الذين كانوا يعرفون الممرات والمعاير والمنسبطات فوق الجبال فكانوا يطلقون النيران في الأسفل عشوائيا تقودهم في ذلك أصوات النيران المتصاعدة من الأسفل. وبين الفينة والأخرى كد الحواد يسقط مع فارسه في هوة سحيقة غير متوقعة، ولا يسمع إلا صوت الإنزلاقات التي لا تنقطع. فانتشر بين الناس خبر أن الحيام والأمتعة المحمولة فوق البغال قد اختفت في الأرض التي اشقت تحت أرجلهم. وقد كنا نبحث عن بعضنا البعض، ونندى، وكان البعض يجد الآخر كل مرة لأنهم كانوا يدورون في نفس الحلقة دون قدرة على التقدم أمام، وكان البعض الآخر، ودون شجاعة، يختبئ تحت الصخور لتضميد أرحبهم الدامية. وقد قتل هـ رجال وشخصيات سامية حيث قطعت أشلاؤهم في الهوات السحيقة، فليس فقط سم بعد عرف مصير الوزراء المهمين التائمين والمفقودين في الممرات الضيقة، بل كنا نهـر أيضا مصير مولاي الحسن، وقد ذكر بعض الناس أنهم رأوه ينزل من فوق جواده ثم

حتى في الصبب فانتقل هذا الحربي الناس، وفي اتجاه معاكس. لفرقة لمعسكرة أمام  
نازة حيث اتجهت وحدات القنابل التي كانت قد طلعت في حراسة المحلة. متصت جياده  
واتجهت في البحث عن السبب واقتله حصة أنه كان في بلاد العدو.

ومن حسن الحظ، فإن الصبب بدأ في الانقشاع شيئاً ما خلال ساعتين، وبدأ المحاربون  
يختصمون من هذا وهك على شكل جماعات صغيرة فوصلت وحدات القنابل ورجع  
لأمن من جديد.

وعندما رأنا وحدات القنابل اتجهت نحو بعد أن التحق مولاي الحسن بالمعسكر  
هذه البال تحت مظلة المنتصبة، وما حدث هو كالتالي فقد وجد القائد محمد بنقاسم  
الشركي السبطان تحت لصخور حربي القدمين مسك بندقية في استعداد للدفع عن نفسه،  
فأعطاه فرسه وصاح له أمسك بالبحام أي أن وصله إلى طريق العودة.

وقد كان الرجوع إلى المعسكر شاقاً، لقد كانت فعلاً مصيبة وفوضى، حيث كانت  
الأفواج بهرب دون قواد وكأ أن العدو يطردهم، وفقد الكثير سلاحه وفرسه في هذا الجبل  
الخطمي كم تخلف الكثير منهم ولم يرجعوا<sup>16</sup>

فجمع مولاي الحسن لمنهت من هذه المغمرة، كان القواد الحصريين وقال لهم

— إن هذه الحادثة المفجعة التي وقعت، وهذه المصيبة مصدرها فقط عدم التنظيم  
وجهر أفواحكم. أنظروا أن الحرب مهمة سهلة، تستطيع كل واحد ممرستها منذ الصغر  
وأن ما عليه سوى المشي أو ركوب فرس صد العدو ومطاردته وقصفه بالدر !! لقد رأيتم  
اليوم أن جنودكم لا يحسنون قيادة أنفسهم، ولا السير في المناطق الجبلية، ولا ماذا عليهم  
فعنه من أحل زحافة العدو عن المرتفعات التي يحتلها، فلو كانت المرتفعات مغطاة وتحت  
يدكم كان سيكون عدد قتلا أقل، لندي جنود لكنهم لا يعرفون أي قاعدة أو حرة في  
القيادة أثناء الحروب فكل بفعل ما بدا له لهد أريد مدربين عسكريين لتمريرهم، وألاحظ  
جيداً أنكم، وبستثناء بعض الجنود القدماء ذوي الخبرة كبيرة في الحرب، غير أكفاء.

هذا ما قاله لمنك، وشرع كل واحد في إجراء حساباته. وللانتقال للمحزون في المحلة  
قامت ببعض «لصوكت» للبدان غيبة حيث تم إحراق القرى والمخاضيل، لكن لم نجد  
أحداً. حيث صعد لاس ولهاثم إلى الجبل، حيث يصعب مهاجمتهم.

هكذا تم كل شيء، ورفع المعسكر والمحنة، ثم توجهت نحو بني بزنسن بنظر في أمر  
لقائد الشيرين مسعود، لدي هرم، كم تذكر، فرقة مولاي عرفة. وبعصص شريف  
وربي يدعى سيدي محمد بن عبد الحار - فقد كان هناك دائماً في المحلة شريفين أو ثلاثة  
من هذه لأسرة الشريفة سحرية من مولاي إدريس نفسه، عبر حد لأسرة الأكبر ومولاي

عبد الله الشريف وكان «لبركتهم» المنتشرة بين الناس تأثيرا قويا على القبائل في علاقتهم مع المحرر - كان مع فرقة وحراس له، لحمل رسالة مولوية مختومة للقائد البشير تنصبه فيها قد، على كل نواحي بني يزناسن.

وبعد مدة قليلة دخلت المحلة أرضه في ذهول كبير. فعلى طول الطريق التي كان يمر منها السلطان كانت تمتد وحداث البشير على قدر ما تسمح به الرؤية، حيث كانوا مصطفىين على طول الطريق على شكل حاجزين غير منتهيين من الرجال والخيالة، مسحين ومرتدين لباس العيد. ثم تابعت الأفواج على مسافة تقدر بمسافة ما بين بوزنيقة والقنيطرة<sup>(17)</sup>. وكانت المحلة تمشي في الوسط كأنها تتحرك فوق زريبة مفروشة : وحداث القبائل في المقدمة ثم الشراكة ثم الوداية، ثم المدافع، ثم فيلق، ثم حاملي الأعلام ثم ضباط القصر، ثم السلطان تحت مضلته، ثم البخاريين ثم الشرادة ثم كل من يوجد عادة في مثل هذه المناسبات مر كل هذا، و بنويزناسن ينحنون فوق جيادهم ويقولون :

— الله يبارك في عمر سيدي.

ثم ذوت البنادق فرحا في اهتزاز مذهل.

وفي الأخير، وصلنا الى الخيام التي هياها القواد، حيث جلسنا لشرب الشاي وبعد ذلك جيء بالأطعمة الكثيرة والمتنوعة، فقد كان هناك ما بين 600 و 700 خروف مشوي، ودجاج كثير عد حصى الوادي والشعير، والقمح في «التلايس»<sup>(18)</sup>. ورغم كل ما قدم في هذا الحفل الكبير، فإن مولاي الحسن لازال راغبا في الانتقام وسجن القائد المنتصر على أفواحه وجنوده، لكنه ظل لا يقول شيئا.

وأثناء الحفل نادى الوزير الأول سي موسى على البشير وقال له بعد أن عين له مكانا شغرا قرب السلطان، وقال له :

— يمكنك الدخول والبقاء هنا، ولا خوف عليك، أو لست أنت السيد هنا إن سيدنا مسرور من هذا الحفل الذي رحبت به فيه والذي لم يكن ينتظره.

فأخذ البشير مكانه المعين له، فتقدمت أفواج بني يزناسن بالهدية، وسر السلطان من الهدايا المقدمة إليه، وبعد أن غادرت القبائل الحفل وأراد البشير أن يتعم بقسط من الراحة، قيل إن المخزن يريد استقباله وتشريفه ولا يمكن أن يذهب دون إحتفاء به، ثم عين له مكان بين الأعيان في المجلس السلطاني. وعند آذان صلاة العصر ابتدأت الحفلات وقدمت الأطباق المختلفة وعزفت الفرق الموسيقية أعذب الألحان الأندلسية، فانشرحت ملامح البشير، حيث يرد على التحايا والتهاني، كان البشير يشك في أنه سيقبض عليه لكنه أمام هذه الاستقبال والاحتفاء ظن أنه قد عفي عنه وسومح. فانغمس في الالتذاذ بهذه اللحظات السعيدة،

وعندهم كان يصحح من المستمعين لكثير بعد الوجبة، صرب أحد الرجال على كتفه  
وقال له

— القائد الشير. هناك ثلاثة رجال من بني يزنسن يريدون التحدث إليك فوراً.  
فنهض ثم خرج مع سي نور مصد فقيمه وأحد أقاربه. ليجد خلف الخيمة ثلاثة حداة  
مهمتهم وضع لقيود في رجليه، فظن يمين وشمالاً لكن الجنود المسلحين كانوا يحيطون  
بهم من كل الجهات، فأيقنا بأنه قضي عليهم، فأعطيت التعنيمات بأن يذهب بهم على  
الغسل نحو فاس في حراسة مشددة من 500 فارس بقيادة الشافعي المسكني، وكان بنو  
يزناس ينظرون إليهم ماريين ولا يعرفون إلا قتلهم الذي رأوه قبل قليل في خيمة الوزراء قد  
اعتقل في ساعته وسطهم وأمام أعينهم، وكنت قد أعطيت أوامر للقائد الشافعي أن يقطع  
رأس الشيرين إذا تعرض لأذى هجوم.

وفي الغد صبح طلب أصدقاء لبشير رؤيته ظناً منهم أنه في خيمة قائد المشور، لكن  
لم يجدوه تتاً. فقبل لهم أنه عند الفقيه، لكن قيل لهم بأن أمراً سلطاسيا صدر بجمع  
وحدات كل القبائل دون الحديث عن القائد المختفي، فعين عليهم قائداً جديداً نسبت اسمه  
لم يكن محط رصدهم وقولهم.

وهكذا تمت أحداث المتمردين الشير بن مسعود (أكتوبر 1876)

# الهوامش

- 1- كان مروى الحاح سالم الميدي : يتبع محلة السلطان صحة قائد العياشي ووحدة عيدة هذه كانت عذته منذ أن كان طفلا بن 12 سنة. فقد كان إذن في عين المكان الذي توفي فيه سيدي محمد عراكش كما صاحب المستودع الجديد في بحر كاته شمال المملكة.
- 2- جميع شريف، وهو المحذر أصلا أو افتراضا من السي (صلعم) من ابته فاطمة الزهراء.
- 3- هذا المعسكر ليس بعيدا عن سور المدينة قرب الطاحونة.
- 4- كان بحراس ابرسميون لقصر فاس مكونين من الشراكة وأولاد جامع، وفي مراكش من الوداية وسوس، وفي مكاس من البحارين وفي الرباط (قبل 1864 في عهد سيدي محمد) من التواركة ومزيج من سوس والوداية.
- 5- عبارة عن استطلاع هجومي كبير، بسرعة كبيرة مع هدم بعض القرى وقطع بعض الرؤوس.
- 6- عبارة عن ثور يقطع عرقوب ساق هدية يقدم رمزا للطاعة والولاء ويساق عادة أمام حيمة.
- 7- عمود مكلف بالشؤون الإدارية والمالية للمدينة، ورئيس تعاونية مهية.
- 8- الحاح محمد بن المدي بنيس.
- 9- من أساته مولاي المهدي خليفة السلطان مولاي يوسف على تطوان توفي في دجنبر 1923.
- 10- في موقع هناك اثنان يسميان مولاي إدريس الأول دفين زرهون (788 و798 م). العاصمة الأولى للأندلس ونيني، واثاني بفاس (808 م) ودينها (808-828 م).
- 11- محفوظ من جلد في محمل الفقهاء، يوضع فيها المصحف، وتسمى عند العامة الدليل.
- 12- مسكن كبير مكون من غرف فوقية، وإسطبل في الأسفل للمبائم.
- 13- اسم طلق على الغرف أو المكاتب التي يشتغل بها الوزراء مع كتابهم.
- 14- حي شمال فاس.
- 15- حيمة الضيافة، مبنية، حارجة بعض الشيء عن القراك.
- 16- وقعت نوبته في مصحف واد بوكريه، ويذكر البعض أن الواقعة قد سهلت أمام الإنقطاع للمأجور للمباء لدى احتياط عسه عيانه بواسطة سدود.
- c. Fi de Foucougl : Reconnaissance au Maroc, P : 34 (Tirage , 1934 ,
- 17- أي 70 كلم وعلى سالم العبدلي يبالغ، فيمكن أن يكون لم ير حبيدا، أليس من حقنا عذره بعد أحداث ادواد الخهمية ؟
- 18- عبارة عن أحرقة كبيرة مصنوعة من الصوف تجمع فيها الحبوب وتنقل على الحيوانات بعد أن تكون قد ورست حابياها، لأنه غالبا ما تكون مكونة من جانيبين.

حملات مختلفة (إلى وادي سوس)

(1886-1882)



وبعد ثلاثة أيام عن أحداث بني يزبسن استأنفت المحنة طريقها نحو فاس. حيث توقفت بعض الأيام في وجدة. وكان السلطان قد التقى ببعض الضباط الفرنسيين على الحدود المحورة، حيث وضع أمام لسنصن فوج ستعراضي من الجنود (الأجانب) إنهر به ويتقد حركات وسرعة بحار تداريه تحت تعيمات رجل واحد في انضبط تم وصمت مطوق. فصاح السلطان :

— هكذا أريد أن تشتعل أفواج جنودي.

فعمد مباشرة بعد الاستعراض، إلى الطلب من ممثل الحكومة الفرنسية أن يمدّه بمدرسين عسكريين لأفواجهم النظامية من أحسن الإفادة من خسراتهم في فن الحرب. وقد تم هذا الاتفاق في وقت كان فيه بعض الفرنسيين مع رحل المخزن يعملون على رسم وتحديد الحدود بين الجزائر والمغرب حيث تمت المفاوضات في حو يسوده تراصي وارتياح الطرفين. بعدها استأنف لطريق نحو فاس.

وقد تدارس مستشارو السلطان كثيرا، قرار السلطان بتجلب مدرسين عسكريين فرنسيين مذكرينه انه سبق أن أرسل بعض المغاربة إلى جبل طارق ليدرهم الإنجليز على المناورات والرمية<sup>١</sup>. ثم إن برجوع هؤلاء الشبان المدربين، سيتمكنون، وبسهولة، تدريب الأفواج المغربية. وبهذا لن يتمكن الأجانب المتمركزين بجوار المغرب من معرفة الحالة العسكرية للبلاد. فندم السلطان على طلبه هذا، محتجا بأنه كان نتيجة لما تعرض له في قضية غيثة. لكنه أضاف بأن لوقت قد فات لسحب موقعه « المنكي » وأنه سيتدر لأمر من أجل إبعاد القدمين الجدد عن العواصم، ومركزتهم في لربط مثلا.

وحلال إقمت بعض سوفت في فاس، طلب السلطان بش فاس اجيلالي بن حمو وقل له :

— أريد بعث محبة استطلاعية لاحتية تطوار وطيحة، هم تنصحي؟ فأجبه اجيلالي :

— الوقت غير مناسب سيدنا. فلأمطر على وشت البرول في فصل الشتاء، والبرد قدس الحمال مم يحصن عدد أحيث قنلا، واعموا أيضا أنه ستكون هناك اضطرابات في



لوحداث التي ليست متعوده على التحرك في مثل هذه الفصول الصعبة م سيجعل عددا كبيرا يمر من الخندية. ثم إنه إذا هاجم المخزن جبالة<sup>(2)</sup>، فإنه سيكون مضطرا للتراجع لهذا الأفضل فصل الربيع أو الصيف من أجل إنجاز هذه العملية.

\_\_\_ حسنا، قال السلطان، أشكرك يمكنك الانصراف.

ثم سارع السلطان، فورا، إلى طلب وحدات من القبائل المخزنية. وهكذا جمع حركات دكالة وعدة والشاوية والغرب. فلم تكن نرى سوى المحاربين حول باب السكمة. وبعد جمع كل وحدات ثم نقل المعسكر إلى باب الكيسة الذي يصل، كما يعلم الكل، إلى صريق تطوان. وطلب السلطان من جديد بن حمو وقال له :

\_\_\_ نعم جيدا، أنا في مشاكل دائمة مع جبالة فهم معارضون رافضون لكل سلطة / حكم. ولا أحكم قبضتي عليهم، ولا تجهل أيضا أن هذه الجهة هي مدخل طنجة بالنسبة لنا. ثم إنه من هناك يمكن أن تأتينا المشاكل مع النصاري. فرغم الطقس المضطرب لابد أن تتحرك محبت. وقد طلبت نصحك أنت، لأنه ليس لدينا أي أحد في المخزن يوازيك مرتبة، ثم إنني أعتبرك أحد آبائنا الأكثر حبا عندنا. فقل لي، بصراحة، موقفك من مثل هذه العنات؟

فأجابه الجيلالي بن حمو :

\_\_\_ أكرر لسيدنا بأن الوقت غير مناسب، ولا أعتقد أن السلطان يمكن أن يقدم، شخصيا، على حملة مثل هذه في الوقت الراهن.

\_\_\_ حسا، قال السلطان، إذا كنت / تعتقد أنه لا يمكن أن أذهب، شخصيا في هذه الحملة، فإني أكلفك بأن تختار لي من ضمن قوادنا أحدا مقتدرا على إنجاز مثل هذه المهمة.

السلطان أعلم مني.

مادام الأمر كذلك، سأفكر في الأمر.

كبت هذه الحادثة صباحا، وحوالي الساعة الرابعة مساء، جاء مخزني في طلب أخيلالي بن حمو. وبوصوله إلى القصر، أدخل الباشا إلى السلطان الذي قال له :

\_\_\_ لقد فكرت في الأمر ولم أر سوى حلين للمشكلة التي تشغل بالنا. فإم أن أذهب أن السلطان في الحملة، لكن مادمت لم تستحسن خروجي نظرا لما قد يواجهني من مخاطر. فإني أظن، وهذا هو الحل الثاني، إنك أنت من سيأخذ مكاني.

وحسب جيلالي قائلا :

— حسنا، سوف أذهب

وفي اليوم التالي أخذنا فاس، قيادة المحنة. وصل عبر لطريق المعتدة جبل ككب إلى حلة مرورا بين وريعر وسي رروال، مسكيلة، وبني مستارة... .

لقد كان عدد الجنود مهم، حوالي 15000 رجل بما في ذلك الأفواج النظامية. وكان قد جاءت وحدات الفدائل بقوادها الكثيرين حيث كنا نرى العباسي وبين عودة من الغرب ومبارك وعبد الله بن الشيخ من الشاردة، والشراكة مع ابن الرزوز وبني حسن والحلوط مع العواد والعربي لكحل والحاج عبد القادر بن حدة، وبني مطير مع رحو ولدمامة، وكروون مع رحو ولسرح، ويت يوسي مع محمد أطالب بن وعرب سديس مع ولد الحمية، والحيينة مع أربعة قواد نسيت أسمهم، لايتهم.

فوصل الجميع إلى أطراف ورعة وسط القبائل المتمردة. فكنا معسكر وترجع بعض الشيء وتتبادل طنقت الرصدص وكان سكان الجبال الذين أدركو أنهم لن يستطيعوا الصمود أمام هذه الجحافل التي تحتل أحواصهم قد قرروا الاستسلام والخضوع، ثم أصبحوا يعطوا النقود لمطونة مهم، ويقطعون (أبقدر، أعدم)، والحبول والغال. ولاأظن أنه كان هناك فتنة ولا رؤوس مقطوعة. وعندما تم هذا الإحصاع بعث العاثم ولصرائ تحت الحراسة إلى المحرر. مع طلب التعليمات من مولاي الحسن الذي كتب إلى الجيلالي بن حمو قائلا :

« أترك الآن الجبال في هدوء، واحمل معسكرك إلى أهالي فحص ناحية طنجة حيث أعلمت أن الطرق مقطوعة، وأن القوافل لم تعد تستطيع التحرك بين شمال وجنوب مدينتنا. »

ونظمت لحنة نحو فحص، وأرجعت لأمر إلى نصبها، واستطاعت، القوافل التي كنت تنتظر أن تتحرك في كلا الاتجاهين. وعندما علم السلطان بالخبر، كتب إلى قائد الحملة مهتئا لنجاح التم، الذي كسبت له العمليات المعجزة والتي تمت دون إراقة أي نقطة من دم مسلمين، وأنه لم يكن ينتظر منه أن يكون بهذه الحصافة والتخبرة. ولما كفاته عن الخدمات الحبيبة التي أسداها للعرش عينه بشا على طنجة، وخليفة سلطان على كل هذه لخدمة.

لم يكن إلحاح السلطان على إحق جيلالي بن حمو بطسحة إلا خطة من لسلطان من أحل إبعاده عن فاس، بإيعاز من سي أحمد بن موسى بن الوريير « الأول » الذي كان يحصى باحترام كل أعيان لمدينة

وأبهى لسلطان رسالة التولية (لاس حمو) بقوله :

لا نسي أن بطنجة وزراء القوات الأوروبية، الذين لهم مكانة قوية، ويستطيعون سريبت بين دولنا وقد فوضنا لك الأمر في التفاوض بشأن مصالحنا، بتعقل و رزانة. ومن أجل هذا متحنك متصب ثقتنا هذا ».

واستطاع السلطان بهذه العملية الذكية، أن يبعد شخصية بدأت ملامح « حطورتها » تظهر في فس، ويحلها بطنجة، محل الباشا الفعلي سي أحمد بركاش، أب سي عبد الرحمان بركاش ( الذي كان باشا الرباط )، الذي كان يؤاخذ عن كثرة موالاته للإنجليز ويعطوهم امتيازات في إنشاء المقاولات بطنجة.

وهكذا أصبحت مهمة الجيلالي بن حمو مراقبة بركاش. ثم رجعت المحنة إلى فس بعد أن استخلصت الضرائب من قبائل المنطقة.

استدعى السلطان إلى القصر أعيان المدينة بما فيهم خليفة الباشا المسمى أحمد الرايس الذي كان ينوب عنه في غيابه وقال لهم :

— إن الباشا الجديد الذي عينته عليكم هو سي عبد الله بن أحمد إير أخ وزيري سي موسى. وهذا هو خليفته مشيرا إلى الرايس. ثم إن وزيرنا في الحرب هو سي العربي الجامعي بدل سي عبد الله.

« علي أن أخبرك أن أم مولاي الحسن هي أخت سي محمد الجامعي. وقد كان مولاي الحسن يحترم أمه كثيرا، بل كان يمدّها بالرسائل التي يعطيها إياه الوزير الأول الحاحب سي موسى ».

### مراجعة نظام الجند

وبعد مرور مدة وجيزة عن هذه الأحداث ( ربيع 1878 )، رجعت المحنة مع السلطان وكل لمحرر إلى مراكش عبر الطريق المعتادة (مكناس، الرباط) وفي نهاية هذه الرحلة توفي سي موسى فأصبح محمد بن العربي الجامعي وزيرا أولا وحل محله في منصب العلاف أو وزير الحرب أخوه سي محمد الصغير، وهكذا بدأ نفوذ الجامعيين يتسرب إلى الخزن.

وقد أقدم السلطان سنة بمراكش مع حاشيته. وقد كانت هذه الفترة سيئة لانتشار المحنة. حيث مات عدد كبير من الأفراد والقبائل من الجوع والحمى.

ولم يكف السلطان عن مراقبة تقدم جيشه. حيث كثر الحديث في هذه الفترة عن طوبور أو فوح «الحرارة» بقيادة ضابط صف إنجليزي هارب من الجندية من جبل طارق يسمى : هري ماك لان Harry Mac Lean يشرف على تكوين محلي للتدريين كانوا يبعثون فيم مضى إلى مدارس. وإلى جبال طارق نفسه. وقد كون هذا الفيلق من رجال مختارين

من محتلف القدس، يرتدون بدلة حمراء، وسرويل فضفاضة من نفس اللون، وعمائم بيضاء حول لشدنياب، وجوارب بيضاء وأحذية عتيقة، أما سلاحهم فكان لكل جندي ساقية بخميرة أو مخيكة أو إسبانية، وحررة معلقة إلى محد أبيض عريض مع كنانة. وقد كبت الأضر مكونة من قبل أفراد تجريدة مكونة جبل طارق. أما لصط السمون فكوا يحملون مثل رتب الإنخبر. ويتمتعون بتعدية جيدة، أو يتقصون روايتهم بشكل منظم. بعض تأثير فئدهم مكلال الذي كبت بدلة تشبه نقربا بدلهم، لكن مزينة بخيوط ذهبية على الطريقة التركية، وقد كان مولاي احسن معجب بهذا لفيق حيث يتبع بشطه وتطوره بقيادة مكلال بأهمية كبيرة. وسيجعه في مرحلة لاحقة حرسه الخاص.

وبعد مدة وحيرة من ذلك، رعب السطون في خيلة مدرين بنفس لطريقة فجمع 800 من الرماة يرتدون نفس البدلة. لكن عاري السيقان. وبلاعي (أحذية دون كعب) مسحين سادق Martin Henry، وسيف معربي، وأحيان خنجر. وقد تم ستقدام إنخبري يسمى major Ogilvy بتدريهم

أما المدرين لفرسين ليس طلبهم مولاي احسن فحزوا متأخرين، وأعطيتهم مهم أقل أهمية، بتدريب المدفعين في لرباط. وطلبهم السطون إلى حبه، حيث أولى أهمية أكثر للمدفعية الذي بعتر الفرنسيين ذوي حرة فيه، (القسطن Erekman) وكان السلطان بولي أهمية كبرى لحبشه في حبوب كد أم في شمال من ممكته حيث يتعهد بالصيانة والتعدية والتسح ولؤونه. وقد حير مولاي احسن بشاطه العرفين حتى بهم قتلوا : إن على رأس المعرب مولاي اسماعيل حديد أحد أكثر سلاطينا الماضيين.

### حملات إلى تادلة

ورغم الحصينة الفلاحية السيئة في السطن تحرك بالحلة في فصل الربيع (3 ماي 1879) عبر سرعة وانتية لإحصاع قبائل بيت عتاب لموجودين على ضفتي واد العبيد، وكذا جيرانهم بني موسى بمنطقة دار ولد زيدوح وقضية بني ملال. وبعد إخضاع هذه لقبت نخه لملك ووررؤه نحو مكذس. وفي الطريق كبت الحدة تتدخل، كالمعتاد، ضد سي مطير الدين يحصعون دائما كل مره كان فيها لخرن موجودا على أراضيهم، ويتمردون بمجرد مغادرته لهم. وقد تمت محاصرة موصويين في أغوري والحجب وأرعموا على الحصوع وسيسيم لرهش التي سيصمون به حصوع القليلة، وتادية الصرائب المتأخرة، ومسح كبير تعويض عن مصريف احرب. لكن كان هؤلاء البربر أكثر تعصبا للاستقلال فرغم العقوبات لأكثر وقع لتي سحقتهم فبهم كانوا يعودون دائما للتمرد حتى إنه أصبح التردد على سي مطير، سوي، تيب ضروريا للمحزن.

وفد مكت السلطان في مكناس ستة أشهر تقريبا. وأثناء إقامته هذه حتى مرض السلطان مرضا شديدا إن خبر وفاته انتشر كثيرا، مما دفع بكثير من القبائل الى التحرك والتمرد (يناير 1880).

وبعد شفائه وصل مولاي الحسن إلى فاس. حيث سيقم أكثر من سنة. عاملا بين الوقت والآخر على بعث أفواجه لمختلف القبائل التي لم تؤد ضرائبها للمخزن. فبعثت حركة للغلاعة في الريف، مع مولاي الأمين، ثم ثانية لجلالة بضمواحي وزان. وفي الأخير ثم تأديب آيت يوسي. وباستثناء، هذه العمليات الصغيرة التي كانت ضرورية والتي لم تكرر دائمة، فإنه لم تكن هناك أشياء مهمة كالحروب مثلا. حيث لم يخرج، لفرگ، وكانت البلاد في هدوء وسرور. وفي ربيع السنة الموالية (1881)، اتجه السلطان نحو مراكش. حيث ستحل محله عند زمر ثم عند زعير التي اجتاحتها، متحدرا نحو الشاوية، معرجا على تادلة التي خضعت قبائلها البربرية<sup>(3)</sup>. كما استقبلت قبائل زيان أحد القواد مع قوات من أفواج المخزن، والتي ستكون نواة قوة موحا أحمو المشهور<sup>(4)</sup>. وهكذا دخلت الحملة المنتصرة مراكش حيث ستقضي أربعة أشهر الشتاء.

### حملات الى سوس

وفي الربيع الموالي (1882) كان على السلطان أن يتدخل في سوس لأسباب مختلفة لا أفهمها جيدا. لكن يبدو أن الإشبانيين عقب انتصارهم على سيدي محمد (بن عبد الرحمان) كانوا قد أسسوا مينا في آيت باعمران ناحية سيدي إفني. وكان الناس يتعاملون معهم كما أنه ليس للمغرب سلطانا.

وهكذا عبرت الحملة الحوز مرورا بقصبة اميتانوت وبلاد حاحة لتصل إلى أكادير حيث يوجد قنن لمخزن ثم انطلقت بعد ذلك من أكادير عبر ضفاف وادي سوس ثم دار الحاج العربي ثم تكاديرت ثم أولاد اسعيد لتصل إلى تارودانت (يونيو 1882)، البلاد هنا هادئة وفقيرة. فقد كنت المحاصيل الفلاحية هزيلة جدا ستين متواليتين نظرا لقلّة المياه وعمرنا المنطقة دون إطلاق ولو رصاصة واحدة، ولم يعرقل عبورنا أحد، وقد عمت المجاعة الجهة كلها. حتى إن السلطان اكرى بواخر لنقل الحبوب الى أكادير لمؤونة هذه الأعداد الهائلة من الرجال والخيول. وقد كانت تأتي هذه الحبوب من الجديدة (مركان) والدار البيضاء مما كلف مولاي الحسن أموالا كثيرة جعلته يقرر شراء سفينة للمخزن سماها الحسن. جيدة لصنع وأكبر بعض الشيء من فرقاطة.

وقد كان نطقس حارا. حيث عانينا كثيرا من مخاطر الثعابين الطويلة والقصيرة الموحودة بالمنطقة خاصة بغابة أديمم، التي منها يأخذ مروضوا الأفاعي بعضها لساحة

جامع انفا (مراكش). فم يكن يمر أي يوم دون أن تصاب 10 أو 20 بغلة ونجا العديد من الرجال من هذه السموم. كل هذا يقع كما قست لك، ولؤونة نادرة والحرارة مفرطة

وكنت لافعي السامة أكثر خطورة من الرصاص مما جعل أوضاع المحلة غير مستقرة. ورعة منه في معرفة موقع لتشييد ميناء للمحرون، فإن السلطان غادر تارودانت (2 بوليوز) عبر واد سوس عبر هواردة وشوكة ليصل إلى ماسه أعدالو على واد ماسة. ثم إلى أكلو حيث كان على النواحر يزل الحبوب الضرورية للمحطة. لكن أحوال الطقس المضطربة لم تكن تسمح له بمرال ما يكفي لنهيى ولو خيرة واحدة. وكان ممك أن ترسو هذه السفن بماسة أو أكادير، وشرعت القوافل في ترويدنا منها بالحبوب، لكن أعدادا كثيرة من الجلود فرت من أجل للحصول على «الخبز». وفي ظل هذه الظروف أصبح السلطان يفكر مليا في الرجوع وقد كان السلطان، في هذه المدة، يتفاوض مع شريف تارودانت محمد أهشم، الذي كان له نفوذ كبير على كل سوس الأدنى، من أجل الحصول على موقع مناسب لتشييد ميناء للمطقة. وقد كان السلطان بحرائه هذا، يفكر في تحويل الأنشطة الاقتصادية إلى هذه المنطقة، حتى لا يكون مصير إلى ستيلاف الميناء لإسبي، أو جهة من الشاطيء حيث تمركز الأنحيز دون ترحيص بذلك.

(مؤسسة Mackeustie مطرفية، و Cap juby) ويبدو أن مصب واد أسك كان أفصل موقع لذلك. ثم بعث من أكلو فوجان من الجنود نرلا عبر بلاد آيت باعمران. الأول لإخبر لإنحيز ضرورة مغادرة إدارتهم والثاني بقيادة مولاي الأمين من أجل تأسيس الميناء الجديد. وعندما رجعت هتار لعثن، كان لسلطان مستعملا لرجوع، خاصة أن المؤونة قد قست وحرارة شديدة، حتى إنه لم يكن تتحرك إلا ليلا. وصد مراكش عبر أكادير وبلاد حاح، مهكين حد (0، عشت 1887) وكان لسلطان قد ترك في عين المكان طابور لسخارين بقيادة العربي بن حمو معسكر في قصبة آيت باعمران، التي شيدت في موقع غير بعيد من البحر على الطريق المارة من أكلو إلى إفني. كما أعطى الأوامر لبناء، قصبة تزينت على بعد 20 كم من الساحل، حيث توجد عيون الماء والأراضي الخصبة.

وفي طريق العودة ولد مولاي عبد العزيز،<sup>4</sup> مما كان مناسبة لأفراح كبيرة عرفتها مراكش حيث كان لكن مسرورا، ورغم هذا فإن هذه الحملة لم تعط مكان ينتظر منها مولاي الحسن

وكان شريف تارودانت : محمد أهشم حفيد سيدي احمد موسى صاحب زاوية في الجبل قرب تريت، لم يعس لطاعة بعد، هو وعدد كبير من أتباعه وكذا القنائل المجورة لتي يرأسها، حيث كانوا يبحثون عن التمرد ضد الإدارات العسكرية التي أسسها وركزها مولاي الحسن. وقد كان تأثير شيخ لروية أقوى من تأثير لسلطان، ثم إن علاء وصعوبة

وصول المؤونة إلى المحلة لم يمكن المخزن من الإقامة مدة أطول في هذه الجهات دون حصاد حسائر أكبر.

لكن تقدم الأشغال بقصبة تزيت أظهرت للجميع أن عين مولاي الحسن ساهرة على سلامة هذه الجهات. ورغم تلك المشاكل فإننا كنا نحتفل في هذه الحملة ونعتبرها انتصارا خاصة أنها عرفت ولادة مولاي عبد العزيز. ابن لالة رقية وهي شركسية مفضلة عند السطود. حيث عمت الأفراح وانتشرت الحفلات التي حدثت عنها. وعندما انتهت الأمور كلها كما يجب، أخذت الأفواج العسكرية عطلة كاملة. وبحلول فصل الشتاء استمرت عملية ترميم الصفوف. وبحلول فصل الربيع (20 ماي 1883) غادر السلطان والمخزن مراكش.

وهكذا مررنا بالطريق التي تعجب مولاي الحسن الآن، عبر تادلة حيث جاء آلاف الفرسان الريانيين للسلام على السلطان، لكن كان على المحلة وهي تعبر بلاد « السميلة » أن تخاص معارك ضد هؤلاء البرابر المحتمين في قصباتهم. فحسنت المدفعية الموقف لكن ترك في الساحة أكثر من 500 جثة بالمقابل. وقد كان هؤلاء البرابر الذين يحمون نساءهم وأطفالهم وقطعتهم يستغلون مجيء الليل للخروج من القصبة في اتجاه الجبال.

وقمت بعد ذلك بغارة لبلاد زعير وفي شهر ثم وصلنا إلى مكناس (أكتوبر 1883) حيث قضيت فصل الشتاء.

وفي فصل الربيع، انطلقنا نحو فاس عبر بني مطير، واستغللنا فرصة المرور بهذه الطريق لنحربهم كما جرت العادة بذلك، وقد كان السلطان يرغب هذه المرة في محاصرتهم بمحلتهم كسمكة في شبكة، لأنه منذ أن تظهر أفواج جيوش المخزن على أراضيهم إلا ويتفرقوا بسرعة كفراخ الحمام. لقد كان مولاي الحسن يريد القضاء عليهم تدريجيا، خاصة أنه لم تكن هناك فعلا حفلات هذه السنة تجعلهم يقدمون إلى المخزن ليأسر منهم 100 إلى 200 سجين.

وكان السلطان قد عين عليهم هذه المرة قوادا أقوياء لإخضاعهم والحد من تمرداتهم المستمرة. فعين ولد مامة على آيت بوعثمان، وشابون على آيت غزالة، وولد تارغت على آيت زمان. وكان السلطان عازما على سجن هؤلاء الحمقى حين مجيئهم الضروري لتقديم إحدى الهدايا.

وكان السلطان قد أقام، بعد ذلك، قرابة أكثر من سنة في فاس. ثم رجع إلى مراكش في غضون سنة 1885) وقرر إرسال حملة ثانية إلى سوس. لأن العرب المعقلين قد تردوا، ثم إن الأنجليز شيدوا بنايات تجارية على ساحل طرفاية وأركيسيس، مما قد يزعجهم

سبط ميته أساك وقد كن هؤلاء لأنجبر ( ماكري صوفية، وكورطيس أركسيس )  
 بعموم في التجارة والمداوات مع شيوخ لمطقة ممدكة وموافقة شريف تررولت. وقد  
 كن هذه نحة أكثر محاد من لأوى. حيث بعث « أسماء » ومومين يعرفون المنطقة جيدا.  
 ولا حظوا أنه يمكن أن تصل المؤن بسهولة أكثر وأضمر. وكن جميع مخزن سوس مملوءة  
 بالحوب ثم إن ترنيت ذات لأبواب استة محروسة أكثر فأكثر من قبل سعة طوابير (المشة)).

وهكذا إذن عدرت المحلة مع السطرب مراكنش لتصل إلى ترزيت (1886) ونطلاق منها  
 نظمت فرقنا للإعارة عنى آيت رعمران الأولى سوف تمر عبر الخط الساحلي للحراسة  
 لحيم والنساء والموكب. والشبه من الدحل بقيادة مولاي الحسن ليلتقيا معا في أركسيس.  
 كما قامت نخردة من نخود عنى احمال، بقيادة سي علال لمسموي ولقائد مبارك من  
 الشيوخ بهدم كل باب ومحطت الأورين التحرية. ولم يكن هناك أي رد فعل من  
 لأحب لدين فرو في نجاه موحرهم لتي كن تنظرهم في البحر ثم نزل بعد ذلك  
 بوادي نون حيث فعلنا الشيء نفسه بالنسة لمرار لسبقة لطرفية. فم نحد أمن أي  
 أوروبي. ولم تكن هناك أي موجهات أو قننى أو على الأقل فيما أعلم. وقد كن لميناء  
 أساك أهمية خاصة حيث تمرركز به لمز لتمر لمبادلات لتجارية في أحسن الأحوال دون  
 وسطة لإسكان المحورين. أم بالنسة للاحير امين طردهم فقد وصعوا في الميناء لتعويض  
 حسرتهم التي لحقت بهم أثناء لهجوم. كما أخضعت أيضا تلك القبائل المتمردة بعد  
 تراجع شريف نارولت وإحلاء لمز للأنجبر. وتدمير مشنهم وقوة مينائنا الحديد اساك.  
 كل هذه لأحداث جعلت لمز يتقدم نحو وادي بون ليدخل كميم في استقبال كبير. ثم  
 رجع بعد ذلك إلى ترزيت. وليرور مسحد ماسة ثم بلاد شتوكة اخضعة لقبائل هواة  
 (تارودت) ثم واد سوس. ثم ليحارب إذا أوتسن خاصة. ليدخل في الأخير إلى متوكة.

### استقبال المتوكي للسلطان

نقد كن مولاي الحسن يفكر في سجن قائد لمنطقة الحج مسعود لدي بدأت أهمية  
 تنمى بشكل سرر. وموصول إلى در القائد لمتوكي فوجئ، باستقبال كبير مدهش كثيرا.  
 لقد كن مقدم في هذه القصة كنه أفراح وحفلات لانتسى. وعدم حاءت القبيلة بالهدية  
 في ليوم لمولي. لاحظنا، صم أشياء أخرى. صفا من الرجب مرتدين ثيابا بيضا،  
 مصطفيين عنى قرب 800 متر بعموم عنى ظهورهم أكيب ثقيلة من « الدوروت، بالإضافة  
 إلى تقديمهم 10 أو 15 نعة حيدة، وقوية صلدة مثل الحدران. و 25 إلى 30 فرس جميل  
 وقوي مرينين كلهم بالذهب والقصة، حتى إن كل واحد منهم يساوي مئات الدوروات  
 بالإضافة إلى لأثوب ولرراي. ثم تقدمت بعد ذلك عنة متوكي بهدية خاصة،  
 حيث كن برى حيولا أكثر رشقة. وكنيب مسنة بالقطع مدهية.



وكان الحاحب، الداهية، باحماد ابن سي موسى الذي ورث عن أبيه هذه المهمة،  
يجمل الحاج مسعود، والذي قال له في تواضع واتزان :

... كل ما رأيت ليس شيئا ذال بال، فأنا مسرور وفخور فقط، بهذا التشريف الذي  
تفضل به علي السلطان والذي شرفني بقدمه إلى منزلي، وهذا بالنسبة لي ولأهلي حدث  
تاريخي لا يسي. فالآن يمكن لي أن أموت أو أسجن لا يهم، إنها قمة السعادة عندما متعني  
الله بفرحة استقبال سيدنا بداري.

... إن كلامك حلو كالعسل، فالسلطان يشكر لك تصرفك وكلامك الجميل قل لي  
الآن ما طسناك؟

... معروف صغير أوده منك، أن تطلب من السلطان موافقته بإمكان زيارة أهل بيتي  
لنساء السلطان وتقديم الهدايا.

فأعطيه ما أراد بسرعة. وعند مغيب الشمس شرعت نساء المتوكي في الذهاب عند  
نساء السلطان اللواتي تنتصرهن مزيّنات بالخلي داخل الخيام في الفراخ. فجاءت الزائرات  
راجلات دون حراسة، ودون ثياب جميلة كما نجد عند « الشلوح » لكن كانت تحمل كل  
واحدة منهن على ظهرها، جلد جدي مذبوغ محشو بالذهب وهكذا دخلت عند المرأة  
المفصلة عند السلطان للارقية أم مولاي عبد العزيز، التي استقبلتهم بحفاوة، ثم وضع  
هداياهم المقولة. لقد كان عدد نساء المتوكي يتراوح ما بين 25 و30. وكان مع مولاي  
الحسن 40 امرأة حركّة.

وكان السلطان الذي رأى وسمع كل هذه الأشياء، قد وصل به الاندهاش أقصاه.  
وقال للحاحبه باحماد :

— إن هذا المتوكي لا يستحق أن يسجن. لقد كنت أريد القبض عليه لأنه متمرّد  
دائم، حتى إنني وأنا في مراکش، فإنه كان يهجم على أولاد ابن أبي السباع ومزوجة  
والشبيظمة. وحاحه. ويدمر منازل قوايدي وينهب الذهب والعييد ويذبح الأغنام. لكن  
رغم كل هذا، انظر كيف يستقبلنا، وانظر إلى أملاكه الكثيرة وممتلكاته الثمينة، وأراضيه  
ذات القيمة الكبيرة. وفي الحقيقة لا يجب اعتباره عدوا للمخزن بل دعامة له. فعليت تركه  
في أمن، وستقبل قبيلته دائما بارتياح أكبر. وعلينا نحن الآن أن نقوم بدورنا بحفلات  
كبيرة يحس بها المتوكي أنه صديق لنا. فأقيمت الحفلات ورقصت الرقصات وسمعت  
الموسيقى، وقدمت الأطعمة الكثيرة. ثم رجعنا بعد ذلك إلى مراکش حيث سنقيم بعض  
الوقت.

ونظم السلطان، انطلاقا من هنا (مراكش) صوكة إلى السماعلة بتادلة، ليصل إلى  
مكس، ويحارب بني مطير حيث سجن قوادهم و400 محاربهم، وبعد تعيين قواد  
جدد عليهم، وصل المخزن إلى مكناس، ومنها إلى فاس.

ووجد في ساحة المشور « المكينة » تشتعل تحت إدارة لإيطالي Campini كاميني حيث تصنع هه. كد قبت لك سيق، النادق والمدافع من العير الصغير والقطع النقدية. لكن رعم اشتعال لالة طول النهار فيها لم تكن تعصي أسحة أكثر لسمحاريين. وكان مولاي الحسين يولي اهتمام كبير بهذه الصسعة

وفي لسة لمولية (ربيع 1888 ) قام مولاي الحسن من جديد بمراكش. حيث كدت هه عميات ضد تنيفه. وسي مكيد وأهلي جبل فزر.

وفي هه لسة تزوج مولاي امحمد الإس المكر لسلطن مراكش. وعين خليفة على المنطقة. محل مولاي عثمان الذي بعث مع المحله لمحاربة تدلة.

لقد كن لمولاي الحسن عدة إخوة أعطهم مراكز مهمة فبالإضافة إلى مولاي عثمان هذا الذي كن. ولمدة طويلة. خليفة على مراكش. كان ههك مولاي الأمين ومولاي عرفة الذي كن مختص في العميات الحربية والذي كن بذهب أحيانا مع المحلات ومولاي رشيد الذي كن عملا على تفيالت. ومولاي إسماعيل الذي كان عدا مثقف محترما جدا.

وبعد هذه الأحداث رجع السلطان إلى فاس. حيث قرر زيارة شمال مملكته. وهكدا عبر جبال عمدة ورر الشور وجبل العلم وتطوان وطنجة واصيلا. وفحص الريحان وواد المخازن والعرائش ( حيث عمل على تقوية أسوارها ) والقصر الكبير. و حد كورت وواد سبو. و بني احسن. وواد الردم. ومكنس وواد النح ثم فاس.

### أحداث آيت شحمان

وبعد إقامة بعض الأيام في هه العاصمة قرر الرجوع إلى مراكش ( وهكدا ترى أنه دائم على صهوة حواده ) مرورا من حديد سني مكيدة حيث وصلوا دون مشكل إلى حيفرة. عند موحى أحمو لرربي الذي شيد قصصت قوة بلطيين الأحمر، ويمكن أن يصفف في السهل 18000 فارس مسلح ومستعد للحرب. لقد كن دائما في مطاردة آيت شحمان المتمردين والمعتصمين بالجبال. وكان السلطان قد ناقش مع موحى إمكانية بعث حركة من أحل مباغثتهم وإحضهم. وهكدا كف مولاي سرور بن مولاي سليمان بهذه المهمة. حيث وصل مع وحدته إلى الجبل. وم يرجع أي واحد منهم سوى مولاي سرور المكلف والحج أحمد الحمر الذي بظر أن له يدا مع آيت شحمان. ليحك في المعسكر كيف مرت لعمية

عندما وصت حركة لمحور إلى الجبل وعسكرت بالقرب من المتمردين ن جاءت بعثة من أشراف القبيلة « بشيرن التركية » قتلين بأهم مستعدون لخضوع والطاعة وأهم لايرفضون لامؤونة المحور ولا صرثيه. وأهم مستعدون لأن يستضيف كل واحد منهم 10 إلى 20

جندى من لوحدة. وهكذا احتفلوا برجال الوحدة، الذين لم يسبق لهم أن كانوا في الجبل في حو عائلي. وذكر الخمار المستشار بدور الضيافة من الجانب الديني وبأنها شيء محبوب في سائر بلاد الإسلام. وبعد ذلك جاء الناس لمرافقة ضيوفهم إلى المنازل، ولم يبق في المعسكر سوى حرس رمزي مع مولاي سرور وأحمد الخمار. وعند غروب الشمس سمعنا طبقت درية، ثم خرج أحمد في هذه الأثناء من خيمة الشريف للوضوء. ولم تكن تلك الصلوات هي الواقع إلى مؤشرا على بداية المذبحة، حيث كانت تقطع أعناق الصيوف المجردين من الأسلحة التي تركوها عن حسن نية، خارج المنازل. وبعد مرور دقائق عن سماع هذه الطلقات لم يبق أي شيء من الأفواج المخزنية فرجع أحمد الخمار إلى الخيمة بعد أن سمع ضحيج مواجهة الجنود لآيت سخمان الذين قتلوا الحراس، وتفاوضوا فيما بينهم في الحصول على رأس الشريف. الذي فر به بسرعة مرعوبا ليلا ليوصل خبر المصيبة الكبرى إلى معسكر خنيفة.

وبعث على الفور عدة «مخازنية» لإعلام السلطان الذي كان موجودا في حركة ببلاد بني مكيد. وكان موحى أحمو قد جهز 3000 فارس، وتحرك دون أن ينتظر السلطان، في اتجاه تلك المناطق لكن بمجرد وصوله إلى عين المكان، أدرك أنه لم يعد هناك أي شيء يمكن لقيام به. فم يبق هناك أي أحد على قيد الحياة، ثم إن قبائل آيت سخمان كنت قد تفرقت كما تفرقت الغربان بعد نهشها جثة ما. وكتب الزياني الذي كان رجل الأمور بهذه الطريقة ومسؤولية هذه المأساة يتحملها السلطان نفسه الذي أرسل هذه الفرقة، رغم معارضة الزياني. عند هؤلاء، الثعالب المتوحشين والذين يعرفهم جيدا. وبالتالي لم يكن عليه مسهم. وبالفعل، اطلق موحى أحمو إلى آيت يعقوب أعيسى إحدى فخذات آيت سخمان، فنهزم وأخذ منهم الأسرى. وكان السلطان الذي طالما عانى من ندالة وجبن آيت سخمان قد بعث قسما من الحملة لتقوية الزياني أيام، لينطلق إلى فاس حيث سيعدم الأسرى ويعلق رؤوسهم المقطوعة على باب محروق.

## آخر المحلات

(وفاة مولاي الحسن 6 يونيو 1894)



كان السلطان قد أقام مدة طويلة نفس. حيث ظل مشغلا بترميم جيشه، وضم الوحدات وتجهيز أسلحته ومؤنه. وطلب النادو من أوروبا لأن المكينة لم تعد تستطيع صنع سوى خمس بندق في ليوم.

وكان قد بعثت حركة إلى تدلة ضد آيت أربيع، وإلى الحوز. لكن السلطان لازال لم ينس آيت سخمن، وقرر القيام بعملية كبيرة ضدهم. فكيف وزير الحرب سي محمد الصغير، وكبير مدرسي المدفعية مولاي أحمد الصوري مع أفواج لگيش ووحدات قبائل تدلة. وتردد في لبداية عبي آيت مراح، حبرن آيت سخمن، الذين كانوا يحاربون ضمن لصفوف المحرية، ثم حرو معهم قسما من وحدات تدلة. سيما كان آيت سخمن الذين هبوا هذه المسرحية يهجمون، ونهزمت المحلة وعمت من حديد وتركت عدة قتلى وجرحى لتراجع وتدخل فاس دون أن تستطيع حصص هؤلاء من أهالي الحبال (1892).

وشرح مولاي الحسن العاصم عنهم أنه سيسحقهم فورا. لكن عليه الآن الذهاب إلى تافيلالت موطن أجداده وسلالته. فأعاد تنظيم محلته حيث وصل عدد أفرادها 15000 رجل، مسلحين ومجهزين بكل شيء. وعندما اجتمع الكل على قنطرة سوا تجمه السلطان والمحزن نحو الجنوب عبر صمرو ثم تغروت كيكو ثم الحبل آيت يوسي، ثم قصبة المخزن على واد ملوية ثم تيري تالعمت ثم راوية وكيلة ثم واد رير ثم قصر السوق ثم بوعدم ثم قصبة مولاي رشيد حليمة تافيلالت، لقد جاء السلطان لزيرة قبر جده لأكبر علي الشريف<sup>6</sup>. وبعد مرور عدة أيام التحق به ابنه الأكبر مولاي امحمد خليفة مراكش مع وحدات الجنوب التي انطلقت معه كالأوة ودادس وإيمصر وتودغة

وقد كان هذا السفر نجاحا. حيث أظهر مدى ولاء الناس للسلطان في هذه المناطق لثائية، التي لم ير منها أي تمرد. وهكذا حصصت كل قبائل الجهة استقبالا كبيرا للسلطان. كما عززت المحلة لمحاربهم آيت إيغلمان وآيت عطف وآيت موعراد وآيت قبش، وآيت إردك. لقد كانت هذه الزيرة فعلا سلسلة من لأفراح.

وحلال الرجوع، اجتمعت المملكتان لترجع عبر الطريق التي جاء منها مولاي امحمد، لكن كد بعض شتاء (نومبر 1893) وكان البرد قارسا، حتى إن بعض المشاة قد انغرست أقدامهم في أوحال بلاد كلاوة.

ومباشرة بعد الوصول إلى مراكش نزع مولاي الحسن من مولاي امحمد منصبه، ومهم الخليفة وموظفه، وخيوله وعبيده مؤاخذا إياه عن أخطاء جسيمة في تسيير العمليات الحربية وفتور في القيام بالشعائر الدينية. وأعطاه دار مولاي الزين إقامة له، وعين له فقيها يعنى شؤونه. وقد كان الابن الأصغر مولاي عبد العزيز محط اهتمام وعناية كبيرين، لكنه لارال طفلا لا يستطيع ممارسة مهام الخليفة. وتم تعيين أخيه مولاي عثمان خليفة على مراكش من جديد.

وحلال هذه الفترة ( دجنبر 1895) كان قد وصل سفير إسباني إلى مراكش<sup>(12)</sup> : فقد كنت هناك مواجهات في مليلية بين الإسبان وأهل الريف عندما كان السلطان في تافيلالت يد كد أهل لريف منزعين من بنايات النصارى قرب أضرحة أوليائهم حيث كانوا يهدمونها ويعيدون بناء ها مدعين السلطان أعطاهم الحق في التصرف في هذه الأراضي.

وكان السلطان قد وافق على دفع أربعة ملايين دورو من أجل الحصول على سلام مع الإسبان لكنهم طلبوا بالمقابل ستة. وقد كان يحس أنه ليس من القوة ما يستطيع بها مواجهة الإسبان. وهكذا مر فصل الشتاء بمراكش عانى فيه السلطان من المرض عدة مرات.

ومحى الربيع كنا نهيء للرجوع المعتاد نحو فاس. لكن السلطان الذي لم يسر آت سخمد كد قد عزم على مواجهتهم. فنظم حركتان الأولى سارت عبر الطريق المعتادة بقيادة ابنه مولاي عبد العزيز. ووصلت الثانية إلى تادلة بقيادته.

ه هو الأمير الصغير يتحرك مع حركته (17 ماي 1894)، إنه شاب وسيم (13 سنة) فوق جواد هادي، وتحت مضلة كسلطان. وبالقرب منه كان يوجد سي محمد الأمrani النابعة المكف تربيته، وزوج أخت مولاي الحسن، وقائد المشور بلقاسم احليلي، وأيضا وريره الأكبر سي العربي المنيعي (الذي كان مثقفا، وعالما متشرعاً مات بعد مدة بطنجة محتق بعزات الفحش الخشي). إنه بالفعل قصر صغير يتحرك مع هذا الطفل. وقد كان الناس يتزاحمون خلف أبواب المدن لرؤية الموكب، حتى إنه كان يقال إن هذا الأمير الصغير يشبه مولاي الحسن في كل شيء، وأنه سيكون دوره لامعا (كما يعوض الربيع فصل الشتاء) حاملا في يديه الصغيرتين الأزهار والرفاهية للعرش.

وقبل الانطلاق كان أباه قد ألبسه بدلة عسكرية لا يستطيع خلعهها. ورافقه المخزن طويلا في البداية ولم يغدره إلا كرها. وقد كان على مولاي عبد العزيز أن يصل الى الرباط دون توقفت حيث سيقم بعض الأيام في انتظار أبيه.

و بعد انصرم مده عن هذه الإصلافة التي أحترت الحميع ترأس مولاي الحسن رغم مرضه وبعد مغادرته مر كس (22 ماي 1894). حركة أخرى صحبة كل حدم قصره. فقد كن يريد أن يسكن في طريقه بايت سحمان، قنة مولاي سرور. وهكذا نطلقا عبر زاوية سن ساسي، وتمايلات الحديد حيث رار السلطان صريح سيدي رحال، ولگاتر (السراغنة) وواد تاسوت وجمعه نتيه وصيد عني ود لعبيد، ودر ولد ريدوح عني صنف أم ربيع واشتد المرض على مولاي الحسن<sup>8</sup> بالوصول إلى هذه لمطقة. فبعد صلاة الصبح كن السلطان يجد صعوبة بالغة في الدحول إلى حيمته وهكذا فرشت لوزابي والأفرشة بسرعة حتى يتمكن من الإستراحة أكثر. وقد كن عني المحنة أن تبقى تسعة أيام سدار ولد ريدوح دون تحرك

وسرع لحاح سي حمد بن موسى معروف أكثر باسم راحمد ليقول له :

— مد هذك سيدي؟ آه إبك متعب فعلا ولن تستطيع إتمام الحركة، فمن الأفضل أن نرجع إلى مراکش، وأل يكف محمد لصغير بإتمام العمميت التي خططت له، فقال السلطان :

— مريد ! كنت أظنك رجلا حذوما، لكن تين لي أنني كنت مخطئا، كيف؟ فإذا كان حدي سيدي محمد بن عبد الله دفين الربط رحمه الله قد توفي بتدلة، تريد أن يرجع حفيده لأصغر إلى مر كس فلا بد أن أذهب إلى الربط ولن أرحع إلى مراکش ولو كلفني ذلك حينئذ من يعير شيئ من قدر له.

و بعد أن استرجع نفسه بصعوبة، قص صدره لأن جنبه كان يتمزق ألم وقال بصوت منخفض :

— أه ! مولاي عبد العزيز !

فصرح راحمد مدعورا :

— مذك سيدي

— سي أحسن أألم شديد، وأحب أن يكون مولاي عبد لعرب رجاسي في هذه اللحظة بدد أن يتطري في الربط.

فقار به راحمد :

— فم يخيفك سيدي؟

— لا أحف شيئ، لكن قد أموت بين العينة والأخرى، ولا أعلم هل سأصبح عدا أم

لا؟



وعند سماعه هذه الكلمات، بكى باحماد، وانحنى على رجلي مولاي الحسن فقبل قدميه وقال له

\_\_ لله يحفظ سيدنا !وأذهب الله عنك الألم الذي تعاني منه. ودعواتي لك بالصحة وطول العمر.

ثم ساد الصمت مدة طويلة كان فيها السلطان يعاني من آلامه، ثم قال :

\_\_ ماذا تريد أبا حماد المسكين؟ فلا أستطيع فعل أي شيء لأننا ولا أنت.

فقال الحاجب :

\_\_ إذا كانت الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى فإننا نتمنى من الله عز وجل أن يؤخره بعض الشيء وإذا كان مولانا السلطان يرغب في أن يصبح مولاي عبد العزيز سلطانا مكانه فهذا أمر سهل. فكل شيء جاهز.

\_\_ ماذا؟ كل شيء جاهز؟ هل تمزح؟ فإذا وليت وجهي من يضمن لي بأن العمل سيمجز ويطبق، خاصة أنه لن تعود لي عينان أراه بهما من يمارس الحكم؟

\_\_ فلا يقلق سيدنا، سيمر كل شيء بخير.

ما عليه سوى أخذ ورق، ليكتب ما يريد أن يحصل. وستكون أوامره وتعليماته محط طعنا وستطبق كما هو الشأن في حياته. ومادام السلطان يريد ذلك (تولية مولاي عبد العزيز) من قبله فالله يتصر مولاي عبد العزيز لديننا وديننا.

وبعد كتابة هذه الكلمات، أعطى أوامره بتطبيق ما جاء في الوثيقة، وأقر صحتها. وأصاف أنه يجب أن تؤخذ بعين الإحترام والتطبيق بعد وفاته.

ثم أخذ الحاجب الوثيقة وقال :

\_\_ حفظ الله صحتكم !! سمحوا لي بالخروج سيدنا.

وخرج من القراك، وأرسل في طلب كل الوزراء الذين التحقوا بخيمته. فتحلقوا حوله. فكان هناك : الوزير الأول الحاج المعطي الجامعي، وأخوه سيدي محمد الصغير وزير حرب، ووزير المالية موحى التازي الرياطي، ووزير الشؤون الخارجية (وزير البحر) سي فصول عريظ ووزير الشكايات سي علال المسفيوي، وأمين الحسابات أو كاتب الحسابات العربي الزبدي، وقائد الجيش الكبير للمحلة باحماد الشركي.

ثم توجه إلى المسفيوي بعد أن أظهر له الوثيقة -الوصية وقال له :

- هذه أوامر سيدنا ويجب أن تطبق حرفياً. عندما يحين الوقت : فكن على علم بهذا، ووقع بعد ذلك

فدهش الوزير عندما قرأ هذه التدابير الوصائية، ورفع رأسه باطراً للباقي المترقبين وقال :

— يجب التوقيع، إنه بالفعل خط لسلطان.

ثم أعطى الوثيقة إلى الخاج المعطي بعد أن أطلع عليها ووقعها، ثم إلى محمد الصغير. لكن في الوقت الذي كانت تنحه فيه الوثيقة نحو العربي الزبيدي، انتزعها باحماد، حتى لا يستطيع الزبيدي ومن معه من كدوا معارضين له قراءتها. والتفت نحو سي علال المسفيوي وقال له :

— ماذا تروى في كلام سيدنا؟

— ليس لديك منقول. إنها أوامر سلطان، وصحة ويخط يده وليس عليه سوى العمل على تطبيقها في الوقت الذي يختاره الله سبحانه وتعالى.

فوقع باقي من لم يوقع، باستثناء العربي الزبيدي والآخرين الذين أدركوا أن الأمر يتعلق بخلافة في الملك لكنهم سكتوا خوفاً من باحماد القوي

ثم بهض هذا الأخير ترك الوزراء. ورجع إلى لسلطان الذي كان يتسوى أما فوق إحدى الزرابي.

ودون أن يقول أي شيء، بسط باحماد أمام لسلطان الوثيقة التي قلت لك بعد أن وقعها الوزراء. فقل له مولاي الحسن :

— الله يرصي عيث باحماد !

ثم رجع هذا الأخير إلى الوزراء وقال لهم :

— هذه أوامر وتعليمات سيدنا، فأنا أرتضيها وأدافع عليها بكل حماس وغيره وسأحفظ عيها دائماً.

ثم تفرق الوزراء

كنت الساعة الرابعة مساءً تقريباً، حينما حاول السلطان الخروج لصلاة العصر - خيمة المسجد توحده في الحرج قرب الفراك - لكن بعد خطوات قليلة، لأنه كان يتحرك بصعوبة للوصول إلى الخيمة، سقط السلطان مغماً عليه، نصفه فوق الزريبة والنصف الآخر على الأفرشة، فأقيم وصب على وجهه ماء البارد. وطلب الفقيه الخاج الهاشمي

الركركي الذي كان علما كبيرا وشيخا مسنا يبلغ من العمر 100 سنة. فتقدم منحني الظهر والشيب يغطي وجهه. ثم جلس بالقرب من السلطان يحدثه بهدوء ليستجلب ويصبر. ناصحا إياه باستقدام القائد ماكلين الموجود في الحركة مع طابور الحراية. لأنه كان يحمل معه داء حقيية فيها أدوية أنجليزية. لكن عندما استشير مالك لاين رفض إعطاء أي دواء إلا بعد فحص السلطان. فقال له باحماد :

— لا يمكنك رؤيته لأنه متعب جدا. فأعطه فقط دواء من أجل إعطائه قوة أكثر. فأجابه ماكلين :

— يجب رؤية المريض أولا قبل إعطائه أي علاج، فلا نستطيع إعطاء دواء للكبد إذا كنت الكلي هي المريضة، أو مسحوقا للمعدة إذا كانت الرئتين هما المصابتان. فقاطعه الحاحب بسرعة ونبرة أكثر حدة.

فقال الأنجليزي :

— إذهب أقل ماشئت لن أعطي أي شيء. فالأمر يتعلق بسلطان. فلو أنني أعطيت أي دواء وتوفي في بعد ذلك، وهذا أمر قد يحدث في أي لحظة. سأتهم بأني كنت لسبب في موته ثم ولى ذاهبا.

مر الوقت، حل الليل.

كانت الساعة التاسعة مساء. حينما لاحظت أمة سوداء كانت ساهرة بالخيمة، أن تنفس مولاي الحسن قد توقف. فشرعت في الصراخ. لكن باحماد الذي لم يكن بعيدا منها، سرع إليها وأمسكتها، ثم دخل إلى حريم السلطان حيث وجدته قد استيقظ وشرعن ييكين، لأن منهن من سمع صراخ تلك الأمة التي يعرفن أنها كانت في الخيمة.

اصمتن جميعكن. كفى، فإني أمتعن من الصراخ، واعلمن جيدا أننا في بلاد عدو. فإذا سمعت القبائل صراخكن وأن السلطان قد مات. فإننا سنؤكل. وستصبحن إما مسيات مغتصبات أو مقتولات أو إماء. فاهدئن إذن وكفكن دموعكن. ثم إني إذا سمعت صارخة مكن، فسأقطع لسانها بالمقص. . . ولا تسين شيئا : فإذا توفي السلطان فقد مات قبله كثيرون في انتظارنا ساعة لقاء الله جميعا، واعلمن أيضا أن للسلطان أبناء كثيرين مستعدون للحلول محله. والآن الصمت. والسلام.

ثم خرج وطلب قائد (مولين القراش) المكلفين ببذل وألبسة السلطان وقال له :

— أحضر الآن، ويسرعة بدلة صوفية كاملة سيدنا فقد تصيب منه عرق كثير.

فأحضرت البدلة وأدخلها القائد وسأل باحماد :

— هل تلبو بسيد؟

فأجابه :

— نعم. إنها منسدة لعرق.

وقد كان مولاي الحسن يكرر مرات عدة، في حياته، أنه يرغب، إذا مات، أن يعسله سي ابراهيم الصير، الذي كان فقيها أعمى موظفا في مدرسة الشرفاء. فأحضر هذا وغسل الجسم بصب الماء الساخن في الخيمة - الحمام. دون أن يفصح له عن اسم هذا الميت الذي يرى يديه. ثم ألبس السلطان - بعد ذلك، ثيابه التي جاء بها قائد موالين الفراش

وعند الانتهاء، من كل هذه التدابير، استدعى باحماد كل الوزراء حدثك عنهم قبل قليل وقائد المشور إدريس بن العلم<sup>(9)</sup> واستغربوا من هذا الاجتماع الطارئ، والإستفاقة في مثل هذا الوقت من الليل. وقالوا :

كيف حال السلطان؟

فقال باحماد :

— إنه بخير، لقد استرجع قواه البرحة وفتح عياه. وقد جمعتكم لأخبركم بأمر صادر عنه. فاحسوا الآن. لدي بعض ما أقول لقائد المشور

فخرج مع إدريس بن العالم واتفق معه. ثم رجعا إلى الاجتماع وقال لهم باحماد بعد أن ناداهم كل باسمه :

— أنتم جميعا من ناديت عليكم حفظكم الله ورضي عنكم أتوجه بالخطاب وبصفة خاصة الى سي علال المسميوي، أكبرنا سنا وأكثرنا نصحا لأقول لكم إذا نحن كلنا متضامين والمخزن معكم أيضا. فإني سأقول لكم لا أريد أن أكتمه عليكم مدة أطول : لقد وافقت منية الله سبحانه وتعالى سيد مولاي الحسن حشره الله مع الصالحين وطيب تراه.

فدهش كل الوزراء وقالوا :

— آه. إن لله وإن إليه راجعون. كل شيء هالك إلا وجهه. لقد كان سيدنا مريضا جدا لقيام بهذه الحملة إلى غير ذلك مما يقل في مثل هذه المناسبات

لكن باحماد قاطعهم وقال :

— الآن لما علمتم، اسكتوا. واستمعوا لي جيدا. فكنا إخوة، على حد قولكم قبل قليل وكنا أصابع يد واحدة. خاصة في الظروف غير المتوقعة مثل هذه التي نمر بها الآن.

فبحر جميعا في بلاد عدو. واعتقد أنه عليكم التزام الصمت بخصوص ما قلته لكم قبل قليل. فهدمنا الأكبر هو عدم انتشار الخبر. ولا ننسى أيضا أن أرواح رجال المحلة أمانة في أعنقد. وإذا أفشيتم نبأ وفاة مولاي الحسن، ووصل إلى القبائل المتمردة فإنها ستهجم علينا وتسحقنا وتنهينا بعد أن تحاصرنا من كل الجهات. وحتما، ستؤكل المحلة. لهذا يجب التزام السكوت الحذر إلى حين وصولنا إلى بلد صديق.

فقال سي علال المسفيوي :

.. هذا هو عين العقل.

وقال باحمد :

\_\_ إذن، ماذا تودون فعله؟ وأي طريق يمكن تسلكها المحلة.

فقال سي محمد الصغير والعربي الزبيدي والآخرين من معارضي الحاجب :

\_\_ علينا أن نرجع إلى مراکش، التي ليست سوى على بعد مراحل. فنجمع الأعيان ونعلن مولاي احمد سلطان جديدا.

ولم يعودوا يفكرون في وثيقة باحمد التي وقعها كثير منهم. وظنوا أن الأمر لا يتعلق سوى بإجراء شكلي بسيط لم يكن الغرض منه سوى إرضاء رغبات إنسان في آخر لحظات حياته

فتعبرت ملامح وجه الحاجب وقال :

\_\_ هذه ليست وجهة نظري، فلا شيء يستعجلنا على إعلان سلطان جديد. وللسلطان والحمد لله عدة أبناء، يمكننا أن نختار منهم. أما إذا رجعنا إلى مراکش، فإننا متيقنون أننا سنهاجم وننهب، لأننا لم نر قط المحلة ترجع إلى مكان ما من نصف الطريق ثم إن الطريق الذي جئت منه حتى وصلنا إلى هنا ليس آمنا كثيرا. . فما علينا فعله هو مايلي :

\_\_ سرفع المعسكر صباحا، حيث سنعبير أم الربيع عبر خميس بني عمير، ثم نمر إلى بني مسكين، ومن هنا نستطيع عبور الواد من جديد إلى مشرع بن خلو والوصول إلى مراکش عبر الرحامنة. وبهذه الطريقة نكون قد أخذنا طريقا جديدة، ولن يهاجمنا أي أحد لكن لنحتفظ بالسرا حتى نصل إلى قبيلة صديقة، فما قلته لكم سر لا يعلمه أحد سواكم.

فقال الباقي :

\_\_ جيد ! ما قلته معقول. وسنلتزم بموافقتنا.

فأعطيت الأوامر إلى مختلف القواد من أجل رفع المعسكر منذ الفجر.

وقد كان عبور لود بطيئاً. وعممت وحدات تدلة على تأمين لطريق حتى لا تهاجم المحلة من الخلف. ههدمت كل الخدم تنو الأخرى وعندما نُزل الفراك كنا نرى محل لسنصر بين بعثتين، ورغم لستر المسدول أمامه، فإن مولاي احسن يظهر جالسا بالداخل.

فانحنت لقتل كالعدة :

— الله يبارك في عمر سيدي.

ثم سرع باحماد ويعص العبيد للانحاء أمام المحمل. وكان يدخل إلى الداخل باحترام ثم يرجع ليندي على هذا أو ذاك. منحى أمام السلطان باحترام وقال :

— نعم أسيدي !

ثم أعطى الأوامر إلى من بالخارج

— الحاج مسعود إن سيدن بأمرك بأن تتحرك في الحانث لأيمن للمحلة، وبكذا. . . وكذا وطيلة حياة مولاي الحسن فإنه لم يعط قط أوامر ! إنها فعلا مخزنية حقيقية هاته التي يدرسها باحمد أمام نعث السلطان<sup>(1)</sup>

— أما أنت الحاج محمد ولد بن داود فقد عيك سيدنا في الحراسة الأمامية. حيث ستزل المعسكر بلبروح، لأن السلطان بود تنظيم صوكة صد القوصوين بقراقرة بني مسكين. وبأمرك بأن تكون مستعدا لكل طارئ، وانتظار الأوامر بلبروح.

ثم حضر كل الدس المدعويين وبقو على بعد مسافة متبعين أوامر لقيدة. وانحنوا أمام المحمل ثم رجعوا إلى مراكزهم. وكانت كل القتل التي تمر منها المحلة تأتي لتحنني أمام السلطان وتبارك قدومه ولم يبق على هذه. الضفة من الواد سوى البخاريين وقائل المخزن، في وقت كان فيها عباد بالمحمل على لبغتين. وكان السلطان يرى من بعيد جالسا من الجهة التي ليس فيها ستار.

وعبر لود ببطء كما هي لعادة إذا كان هناك مريض، لكن كدت البغلة الأمامية أن تسقط وسط الماء لولا أن استرجعت توازنها بسرعة. وفي هذه اللحظة بالذات، علم العبيد لدين كانو جوار المحمل. وهم يرون جسم لسلطان يزلق أمامه، أن السلطان قد مات. لكنهم تبعوا الطريق في هدوء.

وكان باحمد لدي يوجد في الجهة الأخرى ويتبع المحمل قد سرع إلى إعادة التوازن إلى جسم مولاي الحسن. لأن كان براه يفتح البوابة وينحني من جديد ويقول :

— نعم أسيدي !

ثم التفت إلى باقي من يمر أمامه وصاح :

... إن السلطان يطلب مول الماء. إنه يريد أن يشرب.

فسرع «مول الماء» ليصب الماء من البرادة في الكاس ليعطيها للحاجب الذي مدها بدوره إلى السلطان بالداخل. وبعد مدة أرجعها فارغة، وعلى طول الطريق إلى البروج كان القواد العسكريون وقواد القبائل يترددون، بعد الإستدعاء، على محمل السلطان لسماع الأوامر والتعليمات وإيصال المستجدات إلى السلطان. وقد كان باحماد «المضحك» هو من يقوم بهذه المحادثات حتى الوصول إلى البروج.

وأخيرا، وصلنا. فدخل السلطان إلى الفراك راكبا دائما كما علمت قبل وصوله. لكن مكدا ليستقر في مكانه حتى نودي على كل القواد، ورؤساء العسكر للإجتماع في حيمة المسجد المبنية، كالمعتاد قريبا من باب لفراك.

وكان باحماد موجودا مع الوزراء حيث قال متوجها بالخطاب إلى إدريس بن العالم والقواد :

— اسمعوني جيدا. وأنتم كلكم قواد.

... ماهو المحزن؟ إنها خيمة كبيرة شبيهة بهاته، فمن أجل بنائها وتدعيمها ضد العواصف والرياح فلا بد لها من دعائم. وإن العمود المحوري وصارية الخيمة التي ترفعها هو السلطان. ومختلف الأوتاد التي تحيط بها وتشد جوانبها حتى لا تقلعها الرياح هم القواد. أي أنتم. وهذا تلاحظون مدى أهميتكم في الحفاظ على هذا الصرح. وقد استفدتمكم لأذكركم بهذا الدور، قبل أن أخبركم أن سيدنا مولاي الحسن قد مات. وأن سيدنا ومولات الآن والذي يجب أن يعلن سلطانا هو مولاي عبد العزيز تبعا للإرادة الأبوية والتي وقعها هنا كل الوزراء.

الله ينصر سيدنا ومولانا عبد العزيز بن سيدنا مولاي الحسن «.

ثم أظهر الوثيقة التي حدثتكم عنها أعلاه.

وعقب هذه الكلمات، اختلفت وجهات نظر المجتمعين. حيث رأى بعضهم أن الخليفة لازال صغيرا بعض الشيء. لكن خضعوا لرغبة المرحوم المكتوبة. فنودي على البراح الذي طاف في أنحاء المحلة معلنا وفاة مولاي الحسن وتولية مولاي عبد العزيز. هذا في وقت كانت فيه المدفعية تطلق خمسين طلقة تكريما للسلطان المرحوم. واحتفالا بالسلطان الجديد.

ثم حملت حثة السلطان إلى الخيمة. الحمام من جديد، وغيرت ثيابها كما لو كانت ستوارى التراب. ثم إن هذا المكان الذي غسل فيه السلطان للمرة الثانية أصبح مكانا مقدسا قرب البروج.

وعندما انتهت كل تدابير الدفن هذه جيء إلى الخيمة - المسجد بكتاب صحيح البحري لنقسم بالوفاء لسلطان الجديد، وعلى طول الطريق كان يحمل هذا الكتاب « الشريف » على حصان حصص قرب الشريف. وكان يحمل في محطات الإستراحة إلى حيمة السلطان الخاصة لتربية أذنه.

ولم تمر هذه المراسيم دون مشاكل سببها بعض الوزراء من معارضي باحمداد. وبصفة خاصة سي العربي الزندي وسي محمد الصغير اللذان قلّا أنّ مولاي عبد العزيز لا يزال صغيراً جداً، وأن السلطان الفعلي سيكون هو باحمداد وأنه يجب «استشارة» لعلماء «في الأمر» وأنهم مستعدون للإمتهال إلى أحكامهم لكن أخبرهم إدريس بن العالم أنهم لا يلوموا إلا أنفسهم إذا رفضوا الوضع الجديد. ولن يحصوا على أي شيء خاصة أن باحمداد له نفوذ قوي، وماكر وعلى علم بكل أسرار السياسة. وأنه يملك وثيقة كتبها مولاي الحسن قبل وفاته ووقعها كل الوزراء تقريباً. أو ليس كل هذا كفاً لترك الأمور تسير بشكل عادي، وأنه ألا يمكن تأخير هذا التدخل حتى يصل إلى مراكش. في حين أقسم الكل حماعات وأفراد وزراء وكتائبهم وقواد الرحي وأخلفاء وقواد المائة وكل مكلف بالقيادة على المصحف لشريف. ووعدوا بعد أن عزموا بتولية سيد مولاي عبد العزيز، باحترام الوصية المقررة. وبأن يبقى كل واحد منهم في مركزه وأن لا يتجاوز مهمته ويحترموا حق جيرانهم.

وتم بعد ذلك تحرير رسالة (حمها عدة مخزنية) إلى مولاي عبد العزيز يخبر بأن أباه المحبوب قد لبى نداء ربه، وبأن كل أعيان المخزن وقواد الجيش قد أعلنوا ابنه المحبوب مولاي عبد العزيز سلطاناً لبلاد، وفق لرغبة المرحوم مولاي الحسن. وبأنهم يتقدمون جميعاً التحايا والتبريكات.

ثم عذرت الحجة البروج. لكن بدل الرجوع إلى مراكش كما كان مقرراً فإنها انجذبت نحو الشاوية، وأصبح الآن من الضروري، كما قال باحمداد الذكي، حمل نعش مولاي الحسن، في أقرب وقت إلى القصر الملكي بالرباط. لأنه كان يرغب أن يدفن إلى جوار جده سيدي محمد بن عبد الله. وكان مولاي امحمد ولي العهد الأصلي الذي كان شخصية مثقفة قد بقي مع أصدقائه الكثيرين بمراكش. ووصلت الحجة إلى قصبة ابن أحمد رغم بعض اضطرابات أفراد من قصبة مولاي لظهر. ثم وصلت بعد ذلك إلى دار القائد المعطي وأخيراً إلى سوزنيقة. لقد كن الفصل صيف (أواسط يونيو)، وأصبح نعش مولاي الحسن مهدداً بالتعفن من جراء مراحل لرحلة لمتعبة وهكذا وصبت بسرعة إلى أكادال في أواسط دار المخرب حيث فتح باب حصص لإدخال النعش. وكما تعمد فقد حرت العدة أن لا تدخل حجرة الميت من نفس الباب الذي يدخل منه الأحياء فحجرت مراسيم التعاري العادية ودفن مولاي الحسن في قبة لقصر بحوار سيدي محمد بن عبد الله.



وكان السلطان الجديد قد وصل عبر طريق بوزنيقة، محروسا بمن رافقوه من مراكش. وستفسه جميع الوزراء بآيات الولاء والإحترام الكبير والتقبيل على الكتف. وكان بعض الحضور قد قفز ليقرب من السلطان الجديد، لكن باحماذ الحسود كان يعمل أساسا على فرض تأثيره في الأحداث، والبحث عن الحفاظ على الطفل الصغير الذي لولاه لما أصبح سلطانا ثم تنحية الجماعات المتملقة فأخذ مولاي عبد العزيز إلى جواره وأعطى الإشارة بالإنطلاق نحو الرباط.

وقد كن الجنود معسكرين في أكدال الكبير، في حين كانت وحدات القبائل تتجمع خارج المدينة من شالة إلى باب القبيبات.

وبعد أن حضى السلطان الجديد بآخر التشريفات ن كتب إلى أهم مدن المملكة لإخبرهم بالوضعية الجديدة. معلنا إلى كل الخدام المرضيين والموظفين والقواد والشرفاء وفاة مولاي الحسن. وتولية العرش طالبا من مدينة... أن تبعت بيعتها إلى شخصيته الشريفة.

وقرئت هذه الرسائل في المساجد فجاءت الأصداء، حيث اعترفت كل المدن مكناس وفاس ومراكش وطنجة بمولاي عبد العزيز الذي عينه مولاي الحسن وسلم له البركة، سلطانا

فسارع باحماذ الذي كان يعمل منذ البداية الى أن يصبح شخصية رئيسية، إلى تنصيب نفسه وريثا أولا. وكان أول مقام به هو سجنه لكل معارضيه في مكناس. أما هؤلاء الذين يزامحون في المكانة أي الحاج المعطي، وسي محمد الصغير والعربي الزبدي، فقد أرسل بعضهم إلى تطوان المعطي والصغير (والإثنان من عائلة الجامعي) أما العربي الزبدي فأرسله إلى أسفي.

وكن سجن هذا الأخير محط احتجاجات القنصل الألماني فالزبدي كان محميا من الأمدار لأنه يحافظ على مصالح هذه القوة. لكن الوزير الأول كان قد رد على طلبات القنصل بما يلي :

— إذا تماديت في احتجاجاتك، فسأكون مجبرا على شواء العربي الزبدي في السمود.

لهذا أرجوك أن تترك هذا الموضوع جانبا، لأنك تتعلق بموضوع لن تجني منه كبير ربح لأنك أو غيرك. ومن الأحسن أن يبقى حيث هو الآن.

وهكذا تمت الأحداث وركز باحماذ إخوته جواره في المخزن، حيث أصبح سي سعيد وريث لسحر. وسي ادريس حاجيا للقصر. وهكذا عوضت عائلة باحماذ عائلة الجامعي في المخزن.

# الهوامش

1. باقتراح من السيد John Hay الوزير لأكتير بضمحه
  2. حياته المدين يسكنون الحبل، وتعني الكلمة هـ العنبل البريهي ورن ( شرق ) والشدون ونطوان
  3. بني موسى وبني عمير
  4. لم تكن هناك أي موجهات مع ريان فقد جاء موحى أحمو ( من أهل بت حركت ) فقط إلى أبي الجمع حيث يوجد مولاي الحسن يهبط توبية بعد تدخل شريف سيدي بن دود لشرقيوي وكانت الأفواج المغربية لريان تحت قيادة قائد مروجي أروكهي
  5. يشير هـ أن التاريخ الرسمي لإرديد مولاي عبد العزيز هو 1880 م بتعرض مع روية ساجم سالم عبيدي عن أول حملة لسنوس 1882، وكذلك مع معصيت لذكور Weissgerber الذي يحدد في 24 فبراير 1878 كما أثنته في كدبه
- Trois mois de Campagne au Maroc Le roux Ecriteur Au Seuil du Maroc Moderne p bo Ed La porte Rabat
- ومن مؤكد أن مولاي عبد العزيز قد أرداد تمكنا سنة 1298 هـ 1881 م أربعين يوم قبل مولاي يوسف
- 6- لقد كنت رحله بسطد إلى ديلاليت في الواقع مستحده بعد من تكت شجوق اتني أحدها رجع الفرنسيين بحر بو حات الصحراوي وقد كد لإطلاق يوم 25 يونيو 1893 وقد رافق لسطد في هذه لرحلة الدكتور Linares طبيب بعثة فرنسية، وبمرور من شطصيل حوب هذه لرحله نظر le Bulletin de L'institut d'hygiène du Maroc N° 3et 4 de l'année 1932
  - 7- يتعين الأمر المرشال Martinez Lampus الذي وصل إلى مراكش في 29 يناير 1894 صحبة بعثة من 30 شخصية (صعد، دنوم، سيوب، رجان الدين) وعادهم في 11 مارس 1894
  - 8- كد مولاي الحسن يعني من النهب الكند، سيودي بعباته في 6 يونيو 1894
  - 9- لقد أصبح فحة درس من اعالم قائد لمشور بعد الشيخ الحاج محمد بن يعيش، تمكنا حوالي 1890 وكان حبيته لأول سي درس بن يعيش بن الأول وأب سي محمد ابن يعيش الذي كد قائد مشور السلطان مولاي يوسف (الحاجب « حسي » سيدي محمد بن يوسف وعنده بعث سي ادريس بن يعيش بشا على وحدة سنة 1895، أصبح به حبيته به
  10. سم يكن هذا ترتيب بصريف لحري في الوقت نفسه الذي قدم به الحاجب، حديثا على تاريخ مغرب هفي 4 و9 عشت 1578 خلال معركة ديوث الثلاث (و د عمار) كد لسطد عبد عنت ميت في محمده أثناء الحرب ومهم من قل دله مات مسموم ومهم من قل به مات مقتولا، وكان حاجه قد ستمر في عهده الأول و لدفع عن لسطد، دود أن يظهر أن لسلطان قد مات ليحسن الحيين أكثر، وكان يسط لده لسطد كد لو أنه لاراه حيه
- (Extraits inedit sur le Maghreb p 411 Traduits par E Fagnan, A,ger 1924 J. Carbonet , édit )

قد توفي الخرج المعطي الجامعي في سجنه بتطوان سنة 1904 أما أخوه سي محمد الصغير فقد أطلق صراحته سنة 1908 بعد 14 سنة من السجن، شبه أعمى مشوه الرجلين من جراء الأغلال

(Wagter HARRIS. Le Maroc Disparu. 1929 . Plon Edit)

أما بخصوص مراسيم تسليم الإمارة إلى مولاي عبد العزيز، فقد كانت هناك عدة روايات. حاولت إيجادها أُن تبرز الدور الكبير الذي لعبه لوزير الحاج المعطي وأخيه، اللذان كانا يرغبان في البقاء بالقرب من السلطان وأبهم سم يقتلا نوبيته لا بعد صعودت بـحمد ورواية الحاج سالم العبدى هي الأصح لأنها تطابق فعلا التأثير المعروف والمتموس الذي كان للحاج على السلطان (لأنه حسب التقاليد المغربية، يمكن للسلطان أن يوصي بالملك لأحد أبنائه الذي يختاره في وصية سياسية ثم أيضا لاسترجام الرواية مع الأحداث التاريخية).

## ولاية مولاي عبد العزيز

من 8 يونه إلى 19 غشت 24 نونبر 1908<sup>1</sup>

حصريات

**kitabweb-2013.forumsmaroc.com**

وبعد إقامة أسوعين بالربط توجه السلطان الشاب مع محلته نحو مكناس ، التي سجن فيها الوزراء الذين حدثك عنهم اعلاه حيث أقيدوا منها تحت الحراسة نحو تطوان وآسفي وكن قد عزل في هذه الفترة سي فضول غرنيط الذي كان شيخا قصيرا به شلل نصفي «وثعلبا» عدل<sup>2</sup> . ثم بقينا في مكاس عشرة أيام ، التحقنا بعدها بفاس حيث سيفيم السلطان ووزراؤه حتى حدود الشتاء الموالي ( شتبر 1895 )

وكان من الطبيعي وحسب العدة ، أن يرور الشرفاء وأعيان المدينة ضريح مولاي إدريس ، ثم عسكرت المحنة في أماكنها لمعتادة . وأحدث هن عن الجبود النظاميين لأن جنود وحدات القنائل كسو ، قد لتحقوا بأهلهم مد الوصول إلى فاس . وسأفسر لك لماذا .

كما كانت هنك اضطرابات قليلة أكثر قوة ، منذ علمهم بوفاة مولاي الحسن ومعلوم أن هذه الأحداث كانت شيئ طبيعى عند تولية كل سلطان جديد . حيث يستغلون انشغال المخزن بتنظيم دستوره الحديد ليصفوا حساباتهم مع الجيران ، أو ينحوا القواد السفاكين ، أو يغيروا على المدينة المحورة وينهبوها . وقد كنت هذه اضطرابات تتوقف أحيانا بسرعة مخافة أن يقبض عليهم لأنه كنت تبعت محلات لإرجاع الأمر إلى نصيبها .

وهكذا دخت الشاوية في حرب صغيرة بضواحي الدار البيضاء . حيث عوض الباشا سيدي عبد الرحمن بركش الذي لم يعد قادرا على ضبط الأوضاع : سي حمد بن العربي الذي بعث إليه باحماد بمحلة لتعزيز قواته بقيادة مولاي الأمين عم السلطان والمكلف بالحامية العسكرية

كما أن قبائل بني حسن قد سحقت بعض قواها وهاجم جباله وبني مسارة وبني مسكيلدة وزاد . وقد عمل شريف امدينة الأكبر سيدي محمد الوزاني الذي حمل في محم إلى المعركة على جلاء هذه لقوات عن امدينة . كما بعثت محنة أخرى إلى ضواحي فاس لإحصاع قبائل هذه الجهة .

لكن الأوصاع بالجنوب كانت أكثر تدهور ، حيث تمردت قبائل دكالة ولسراغنة والرحمنة خاصة هؤلاء الاخيرين لدي لا يعترفون شرعية السلطان مولاي عبد العزيز

فحمى لواء لتمررد، وأدخلوا الحوز كله في تمررد وعصيان. وهكذا عم الإضطراب والخوف الطرق المؤدية إلى مراكش. وكان مختلف قواد القبائل المتمردة الذين غادروا المنطقة مع وحداتهم. سواء في محلة مولاي الحسن أو محلة مولاي عبد العزيز قد علموا بمجرد وصولهم إلى فاس أن منازلهم قد نهبت، وأملاكهم قد أتلقت ونساءهم وبناتهم قد أغتصبت.

وقد كان السلطان، أي باحماد، غير مستعد للذهاب إلى مراكش عبر طريق القبائل المتمردة. لهذا قرر البقاء بعض الأشهر إلى أن تهدأ هذه الإضطرابات، وكان قد علم بسبب تمررد الرحامنة : حيث قالوا :

... لقد ولي علينا مولاي عبد العزيز، لكن في الواقع باحماد هو من يحكم علينا باسمه : إننا نريد سلطانا حقيقيا رجلا قادرا على التفكير وفعلنا. إننا نطالب بتولية مولاي امحمد.

ولما سمع القواد كل هذا الكلام طلبوا من المخزن أن يرجعوا إلى أهاليهم مع وحداتهم، لكن أجابهم بما يلي :

... لا يجب أن تجهلوا حال قبائل الجنوب في هذه الأثناء، فلن تستطيعوا دخول أراضيهم دون مقاومة. هذا كل ما يمكن أن نقول لكم. فمن يحس منكم أنه قوي ويستطيع أن يتحرك في بلدانهم المتمردة وتسوية الأوضاع فإننا نأذن له وبكل طواعية، بالذهاب أما هؤلاء الذين يعرفون أنهم لا يستطيعون ذلك فإننا نحثهم على البقاء، والانتظار حتى تجتمع محلة السلطان الكبرى. وهذا أمر لن يتأخر كثيرا. ولكن لا أستطيع أن نقول لكم متى سننطلق. ومن المعلوم أن كل العكس سيقون مع السلطان، وأنه لن نسرح أحدا من أجل لا شيء.

فدخل لقواد إلى خيامهم ليفكر وفي الأمر، فاجتمعوا وقرروا، أمام تداعس المخزن، أن يجتمعوا ويذهبوا إلى الحوز، وتكوين محلة دون أفواج نظامية، وتولية قائد واحد هو : سي محمد الأمrani.

وهكذا انطلقت كل الوحدات لتتزل نحو مكناس ثم الرباط لتتوقف وترتاح بمولاي بوشعيب قرب أزموور. وقد ساد في طريق المحلة، تفاهم كبيرين القواد. حيث اتفقوا في نقاشاتهم الطويلة في المعسكر على أن يقتلوا كل واحد تعرض بسوء لأحدهم. لكن بالوصول إلى مولاي بوشعيب بقاعدة عسكرية لعملياتهم المستقبلية. برزت عدة اختلافات بينهم. وتناقضت وجهات نظرهم الشخصية حيث كان أحدهم يرغب في الذهاب أولا لإخضاع السراغنة، وقال الآخر ! بأننا نوجد قريبا من عبدة فلنبدا بهم. وكان يعتقد الثالث أن هذا الطرف ملائم جدا للقيام بحملة قوية إلى سوس، في حين قال سالم العربي الذي كان فعلا رجل حرب، مفضيا من تصارع وجهات النظر هذه :

— كفى ! لقد اتضح لي أنه ليست لكم مواقف ثابتة افعلوا ما بدا لكم. أما أنا  
فسأطلق دون كثرة كلام

وهكذا اتجه هذا المحارب نحو قبيلته العوات قرب دار القائد التونسي، ثم إلى الرحامنة،  
كما عبر مشرع بواعوا حيث عترض طريقه أهليه بطبقت نارية لكن لفهم دروسا قسوة  
ثم عاد إلى منزله

أما الآخرون الذين بقوا في مولاي بوشعيب، فقد أحسوا ببعض الهوان من تقاعسهم  
وعدم سداد رأيهم. وقرروا عبور الواد واتساع نفس طريق العوني الذي استغلوه حارسا  
أمميا.<sup>3</sup>

لكن كل القبائل لمتردة كنت في الجهة الأخرى. حيث وصلت متحدة ومتأمرة برجالها  
وحيويلها، الكثيرة. فقد كن هنالك عدة ودكالة بل وحتى الشيطمة واتفقوا على مواجهة  
هذه الحملة بكل الوسائل عمورها الواد خاصة أنه لافضل لهم في قدوم هؤلاء الجنود. لكن  
كنت هذه الحملة قد امتدت ببهايمها وبغالها وجمالها المحملة بخليم ثم رجالها وفرسانها  
على مسافة أكثر من ثمانية كيلو مترات وبالتالي كن عليها أن تمر عبر قنطرة أكثر اتساعا.  
وكان على المتمردين الرئيسيين للمنطقة وأعلى بهم دكالة حراسة واد أم الربيع. فجهزت  
كل قواتها الموحدة على الضفاف المقابلة وقالت لحركات القواد :

— ماذا جئتم تفعلوه عندنا؟ إنا لا نريد منكم شيئا. فلكنم قوادكم معكم، فاتركونا في  
أمان إلكم تقولون أنكم تريدون فقط المرور من بلادنا أو ليس معكم بعض دكالة؟

(لممرور من بلادنا إذن، علينا أن نتيقن جيدا أنه لا يوجد بين صفوفكم أي دكالي.  
فقد يمكن أن يمر هؤلاء الرجال متحججين أو متكرين في ري نساء هنا الحق إذن في خلع  
الحرير من على وجه كل ساء المحنة، لتيقن أنه لا يوجد بين صفوفها أي دكالي)

وعندم سمعت الحملة هذه الشروط الغريبة كن أول من استفزته هذه الشروط وأغضبته،  
القائد المهدي الصبيري المروشي ( من الرحامنة ) :

— ما هد الكلام؟ هل حنتم؟ أعتقدون أنا كن نساء؟

فتوجه إلى أتباعه .

أعطوني سدهني

فوضع الدروع في لندقية وصرح

— لعنة الله على والديكم



ثم فصص في اتجاه العدو. فبدأ صوت الرصاص يدوي على ضفتي الواد. وقد كانت الطلقات السرية للمحلة أكثر قوة وفعالية حتى إن دكالة بدأوا يتراخون أكثر وأصبح من الممكن المرور بكل سهولة.

وعندم وصلت الحركة كلها إلى الضفة الأخرى، كانت الشمس على وشك لغروب. فقررنا أن يعسكروا على مسافة قريبة للتشاور والإتفاق حول الخطة المستقبلية لكن كان القائد المتوكي قد حمل خيامه وتسلل مع رجاله مغادرا المعسكر. وإسم هذا القائد سيدي عبد الملك الذي لازال قائدا حاليا على متوكة<sup>(4)</sup>. وقدعينه مولاي عيد العزيز مكان عمه سي حمو. حيث كان المتوكي قد تشاور مع أتباعه وتناصحوا فيما بينهم، وكان قد قال لهم فيما قل :

\_\_\_ إن لدينا هنا بالمحلة أكثر من 500 فارس و800 رجل من المشاة. ثم إن عدم الإتفاق وتشتت الآراء يسودان المحلة، فكل واحد يفعل ما يميله عليه فكره، ثم إننا نحس شلوح، ولن ننتهم إطلاقا مع هؤلاء العرب، فأنا أفضل أن نرجع إلى بلادنا وباستطاعتنا ذلك لأننا أقوياء. وإذا اعترض طريقنا أحد ما واجهناه بالبارود. ومن لم يعترضنا تركناه في أمان. وتفاديا لمزيد من التفاصيل وكثرة الكلام فإني أمر برفع الخيام والإنتلاق مباشرة نحو مراکش. وقد كان للمتوكي، ولزيد من الإحتياطات، قد بعث قبل هذا الإجراء عدة رسائل إلى أهله، بأن تأتي مجموعة من الفرسان إليه لتعزيز صفوفه أثناء زحفه، وهكذا وصل إلى بلده.

أما سلسة الآخرين الذين علموا بما قام به المتوكي فقد فكروا في اتباع خطته، حتى إنه لم يقض النهار حتى لم يبق أي أحد مع قائد المحلة سي محمد الأمراني.

وكان قائد عبدة سي عيسى بن عمر الذي بقي مع أتباعه قد قال له :

\_\_\_ إذا كنت تريد المحبيء عندنا إلى دار سي عيسى ( قرب آسفي ) فمرحبا بك.

لكن الآخر أجابه بما يلي :

\_\_\_ لا. فلم تعد لي ثقة بأي واحد من هؤلاء الرجال. إني أفضل أن أرجع إلى مولاي بوشعيب.

وهذا بالفعل ما قام به، ثم التحق بعد ذلك بعض القواد حينما علموا أثناء الطريق أن مارلهم قد هبت وأحرقت وأن أتباعهم قد قتلوا أو اختفوا، وأن نساءهم وفتياتهم قد سبيت. وأقطعانهم قد أكلت أو سرقت فكل شيء قد أتلف وضاع تماما. وأعني هنا : الحاج العربي بن تومة والشافعي العبدى، وسي احمد بن عبيد بن الدوح (أحمر) وسي عبد الحميد (الرحامنة) وسي العربي ولد زروال.

وكان آخر فئد التحق بهم هو سي اسعيد الشيطمي الذي وجد هو أيضا مرله قد هدم ورحله قد تفرقوا. وقبل له في البلاد إن رحل المتوكي قد مروا من هنا ونهوها وعلموا أيضا أن المتوكي أئد لطريق من دس إلى مولاي بوشعيب كان بيعث برقصة يحملون أوامره إلى رحله بسده ليهئو أربع حملات . لأولى إلى بورقي في حاحة في نفس المكان الذي عين منه مولاي الحسن سلطان، والثانية إلى أركنة إدا أوريكي، والثالثة إلى تمارغت قرب أكدير، والرابعة إلى مروضة بقيادة أخيه القائد العربي. وهذه الأخيرة هي التي نهبت دار القائد لشيظمي :

كما حتاحت أيضا در قائد مجط ودر لقئد أحمد لححي ودار ولد گورمة.

وبهذا يكون المتوكي قد قدم بعمية شبيهة بما ستقوم به فرنسا في مرحلة لاحقة في حملاتها المختلفة عندما هجمت القبائل بعد أحداث الدار البيضاء.

وحلاصة للكلام فإن جنوب كنه في تمرد وعصيان حيث عمت الفوضى كل مكان خاصة على الطرق التي قطعت ولم تعد هناك أي أسواق تجارية. وكان صوت الرصاص مسموعا في كل الجهات. وقد امتدت المواجهات إلى حدود تامصلوحت على أبواب مراکش (19 كلم). وكان لقائد والمسؤول عن هذه التمردات الكبرى هو ' سي عبد المالك المتوكي.

وكان لرحمة الدين دشو حركة العصيان، قد بصوا قائد لسيب يسمى، مبارك ولد الصهر بن سيمان، الذي كان يحارب في السفوح، ويستعد للانقضاض على أقرب مدينة محاذرة : مرکش. وكان السرعة أيضا المشجعين من جيرانهم قد نهسوا منازل قائديهم : الجيلالي بن المودن ومحمد بن لطيب. كما حاصر بنو مسكين دار القائد الشافعي المسكيني ' ولم يرجع قائد دمذت الحاح الجيلالي الدمناي إلا ليرى منزله محطما. كما نهبت در المخزن وخاصة بيت امل بدمذت، حيث سرق شيوخ المنطقة بقيادة قائدهم ولد لروحات أموال خربة لدرجة أنهم لم يعودو يستطيعون حمل المزيد من القود الذهبية، بل يضعونها في أصفرقة ورقية ويبيعون خمس لويزات ذهبية بقرش واحد (0 25tr) وأمام هذه الوضعية رجع الحاح الجيلالي إلى مولاي بوشعيب عند سي محمد الأمراني المستغرب من عودة هؤلاء المنهوبين المحرمين من متاعهم.

ويمكن القول إن صفتي 'م الربيع قد كستها الدماء واشتعت به النيران من السفوح إلى الجبال وأصبحت الوضعية أكثر خطورة بالنسبة للمخزب.

لكن بحمد الذي كان يتبع كل شيء لم يكن يوصل إلى السلطان أخبار تقدم هذه التمردات إلى أن علم مولاي عبد لعرب أن له ليس محط رضى وقبول الجميع. وأنه موصوف

طفل حموى. وكان يقال باستمرار : « إن السلطان الفعلي هو باحماد، لأنه هو الذي يسعى في تولية هذا الطفل. وهاهو الآن يعطيه الحلوى، ويحثه على قراءة الكتب وأن يكون مهذباً هذا في وقت يحكم فيه كيف يريد».

فقد كانت الإضطرابات عامة، وكنا نسمع في جميع الأنحاء أن الرحامنة يرغبون في تولية مولاي أمحمد الوريث الشرعي للعرش، وتحريره بواسطة هجوم مقبل على مراكش حيث كان الأمير سجيناً بدار مولاي الزين. وإذا لم ينجح هذا الهجوم فإنهم، وأمام تدعس فاس فإنهم سيحاصرون المدينة (مراكش)

ماذا يحدث في مراكش؟ فالسلطة المخزنية في القصبية تحت إدارة القائد الحاج محمد ويدا الذي كان يسكن بدرب شتوكة. أما المدينة التي لا تقوى على الدفاع. فتحت قيادة سي عبس بن داود. وعندما وصلت هذه الأخبار وتشتت قواد مولاي بوشعيب، وتفكير الرحامنة في تصيب مولاي أحمد، إلى علم محمد ويدا، استقدم الإبن البكر لمولاي الحسن وقال له :

— إنك على علم سيدي بعضيان الرحامنة، إنهم يريدون توليتكم سلطانا مكان مولاي الحسن فما هو رأيكم؟

— نعم أن على علم بذلك ! لكن لست أفهم ما يريدون. فأنا لم أطلب منهم شيئا. خاصة أن السلطان المعين هو أخي مولاي عبد العزيز فعليهم طاعته، وأنا وأخي شيء واحد.

ثم قال قائد القصبية للرحامنة :

— إنكم تتمرّدون دون سبب، فلهذا أطلب منكم الخضوع والطاعة، وإلا أحرقتكم، فلقد سألت مولاي أمحمد، وأجاب بأنه لا يرغب في الملك وأنه سعيد جدا بتقاعده. <sup>(3)</sup> فأجاب الرحامنة :

— إن ويدا رجل طيب يصدق كل ما يقال له. وإنه معنا مولاي أمحمد ويمكن أن نعطيه رسائل من الأمير يعبر فيها عن استيائه من سلب حقوقه. وأنه لا يحلم إلا بالملك الذي سوف نعيده له.

لقد سبق أن قلت لك إن الثورات قد انتشرت في كل الجهات كدخان البارود حيث قام «ضراوة» سكان منطقة واد درعة إحتداء بسابقيهم بطرد قائدهم الطاهر بن سليمان وطاردوه إلى حدود الأطلس. فاحتفى هذا الأخير بمراكش حيث استقبل بالأدراع المفتوحة. وقد كان أخواله من الرحامنة. والقواد والأعيان ورجال البارود ومستشارو السيبا أتباع مولاي أمحمد أهله. فاحتفل به القائد ويدا وقال له.

لقد حثت في الوقت المناسب لأن المحزون وكل الناس هم محتاجون إليك لإصلاح الأوضاع. وأريد أن أكلفك بمهمة بسيطة بين الطرفين. حيث ستذهب عند أهلك الرحامنة. وهناك نقودا ستورعها بطريقة ذكية على شخصيتهم المؤثرة في أخذ القرار. وبالتالى شراؤهم لصالحنا. فنحن نعتد عليك في اعتماد هذه التمرد الناشيء في أقرب وقت.

فانطلق الطاهر بن سليمان ليصل إلى حركة لرحامنة المعسكرة ببئر الضراوي. حيث استقبل بحفاوة كبيرة. ثم قال سي الطاهر :

— ما الذي تفعلونه أيها العقلاء؟ أو ليس فعلا شيء مشين أن المخزن قد مات أو كاد من أجل فرض سيطرته أليس كذلك؟ فالدعوا الشيطان وانها هذا العصيان واختاروا قوادكم بأنفسكم إن شئتم. ودخلوا حفظكم الله في صفوف الطائعين. وتذكروا جيدا عواقب ومواجهة المخزن - وتذكروا رجال قبيلتكم الذين طلبوا أسرى في الجزيرة ( سجن موكادور الصويرة). وتذكروا جيدا تمردكم ضد مولاي الحسن الذي عاقبكم أشد عقاب. وأحثكم على أن تكونوا جمود لمحزون وأعتقد أنكم نسيتم كل شيء. وأنتم تتمرّدون دون سبب

وقتل كلامه بالاحتجاج والغضب والصمير والسب والشتم وقالوا :

— كفى ! إن هذا أحرق لكن كم أخذ من النقود ليربينا كالأطفال؟ ثم كم أخذ شيخنا؟ تقولون إن من يكتم بهذه الطريقة منحدر من الرحامة؟! فإنا لا نعتقد ذلك. إنه عميل ويدا. - لعنة الله عليه. . . إلى غير ذلك من الشتائم المماثلة.

فاحمر وجه الطاهر ثم انفعّل كثيرا. لكن تمكّن نفسه ثم قال :

— رجاء هدوءا وصمت حتى يتفهم وأشرح أكثر ما أريد قوله :

وجلس بعد أن ظل واقفا. وكذلك فعل الآخرون :

— الرحامنة، اسمعوني جيدا. فأنا لأريد إلهاءكم وسعادتكم، وهل هذا هو الجزاء الذي أنتظرونه منكم؟! فقد سبي الرعدة ككلب. هل هذا كل ما أستحقه منكم؟! فرغم كل ما قلته لكم فألستم تريدون أن تظلوا كالعبيد أمام أشعة الشمس. وما دمتم أنكم اخترتم السير في هذا الطريق فإني أقول لكم بأنني عميل لويدا وأنه قد اشتراي لأشتغل لحسابه. والآن أرجوكم أن تعملوا فرديا منكم ونصمم أدم كل المواجهات. وإذا شكتكم فيما أقول. فأنا مستعد أن أشهد بذلك أمام عدلين.

وهذا ما تم بالفعل وكن من شتمه قبل هم من قالوا بأنهم لا يريدون قائدا آخر سوى الطاهر بن سليمان

وأثناء الخطاب الثاني للطاهر بن سليمان، أخرج أحد الحاضرين الدهاة منديلا من حبر لا امرأة ما ولوح به ثم قال :

— إنها « سينية » لالة زينب أم مولاي امحمد، التي انضمت إلى الرحامنة وترعب حدا في أن يصبح إينها سلطانا.

لكن ويدا الذي كان له جواسيس في صفوف حركة الرحامنة قد أخبر في مساء ذلك اليوم بكل ما وقع بما في ذلك من انضمام الطاهر بن سليمان للرحامنة، وكل ما قنته لك سابقا، ولم يعد هناك من حل سوى المواجهة المقاومة.

وكان أول مقام به ويدا هو ما يلي :

توجه رفقة حراسه من المخازنية إلى دار مولاي الزين وطلب مقابلة مولاي امحمد فأدخل عليه وبعد التحية وبعض الكلام الذي أظهر فيه الإهتمام والرعاية التي تعطى للإبن، لسطن أقبل راجعا بهدوء. وكان هذا التصرف مؤشرا للمخازنية الذين كانوا قد دخلوا إلى القصر للقيام بالعملية التي جاءوا من أجلها بسرعة. فدخلوا غرفة مولاي امحمد واعتقلوه محذرينه من القيام بأي رد فعل مهددين جنود قائد المائة بقتل مولاي امحمد إذا قاموا بأي رد فعل.

ولما انتهت هذه العملية، رجع ويدا إلى القصبة، واستدعى الأعيان ليخبرهم بالوضعية الجديدة، كما أعطى الأوامر بإغلاق كل أبواب القصبة، وشرع في توزيع الأسلحة والمؤونة من مستودعات المدينة الإحتياطية، حيث أعطيت 40000 بندقية لحراس القصبة والمخزن. كما بعثت 16000 بندقية إلى المدينة.

ثم التحق بن داود بالقصبة لأخذ التعليمات من ويدا. واتفقا فيما بينهما على الصمود في جميع الحالات سواء في الهجوم أو الحصار.

لكن اتضح بعد ذلك أن ابن داود كان يميل إلى الرحامنة وترك ويدا وحيدا على موقفه النبيل واتفقا في إطار استراتيجيتهما بأن تكون أبواب القصبة وحدها هي المغلقة.

وعندما جاء الرحامنة إلى أبواب المدينة، لم يحضوا بأي تجاوب مع سكان مراكش وقل لهم ابن داود :

— مرحبا بكم ادخلوا المدينة وتاجروا كما يبدو لكم. فالمدينة مدينتكم، خاصة أن منكم من له فيها منازل ودكاكين. فتجولوا إذن بكل حرية فأزقتها وشوارعها رهن بإشارتكم.

فدخل الرحامنة إلى المدينة، كالعتاد، للتسوق، وبيع الحبوب والفحم وجميع متوجاتهم. لكن عندما وصلوا إلى أبواب الحراسة أجبرهم الحراس على وضع أسلحتهم. فاحتج الرحامنة عند الباشا. لكن قيل لهم :

\_\_ لستم بحاجة لإطلاق، لأسحتكم لتحول في المدينة. فتركوها عند حنودنا، وستأخذونها عند رجوعكم. ليست هذه هي عادة وستحبو. ودخلو إلى مر كشر دون أسلحة.

وقد امتدت هذه الحيلة / البعة شهرس. امتلأت فيها المدينة حووس من كل الأنواع، والمحم الخشبي الآتي من الرحامنة. وخلال هذه المدة ذهب بن داود إلى ويدا ليقول له :

\_\_ إن أولاد الكلاب هؤلاء الدين يزعموننا، لأحب أن أراهم بعد الآن. فقد حصل مانحتحه منهم. فمراكش مملوءة حبوب إلى حدود الانفجار. فقال له ويدا :

\_\_ جيد، حتى إذا ما حاصروا يوم فرب سصمدا أكثر، وهذا أمر إيث، لكن فنتنتظر إلى أن يأتوا عندنا، فلا شك أن البارود سيترككم بين يوم وآخر.

وبالفعل، وبعد مدة من هذا الحور : وصل حفيد لطاهر بن سليمان سي محمد بن الجيلالي إلى مراكش ليتشجر شجارا عنيف مع حراس باب إيلان، لأنه لم يقبل بأن يضع سلاحه في باب المدينة وعند خروجه علف الحارس المسؤول، لكن عندما قاومه هذا الحارس أطلق عليه النار. ففقد صر الحرس وقتلو محمد بن الجيلالي وأسروا رفاقه

وعندما علم بن داود بالحادثة سرع إلى ويدا ليخبره بما وقع، فقال له ويدا غاصبا :

\_\_ إن ما وقع تتحمل فيه مسؤولية لأنك أعطيت، وبدعوى التحرة، امتيازات كبيرة لأولئك لكالاب الملاعين. فيجب أن يوضع حد حسم لمنع انتشار البنادق بهذا الشكل.

فأجبه ابن داود :

\_\_ أعرف هذا ! ويدا. لكن ماذا تريدني أن أفعل ؟ فلا يمكنني أن أكون مثلك، ولا امتلاك حصلك بصفقتك رجل حرب ومخزن، وتعلم أنني مدووس جيد. كانت سياستي تهدف دائما إلى تجميع حيرات الرحمة في المدينة، وتعلم أن أكثرهم لهم منزل هنا، وقد نحت سياستي بالفعل حيث يمكن لما الصمود أكثر أمام حصار أطول، ويمكن أن تغلق منذ لأن أبواب لمدينة إن شئت

فقال ويدا

\_\_ إذن لم يبق متسع من الوقت لئلا !

وبالفعل، وبعد صدام باب إيلان، انطلقت حركة لرحمة بقيادة الطاهر بن سليمان العسكرية نزلة العظم قرب من كرير، وبدأت ملامح مواجهة تظهر بسرعة. حيث قال الطاهر من ضمن ما قال

.. انظروا أيها الملاعين درجة ضعفكم وتخاذلكم، حتى تجرباً هؤلاء اليهود على قتل  
أبنائنا، فماذا تنتظرون إذن لتكونوا رجالاً؟!  
فرغ المعسكر وتوجهت الحركة نحو مراکش.

وعندما أعدم ويدا بالخبر إستقدم قبائل المخزن للدفاع عن المدينة، وقد كانت هذه  
القبائل هي : أولاد ادليم ( الشراردة )، وتكنة، والوداية، وإذا أويلال، وأيت إيمور،  
وحريل، وكل القبائل الموجودة في حوز مراکش.  
وقال لهم ويدا :

— تعالوا إلى هنا، فستكونون أنتم وأسرکم محميين بأسواركم، ولا تمكثوا في سواديكم  
إذا أردتم أن لا يهجم عليكم الرحامنة. فستعطيكم هنا خيولاً وأسلحة وكل معدات الحرب.  
وعندما وصلوا إلى مراکش وزعت عليهم الأسلحة والمؤونة بمسؤولية قوادهم كما  
أعطيتهم أجرة 2. 50 ph للفارس. و 2 و 50fr، و 1. 25fr لكل رجل.  
وقد علم أن الرحامنة عندما اقتربوا من المدينة، كتبوا إلى جيرانهم أولاد ادليم :  
— ما الذي تصنعون ! انظموا إلينا إلى إخوانكم.  
فأجابوهم :

— نحن لسنا لا معكم ولا معهم. نحن محايدون. ولا يمكن أن ننظم إليكم، أولاتعلمون  
أن نساءنا وأطفالنا وأمتعتنا في أمان داخل قصبة مراکش، وأنا أصبحنا نتقاضى رواتب  
المخزن؟ فأتروننا إذن مكتفين بدور المتفرج.  
فقال الآخرون.

— ماذا؟ أتريدون أن تبقوا محايدين، وفي الوقت نفسه تحرسون أسوار القصبة؟ هذا  
غير ممكن. فاجتاحوا أراضي أولاد دليم، ثم التحقت كل القبائل المتمردة بالمخزن واحتمت  
بمراكش وعسكرت على طول تانسيفت بين جبل جليز وسوق الخميس<sup>(1)</sup>. حيث مضت  
رضى ويدي الذي أعطاها الخيول والأسلحة والمؤونة.

وعندما علم الظاهر بن سليمان بالخبر ثارت حفيظته وأرسل على التو تعليماته إلى  
مسفوية الداخلة في سييا بين سيدي رحال ودمنات، باجتياح أراضي آيت إيمور أراضيهم.  
فتدخل الرحامنة ليسحقوا آيت إيمور الذين لم يتركوا في الساحة سوى الجرحى والقتلى.  
أم الوداية الذين كانوا في نفس وضعية آيت إيمور، مترددين في أي الجهة يتبعون.  
فقد جاءوا إلى الرحامنة بثور « التركية » وانضموا إليهم. وقد كان الوداية رجالاً مكرة،  
لاستطيع الوقوف عن صدق طويتهم. وكان يقال عنهم « أن لهم عينان واحدة من الدم

والأخرى من الحبيب » لكن يتضح أن بعد هزيمة آيت يبور أصبح الوداية موالين تماما للرحامنة.

وكان الرحامنة قد عثوا قوة أمامية إلى قطرة تنسيفت حيث بدأت المواجهة مع المدافعين عن المدينة. وبدأ لفسال، وكانت بقية الرحامنة مستعدة للهجوم

وعندما علم السلطان بخطر هذه المواجهات أرسل من فاس، لقائد العربي بن حمو الذي كان رحمانيا، ليحول صلاح الوضع وحلب الصلح والسلام، لكن أهليه كان من الصعب اقتناعهم فغادرهم لينضم إلى ويدا.

وفي الوقت الذي اندلعت فيه أولى المواجهات على قنطرة تنسيفت شرعت مدينة مراكش في الدفاع وإغلاق جميع الأبواب. حيث كانت جميع الحصون محروسة، وكان المراقبون يظهرون من شرفات الصوامع. كما كانت كل القنادق الموجودة بساحات القصبة غاصة في انتظارهم جماعي، وكان قائد الرحامنة الطاهر بن سليمان قد كتب إلى مسفيوة :  
— أخرجكم يامسفيوه، الأوفياء وأصحاب البرود ودو الدر، نه عدد، ويعون الله سندخل مراكش، حيث سيفعل فيها ما هو واجب عليه فعنه، أما بالنسبة لكم فإني أكرمكم، ومجرد بدء المواجهة، أن تدخروا المدينة عبر القصبة وأصحبكم أن لا تهجموا على أكدال ولا على دار المخزن، فليس من المعقول إزعاج شريفات القصر، وليس عندكم ما تفعلوه تمّة. وبعد استحواذكم على القصبة، انتظروا مجيئي.<sup>(9)</sup>

لكن في الليل، ودون انتظار بداية المواجهة تسرب مسفيوة إلى جدران أكدال، وأحدثوا به ثقب تسربوا منها إلى الخدائق، لكن جهلهم بالممرات والطرق جعلهم يتيهون ويقعون في الشراك التي نصبها لهم حراس القصر فقبض عليهم ووضعوا في الأكياس. وقد دامت مواجهة الخدائق لعيفة هذه ثلاث ساعات. كانت محلة الرحامنة المعسكرة قريب من بوقريحا بن ساسي تنتظر الإشارة في حماس وعبد وصول لمحرر كانوا في كامل الاستعداد لمواجهة.

وكانوا يقولون :

— وأما ! ههم مسفيوة قد اقتحموا أكدال واستولوا عليه. فسم يبق علينا سوى دفع الأبواب برؤوس جيادنا ودحول لمدة.

لكن عندما اقتربوا من المدينة رأوا بعض مسفيوة فربن بعد فشل مهمتهم بالليل. فاستهزؤوا منهم واحتقروهم خاصة أنهم رأوا من ضمن الفارس أحد أعيانهم الذي كان مولاي محمد يرغب في تنصيبه قائدا وقد فقد دِراعه بعد انفجار وقع بالقرب منه على ما اعتقد



فقلوا له :

مما يشتكي هذا الرجل ؟ أو ليس بيده طابع القائد الذي أعطاه مولاي امحمد السلطان المقلب ؟ (10)

وقال آخرون :

— هل أنتم متيقنون أن كل مسفيوة رجال !

وقد غضبوا كثيرا من تصرف مسفيوة.

أما هم فقد هاجموا في اليوم الموالي، لكن السكان أباتوا عن مقاومة قوية حيث كانوا كلهم مسلحين بالبنادق : 74 بندقية من Martini,Rauington,Mauser، وبنادق عصرية سريعة انطلقت، وبرصاصات جاهزة، في حين كان الرحامنة مسلحين ببوشفرة، وكنا نعد عندهم حوالي 70 بندقية منها 50 قديمة من الحجارة. وأخيرا، وبينما كان المتمردون يطلقون النار دون أوامر، كان السكان منضبطين للأوامر في إطلاق الرصاص. وكانوا يطلقون أحيانا الرصاص في الفراغ لكن لم تكن بعيدة عن المهاجمين، ورغم ذلك أصابوا بعض الحرحى. وهكذا فقد الرحامنة كثيرا من الرجال، وبسرعة، فترجعوا مهزومين. ففرح المراكشيون وهنأ بعضهم بعضا قائلين أن المخزن نصرته عناية إلهية. ثم رجعوا بحذر دون مطاردة المهاجمين. ولو كان السكان يحستون الرمي لدمرت هذه القبيلة المتمردة عن آخره بعد هذه المواجهة، وكانت هزيمة الرحامنة فرصة سانحة لبعض القبائل المخزنية المتعودة على البارود تقوم ببعض الإحتفالات وقطع الرؤوس، خاصة بعدما علموا أن المخزن يعطي 10 فرنك لكل رأس مقطوع و50 فرنك لكل أسير.

وكانوا يقولون : « إذا كان المخزن يشتري الرأس بـ 10 فرنك، فإننا سنواجههم إلى أن نسحقهم جميعا.

وخلال هدنة أربعة أيام، اجتمع فيها الأعداء ورموا صفوفهم من جديد وقرروا الهجوم من الشمال الشرقي، انطلاقا من باب الخميس إلى باب أغمات. وعند علمهم بهذه الخطة خرج جنود المخزن ليختبئوا في خنادق عميقة بوادي اسيل، حيث شغلوا كل الحفر والصخور الموجودة في سرير الوادي. في حين كانت وحدات القبائل من الفرسان قد عبرت قنطرة الوادي وتورعت يمينا ويسارا في غابات النخيل من أجل الهجوم على جناحي أو جهتي المتمردين. فجاء الرحامنة وبدأت المواجهة لكنها لم تكن في صالحهم خاصة أنهم قد ضبطوا من كل الجهات : من أهم نقاط المدينة ومن الخنادق الطبيعية للوادي لدرجة صعب عليهم معها رصد مكان أعدائهم المختبئين أو المندسين في كل مكان. وعندما أحسوا بضعف جهتهم اليسرى مالوا بقوة على كل الفرسان الذين رصدوهم، وأجبروهم على التراجع إلى المدينة في قوضى عارمة وقد دامت المعركة لحد الآن أربع ساعات.

وكان ويد الذي لاحظ تراجع خيالة قد طلب من لقائد العسولي من أولاد رحال أن يمه برحاله . وكان هذا الأخير قائد ل 50 فدرس و 50 رحا قريبا ، محاربين أكفاء . فقام بهجوم مضد تراجع على إثره المتمردون كما قدم لعربي بن حمو بنفس العملية حيث هاجم وبقوة الجهة الجنوبية للأعداء . وانتهى كل شيء ، وفتح أهل مراكش الأبواب واحتفلوا بالانتصار وطاردوا الفارين .

وكان عدد الأسرى والرؤوس المقطوعة هذه المرة كبيرا . حيث علقنا هذه الغنائم بالدموية على حدران فندق جامع الفنا بعد أن قام يهود الملاح بتمليحها .

وهكذا فقد الرحامة شجعانهم ، وهنأ المراكشيون بعضهم بعضا ولم يعودوا يشكون إطلاقا في الانتصار النهائي . في حين رجع المهاجمون إلى معسكراتهم لتضميد جراحهم والاستعداد لهجومات جديدة وعندما رأنا بعض القبائل الحليفة للرحامنة ماصرت عليه الأوضاع تراجعنا وذهبت إلى مراكش بالهدايا ( الثيران ) طالبة الأمان والتمتع بنفس حماية السكان . وكان من هذه القبائل آيت إيمور الذين بعثوا برجلهم إلى مراكش بعد هزيمتهم العنيفة ضد الرحامنة ، ولم تكن مساهمتهم هؤلاء الرجال أمر هيب خاصة أنه كان منهم رماة مهرة ، حيث إن أربع رماة من آيت إيمور يعدلون في رمايتهم 25 جندي عادي .

وحالاً خمسة عشر يوم . كان للرحامنة يستعدون للهجوم من جديد بعد المفاوضات الفاشلة خاصة أن الرحامنة قد تركوا عدة حرجى وقتنى لاند من الثأر لهم

وهكذا قرر الرحامة هذه المرة ، عدم الهجوم من وادي اسيل . بل اتباع خطة شبيهة بخطة المخزن . حيث عملوا على استغلال منحدرات وملتويات الميدان والقناطر والأسوار والسخير ولحدائق الموحدة بين باب دكالة وكينز فتجمعوا في هذه الجهة . وكان القائدان الحاج علي والمطاعي قد جاء مع وحداتهما ليعسكرا أمام باب دكالة إيذانا ببداية المعركة .

فنشبت المعركة ليلاً ورغم جهل القصة بما يحدث في باب دكالة ، فإن ويدا قد أرسل آيت إيمور لتقوية الحاج عبي . لكن هذا الأخير المتيقن بقدرته وحده على ضبط الأوضاع ، وطلب منهم الرجوع إلى قصبة لأنها في حاجة إليهم أكثر . واستمرت المواجهة إلى مساء اليوم الموالي حيث كان لرصاص يسمع في جهات المدينة . لقد كان بالفعل يوم محزن فلم تكن تخطو عشرة أمتار حتى تمجد بعض القتلى . وعندما انهزم الرحامنة للمرة الثانية طاردهم السكان من جديد . لكن السكان وقعوا في شرك جندي الرحامنة الأيمن والأيسر فرجعوا متشتتين مذعورين إلى كبر لمقطع من المدينة ، مما جعل ويدا يتدخل مع وحدات التقوية ليحلي الرحامة عن كبر ويطاردهم . فابقى الرحامنة أنهم قد هزموا هذه المرة ، وفروا تركين وراءه القنسى والأسرى بأيدي المراكشين .

ثم رحل الجنود إلى معسكراتهم ليدفنوا محاربيهم ويرتاحوا من متاعب هذا اليوم العسير. وفي الوقت الذي كان فيه القواد يبحثون في إمكانية تدشين مفاوضات السلام. بعث ويذا وبصفة استثنائية إلى السراغنة إخوة أولاد ادليم وأعداء الرحامنة أن يأتوا إلى مراكش للبحث في صيغة توافقية. وكان يسمع في كل الجهات أن المستفيد الأكبر من هذا الإنصاف هي المدينة لأنها سوف تتراح من قيادة سي عباس بن داود الباشا الذي لم يتردد في حقن حي كل من كان يحارب وهو فارس متراجع، خاصة أن الرحامنة قد تركوا عدة قتلى. وأهم كادوا يغادرون المعركة بعد أن تراجعوا ثلاث مرات. وتكاثرت البلاغات حتى إن السلم أصبح شيئاً بعيداً.

لقد دام هذا العصيان وعدم الاستقرار بالجنوب أكثر من سنة. حتى القواد المعسكرين بمولاي بوشعيب قد تعبوا من الإنتظار هناك. وقرروا الرجوع إلى السلطان بفاس. باستثناء سي عيسى بن عمر الذي رجع إلى قصبته، حيث استطاع بواسطة مرتزقة مأجورين الإستيلاء على عبدة واحمر والشياطمة بطريقة متتابعة.

لقد ظل السلطان، كما قلت لك، دائماً في فاس بدون رد فعل، وهذا أمر غريب بعض الشيء، واكتفى الوزير الأول سي احماذ بالكتابة إلى ويذا :

إن لدي ذخيرة كبيرة من الرصاص والبنادق والمدافع والرجال. فلا يمكن أن نهزم. وإذا كنت ترى أن أجرة الجندي اليومية المحددة في  $h2.P$  غير كافية. فإني أذن لك أن ترفعها إلى 2 دورو (10 فرنك). واعلم أن المخزن لا يذخر هذه الأشياء إلا لمثل هذه الظروف التي تمر بها في مراكش وبعد مرور شهر، بعث سي عيسى بن عمر، الذي كان يحضى بحترام المخزن. إلى السلطان بأنه في غاية القوة حتى إن تغذية أتباعه أصبحت شيئاً صعباً، فهم يستهلكون أكثر من 100 ثور يومياً. وأنه سيكون محتاجاً إلى تقود أكثر. وأنه، إذا أراد أن يتفرض من أقواله فما على مولاي عبد العزيز سوى طلب توضيحات في هذا الموضوع من تجار أسفي الفرنسيين. وأضاف بأن البلاد منهكة تريد السلام. وأن سيدنا م عليه سوى إخراج رأسه من مخزنه، وأن قدومه وحده كافٍ لإحلال السلام.

وكان مولاي عبد العزيز قد سمع نصيحة باحماد وأمه بالتوجه نحو مراكش. لقد كان الوزير الأول رجلاً هادئاً ودبلوماسياً جيداً، حتى إنه لقب بخيط الحديد « لدهاته ومروته، لكنه في الوقت نفسه كان قوياً إذا وضع أحداً بين يديه.

وهكذا غادرت محلة السلطان فاس (شتنبر 1895) لتمر في بطيء من زمرور تحت القيادة الفعالية لحمو بن الجليلي. وقد بقي عم السلطان مولاي عرق في فاس ممثلاً للسلطان. وقد كان تحرك السلطان بطيئاً فيه تفكير وتأمل ثم وصلنا إلى الرباط. فدافع في كل القبائل خير توجه السلطان الشاب رفقة قواته إلى مراكش لإجلاء المتمردين عنها. لكن الإقامة في

الرباط دامت عدة أشهر فيها امدادات القبائل الآتية من كل الجهات، وحلح وتعيين قواد جدد. وهكذا حل المتوكي ضيف على لسلطان بالرباط مجهزا بحركة قوية وأسلحة مؤن وأعتدة. فسر المخزن ممجيء هؤلاء الشيوخ المحاربين الحديد لتعزيز صفوفه.

وكان قد جمع في هذه الأثناء بالرباط حوالي 15000 رجل بما في ذلك المظميين ووحدات المتوكي وقبائل المخزن الشمالية والغربية وبنو مطير وگروان والخلوط وبنو حسن والحينة وآيت يوسي والشراردة وأولاد حجمع.

وفي أواسط فصل الشتاء (فبراير 1896)، انطلقنا من الرباط بدون فوضى، وفي هدوء كتحرك رجل مسكين. حيث وصنا الشوية، وعبرنا أم الربيع عبر مشرع الشعير، حيث تقدما باحتراس شديد نحو الرحمة، بالقرب من بني مسكين حتى الخوام؟ لكن منذ مغادرتنا قصة تمارة كان شيء ما يصحنا يقتل الكثير من أفرادنا في هدوء وصمت، إنه المرض المسمى «بوكيب»<sup>(1)</sup> الذي انتشر وبسرعة كبيرة من طنجة إلى الجنوب، إنه يخرق صفوف برصاصاته الخفية، وقد كانت رؤية الرجال الأقوياء يسقطون من على فرسانهم مصعوقين أمرا يدعو إلى الشفقة والرحمة. فقد كان هناك عدة جثث في كل الحقول.

ولم يسلم الأعيان بدورهم من هذا الداء خاصة الوزير سي التازي الرباطي، وسي مولاي عبد الله «متحسب»<sup>(2)</sup> مراکش. وكذلك Minnie أخت القائد هاري ماك لان. وكان في هذه الحجة أبيض مدبرون فرسيون وأنجبر. وكان ماك لان الذي يحضى باحترام المحرر الكبير، يقود طائوره من المشاة لمجهر منذ مدة قصيرة برشاشات أنجليزية. وكانت عائلته زوجته الاسانية وساته في رفقة أطباء أجنب وكان طبيب السلطان هو الإنجليزي Verdon وطبيب العسكر Linarés، لكن رغم لعديّة التي كان يحضى بها هؤلاء جميعا فإنهم كانوا ضعفا أمام بوكيب. صحيح أنه لم يمّت كل المصبيين. لكن كما نرى يوميا رجالا يسقطون من المرض قرب الخت التي يدفنونها فذب القلق والتدمر إلى النفوس من هذا التحرك البطيء ومن هذا الشلل الذي انتاب المعكسر ومن شراسة «بوكيب» هذا.

فقال لهم بحمد

... أن لا أعرف لماذا أنتم متدمرون بسرعة فيوگليب موجود في كل مكان، فلماذا تشتكون، إنه وراءنا وأمامنا، وقد عدمت أنه وصل إلى مراکش، واعتقد أنه يعمل في هذه الأحياء حسب فسواء هو أو هناك لن يفت أحد من مصيره إذا جاء أحده.

ورغم هذه لطروف طب من الرحمة المحييء إلى الحجة وسمع الشروط التي يفرضها السلطان. وقد كان القائد عبد الحميد هو الذي يفاوض بإسم الرحامة. فقال له بحماد:

— ستقدمون للمخزن 4000 أسير، يأتي كل واحد منهم بفرسه وسلاحه ومؤنثه ويعطي ذلك كله للمخزن، ثم يغل ويذهب به إلى السجن. والآن فإتينا نريد المتمرّد والمسؤول الأكبر الطاهر بن سليمان، وبالحاج. أين هو الآن؟

فأجاب عبد الحميد :

— إنه محتمي بزاوية سيدي علي بن إبراهيم.

فقال الوزير الأول :

— جيد ! إذن يجب عليكم إحضار كل هؤلاء المتمردين على وجه السرعة وأخص بالذكر منهم، ذلك الذي تمرد في جهة دمنات المسمى ولد الروححات.

وعندما علمت القبائل المترددة والمتمرّدة بخضوع الرحامنة، أرسلت وحداتها إلى المحلة التي بدأت أعدادها تزداد وتصبح ذات أهمية أكبر يوما بعد الآخر. وعلم نهائيا وتقرر أن المحرّن هو الذي انتصر دون إطلاق رصاصة واحدة. بفضل مقاومة ويدا، والخطة الدفاعية المحكمة عن المدينة. وخاصة بفضل الأموال الكثيرة التي صرفتها الخزينة المخزنية.

وكان الرحامنة مضطرين لقبول الشروط القاسية المفروضة. فوصل أسراهم جماعات تحت حراسة الشيوخ<sup>(14)</sup> على الجمال أو الحمير حيث طيف بهم في كل أنحاء المحلة تحت وابل من الشتائم والسخرية، فكانوا يشدون من لحيمهم حتى إنه لم تبق على وجوههم الدامية سوى بعض الشعيرات. ثم جعل الحدادة الأغلال والقيود القوية في أرجلهم واقتيدوا في مجموعات من 15 إلى 20 أسير ( في كل مجموعة ) ثم إلى ربط خيولهم في ركن من أركان المعسكر. كما جمعت بنادقهم والخناجر في الوسط. وظهر قائد التمرد الطاهر بن سيمد بدوره. ملتفا بغطاء ضريح سيدي علي بن إبراهيم رفقة شرفاء ومقدمي « لزاوية »<sup>(15)</sup> الذين جاءوا به بأمر من السلطان، وقالوا لباحاماد :

— أسيدي، دون إطالة كلام. إنه مذنب بالفعل، لكنه كان مدفوعا من أهل سوء من قبيلة. وقد استأجر يحمانا ويجدنا الذي تحترمه أنت أيضا، فلا يحق لك الآن أن تنتقم منه، إنه في حمانا.

فأجاب الوزير :

— بلتأكيد، فأنا مثلكم أحترم سيدي علي بن إبراهيم. لكن ماذا تعتقدون أنه كان سيمعل سيدي علي بن إبراهيم، لو واجه في حياته متمرّدا مثل الطاهر؟ إنه كان سيقوده حتما بيده إلى الخزن لينال عقابه ولهذا أقول لكم لا تسامح مع هذا. . . !

فقال الشرفاء :

إنك فعلا على صواب ولو أنك لا تعرف من الذي كان سيفعه سيدي عبي بن ابراهيم،  
في حياته ولكن الأمر يتعمق بحرمته وحمده الشريف المقدس. فانظر إلى هذا الشقي  
وعطاء ضريح وليد فوق ظهره ! إن ديتك تمنعك أن تمسه بسوء. لقد جئنا إليك، واستقدمنا  
هذا الرجل من منعه لأب كك متيقين من عفوك

فقال باحمد :

... هن تمرد الطاهر بن سديد صد سيدن أم لا ؟ أجيوني !

... نعم لقد تمرد الطاهر.

... أو لم يرد في حديث سيد محمد (صنعم) : فالذئب لا يأكل إلا الشاردة من  
الشيء. فالطاهر ذر بعجة صالة لم يعد من حقها الإلتحاق بقطيع الأوفياء فأزيلوا عنه هذا  
العطاء الشريف لذي يطححه بعرقه ولذي لرس حميه من أي شيء.

وهذا ما تم بالفعل. حيث جند هذا لشقي بعض حتى كادت روحه تزهق.

وجعل في ليوم المولي في قفصر من حشب وجعت قصبانه من بدق الرحمنة. ثم  
حمل فوق جمل وطيف به في جميع أنحاء المعسكر، وقذف بالقادورات كالكلب. هذا  
إذن جزاؤه.

وبعد ذلك، أدى الرحامنة كل مسحقتهم من لصرائب المتأخرة منذ سنتين، ومبلغا  
مالب صحما تعويض عن خسائر الحرب وصل إلى حدود 200000 دورو، مليون فريك فيما  
أعتقد. لقد كان المخزن يريد يقال كهنهم حد حتى لا يفكرو في التمرد من جديد. كم  
أعطو حيوتهم وأسحتهم وجاء الدور أيضا على كل القائل الأخرى التي ساندت الرحامنة  
في تمردهم حيث قدمت الأسرى وأعطت النقود

وهكذا بسط المخبر سيطته على لأوضاع وأصبح أكثر إرهاب وإيحاء. وكان قد تطلب  
إرجاع الأمور إلى نصابها أربعين يوما. وعندما هدأت الأوضاع انطلقت الحملة نحو مراكش  
التي دخلتها دخولا احتفاليا (7 مارس 1896) وسط نهائى ومبايعات اسكان ورغريد النساء.

وكانت تظهر في لموك كومة لأسدحة التي تحرها، وراء سلاسل من لحول مشدود  
بعضها إلى بعض، وطائور أسرى المعسرين بطريقة عبقة جدا. وكان يظهر السلطان  
الشاب حور باحمد لداهبة لمشهور.

وبعد مرور أيام قسم لأسرى المغلولين دائم مجموعات ووزعوا على المراسي الرباط  
وسمي والصورة والحديدة وطحة وتطور. كم شرع في جميع لقضايا التي يمكن البث  
فيها.

وقد تم نهج الطريقة نفسها مع القبائل الأخرى المتمردة، حيث سومت شكليا وعين  
عديها قواد جدد. واحتيل عليها عندما أتت بعد مرور بعض الأشهر إلى القصر للسلام على  
السلطان يوم الهدية. وقد كان من عادة باحماد وضع الأغلال في الأرجل في الزنازن  
وسينهم هناك. وبهذا الإجراء قل يوما بعد يوم أعداء المخزن.

وقد استطاع القائد سي عيسى بن عمر الذي حضى بمساعدة المخزن، أن يخضع جهته  
وعين بالتالي قائدا عاما على عبدة ودكالة والشيظمة. وعين تحت إمرته قوادا آخرين لتسيير  
منطقته المتسعة. وقد كان الجزاء اعترافا للمخزن له بالجميل على اقتراحه الصائب بوجوب  
نزول المخزن إلى الجنوب وجنى ثمار انتصار هيأه آخرون.

وهكذا عاد الهدوء والحياة إلى الجنوب كله.

## الهوامش

- 1 19 عشت 1908 هو تاريخ هجرة مولاي عبد العزيز أمام وحدات بحفصية و 25 نونبر هو تاريخ وصوله إلى لمار بيضاء
- 2 رعم هذه الكلمة التي تعرض بها سي منصور عريضة فإنه سم يمت بدس، لا في 28 ماي 1928
- 3 لقد عبر قسم محاربي وحيوب هذه الكلمة أم اربع بمركب يتوقفو مولاي بوشعيب على انصفة يسرى جنوب شرق أرمور، لا أكثر ففي في راحة سيدي عني في تنهار الامر بالانطلاق وكان عليه عبور نود عبر مشرع محبوبة أو مشرع لكرمه قرب بوعوار حسب عميت حرقية وقد كان عرض اميه في تلك لثناء 50 إلى 70 متر
- 4 40 بوفي قائد كبير سي عبد مانت متوكي في 21 أبريل 1928.
- 5 أي رسل ومعونين
- 6 يبدو أن مولاي محمد، وكمب عدة بعض الزرر، وعمه مولاي عمر، ودعم لرحمة كان يرغب أن يبيع سبط في مر كشل
- 7 لقد كان ابرؤساء والقوادى في ذلك لأفواح لطمية وإحتياطية مكتمين وبصفة معينة على توزيع لبدق على رحنهم
- 8 قرب الداء الذي لا يحتم نفس الاسم، باب خميس، لا لوم
- 9 كان يوجد بقصر سبط عدد من شريفات و الأميرات (مع خدمهن بيض أو أسود) مسبات أو مصعدات أو منصوب عنهن ولكن نفس الحضر بصفة رعم عاب سبط
- 10 لقد كان كل قائد معين يتوفر على صاع يستطيع به أن يحتم به على لوثائق ويعتبر هذا لطابع مؤشر قويا على مكانة القائد، ومثابة قرر تعيين رسمي
- 11 لمرد بوكمب هو داء لكويرا الذي تسرب عبر حجاج ندين وصول في سفينة من حدة إلى طسجة (11 عشت 1895) وكان الناس يعتقدون به من أمور من الحن
- 12 لقد أصيب لوزير موحى لثري بالكويرا لكنه سم يمت من حرته
- 3، موطف سمي في مد يحد لآتمه في لأسوق برعب حدودها ويشرف على جميع بدلات بحرية وعمل على تنسيق بين حرق عهد مكتبة وير تحرة محبي
- 14 جمع شح لاس وده أو حدة من فينه أو فرة صعبه أو وبه دببة وبكي يحكم فند ما فينه لا لبدله من عدة شيوخ
- 5، نرويه مجموعة من سباب حور صريح وب معين محمي مقيم نسبسي نارين من الحور وتعيش من هدي وتبرعت لانباع لأهلي التي بوع حسب أهمية هن نرويه لأب هدا اشرف أو لأمرء مسجدين من صلب لولبي، ثم مقدمين تم معقهه مكلفين سقل تقوا



وقد لعبت البروية دوراً مهماً في تاريخ البلاد. حيث كان لها أحياناً، إشعاعاً على المستوى الوطني واتسعت م بصيحات  
محررين في مستشفى وقد انطلق المراهطون من زاوية ابن ياسين، والموجهون من زاوية ابن تومرت، كما كان للزاوية اندلالية  
لشهره

دور هام في لاطاحة بآحر السعديين، والتي سوف يقضي عليها الشرقاء العلويون من زاوية سجلماسه بتاهيلالت أحمد  
مولاي علي. ونحكم المغرب بعد ذلك.

16 - سم الضاهر بن سليمان للمحزن في 27 يناير 1896 وكان دخول السلطان إلى مراكش في 7 مارس من نفس السنة

## آخر محلات الوصي على الملك

-اختفاء عائلة باحماد- مظاهر كفاح المخزن.



وهكذا عدد لهدوء والأمن إلى حبوب المعرب كنه وسم تكن أي ثورة أو تمرد يثير قلق أو اهتمام المخزن في شمس.

فقدس أمنة وهدنة تحت قيادة مولاي عرفة، وكذلك مكندس التي بعث إليها بالأسرى تحت حراسة قوية حيث عادر مولاي أمحمد دار مولاي الزين مع أصدقائه وأقاربه الرحامنة إلى دار المخزن بمكناس ولم تصطدم حامية تازة المكونة من 500 رجل بقيادة سي علال الودي مع عيثة الذين سبق أن نهبوه، أما وجدة فهي هدوء وراحة تامة مع باشاها الجديد إدريس بن يعيش الخليفة القديم لقائد المشور إدريس بن العالم، حيث بسط سلطته ونفوذه بقوة في المنطقة لأن الكل قد علم ما حدث للرحامنة من جراء تمردهم. فكان الناس يتحركون في انتصام وهدوء ودون رفع رأس كما يقال.

وحل المخزن بمراكش، حيث سيمكك به عدة سنوات<sup>(1)</sup>، ثم عمل على خلع قواد وتعيين جدد. وكان قد ظهر في هذه الفترة على مسرح الأحداث، مخزني كد يحضى بتقدير حاماد يسمى المهدي المنهي وعين لقيادة قبيلة المناهية. وأحدثك عن هذا الرجل الذي لم يكن من عتبة كبيرة معروفة لأنه سيأخذ فيم بعد المخزن كله بيده.

وماكاد السطان الشب يستقر بمراكش حتى استقبل (باش دورا) سفيراً<sup>(2)</sup>، يحصلون في هذه الفترة على عدة امتيازات، فأصبح ملك لان قائد الحراس أكثر حضوة حيث يقضي أغلب الأوقات تقرب في القصر، ويسس على الطريقة العربية ولم يعد ينتظر كالسابق ساعات أمام باب القصر بين جماعة الرور الذين يراعون في لقاء أحد أفراد المخزن فكان بمجرد أن يأتي لا ويدخله محربي حص إلى السطان. وقد كان يحيط بموتمي عبدالعريز بعض حسد الذين لا يرحبون إلى ملك لان، لكنهم كانوا، مع ذلك يسرعون إلى السلام عليه لأنه كان يحضى بحترام وتقدير حامد وكل الورراء. لقد كان رجل حرب قوي، ويشغل طائوره بصم وفيه كان الإنحيزي يعمل جاهد على إمتاع السطان بالمحادثات ولظرف، وبرز آخر مستحدثات أوروبا الميكانيكية ولتقنية، كان الوزير الأول يحكم وفده دون مراقبة، ألهم من عنته وأصدقائه ادب يحيطون به في المخزن

وقد جهز في خريف هذه السنة التي وصلنا فيها إلى مراكش عدة حركات للذهاب إلى ناحية سوس ورأس الواد، والاستطلاع حول ما يمكن أن يقع في هذه المنطقة<sup>4</sup>، لقد كبر أهالي هذه الجهات في تمرد دائم منذ وفاة مولاي الحسن. أنا لم أكن من أفراد هذه الوحدات، ولا أعلم ماذا فعلت هذه الوحدات في تلك البلاد : انطلقت الأولى إلى هوار « بقيادة البشا حمو بن الجيلالي ومولاي عثمان عم السلطان، والثانية إلى شتوكة الموجودة في الجانب من هوار بقيادة القائد اسعيد الكلولي، والثالثة إلى واد ماسة بقيادة الحاج محمد ويذا الذي دافع بقوة عن مراكش، ومولاي عبد الحفيظ أخ السلطان. وكان أن عززت هذه الحملة بحمية قصبة تزنييت القارة بقيادة القايد عبد السلام ايطو. وقد عرف المخزن في هذه المناطق أياما نحسات، انتصارات وهزائم. وقد نهب مرة، المعسكر الشريف لمولاي عبد الحفيظ. وبعد أيام أخذنا بعض الأسرى وحصلنا الضرائب.

ثم عادت، في الأخير، كل هذه الأفواج التي أنهكت البلاد عدة أشهر إلى ترودانت وأكادير حيث بعث إليهم باحماد عدة طوابير لتقوية صفوفهم، لأن أهالي تلك المناطق قد طاردتهم بقيادة محمد أهاشم شريف زاوية سيدي احماد أموسى، ولم ترجع وحدات في تزنييت إلى قصبتها إلا بصعوبة كبيرة. ونجدد الإشارة إلى أن أغلب الوحدات النظامية المحاربة ومدربها قد بقت مع السلطان بمراكش ولعل هذا ما يفسر فشل تلك الحركات الصغيرة التي كانت ترسل إلى هنا أو هناك، والتي لم تكن تستطيع مواجهة حتى بعض الجبناء.

وظلت جهة مراكش بعد هذا الصيف (1897) هادئة، كما كانت الإستعدادات جارية لمغادرة مراكش برغبة من السلطان والمخزن والنظاميين والمدرين الأنجليز والفرسيين.

هكذا غادرنا مراكش (16 شتنبر 1897)، حيث مررنا ببني مسكين والكعدة للمعسكر بصخرة الدجاجة بوادي زم على الحدود بين تادلة، بسبب ما يلي. لقد ثارت القبائل المجاورة لقصبة بن احمد : عشاش والخساسرة واولاد امحمد ببني ايمان والاولاد / الولاد ضد قائدها وحاصرته. فمكثنا في هذه الجهة أكثر من ثلاثة أشهر معسكرين تحت الخيام والبرد القارس. وقد كان برفقة السلطان، فضلا عن الوزير الأول / الصدر الأعظم وكل الوزراء المرافقين، قائد الحملة مولاي الأمين عم السلطان وسيدي محمد الأمراي.

فكون إثن عشر طابور متشابهة، أحاطت بكل جهات صخرة الدجاجة لمحاصرة القبائل المتمردة، واحتياحها ونهيا وإرغامها على أداء الضرائب للمخزن. وكان مختلف قواد الطوابير يقولون للإنفصاليين المنشقين :

« استسلموا وأدوا مستحقاكم من الضرائب، وحيث سنغادركم إما إن رفضتم فإننا سنظل بأراضيكم وستكونون مرغمين على مؤونتنا وتغديتنا إلى أن تفقروا وتصبحون أعزى من كأس كما يقال.

فسارعت لقتل المعية بآداء الصراخ بصخرة الدحاجة، لكن يبدو أن هذا الإجراء لم يشف غليل المخزن، فكتب السلطان، بيزع من حماد، إلى قواد الطواير الإثناعشر :

« إنني مسرور بمكم، لكنني لاحظت أن عميتكم الصغيرة قد دامت مدة أطول. لهذا يجب أن تقصوا على هؤلاء المتمردين إطلاقاً، ولكي تكون عملياتكم أسرع وأنجح فينني سأحدد لكم يوماً وساعة واحدة لانطلاقها وتكونون متففين على زمنها جميعاً. وحيث سوف تجتاح كل وحدة المنطقة التي توحد أمامها. وتنحي كل الجهات التي تقومها. وتجلب إلى صخرة الدحاجة الأسرى والقطعان والمؤونات وكل ما يمكن أن يؤخذ وينقل .

وبوصول هذا الأمر إلى كل جهات الطواير انطلقت سرعة لأداء المهمة واجتياح كل هذه الجهات حيث أسرب 800 أسير، وجلس عدداً كبيراً من رؤوس الأعداء والأبقار والخيول دام توريعها مدة طويلة، وعندما قسم كل شيء « وشع » المخزن. أمر السلطان بجمع الأسرى في عشر مجموعات وأرسلهم إلى الرباط وسلا وتطوان والعرائش ومكناس وفاس ومراكش وأسفي والصويرة، ثم أعطى إشارة الإنطلاق.

وقد كان هؤلاء الأسرى في صف من 15 إلى 20 فرد في قيد واحد متبوعين بنسائهم وأطفالهم وكان منظر رؤيتهم وهم يقطعون، وبصعوبة، المسافات الطوال وبسرعة وتحت التهذيب أمراً يدعو على لشفقة، فملأو سجون لقصات والمدن وأمكن متعددة حيث كبوا يجدون في أماكن عديدة منها رفاقهم الرحمة.

كما كان هناك أيضاً عشرات لرؤوس المقطوعة بعث بها لتعلق على حدران قسبة الودية بالرباط. لقد كان انتقام المخزن عيباً جداً. لكن السلطان الشاب أو من يأخذ بيده كان يريد أن يظهر للجميع أنه قوي خاصة بعد هذا الإجماع والتوزيع العنيف لهؤلاء الأسرى على كل جهات البلاد، وأراد أن يظهر لأهالي البلد والمدن العقوبة التي تنتظر المتمردين.

وللرجوع، عرن الشاوية من المزامرة وأولاد اسعيد ثم لنصل إلى أزموور وبعدها توجهنا نحو مراكش.

وبوصول إلى واد تسيقت، عسكرت لحنة اثن عشر يوماً قريبا من القنطرة، حيث جاءت كل فخذات الرحمة لسلام على السلطان وتقديم المؤونة، وكذا بعض الهدايا كما جرت العادة بذلك حين عبور السلطان لدا ما. لكن السلطان اعتقل كل هؤلاء ومرافقيهم، وعين على كل الرحامنة القائد سي عبد الحميد لذي كان بمولاي بوشعيب والذي كان أيضاً طرف في المفاوضات مع هذه القبيلة حين خضوعها.<sup>4</sup>

وبعد تسوية جميع الأوضاع والأمور دخل السلطان إلى مراكش وسط الإحتفالات المعتادة، حيث أقام في هدوء وأمن.

وكذ القنند اسعيد الغلولي العامل على كل بلاد حاحة تقريبا، قد قام «بصوكة» إلى سوس الذي بدأت الأوضاع تهدأ فيه تدريجيا.

وفي الوقت الذي كان فيه مولاي عبد العزيز يستقبل السفراء<sup>(5)</sup> الذين كانوا يأتون بالهدايا - حيث لم تكن تمر سنة دون مجيء سفراء أوروبيين : فرنسيين وألمانيين وأنجليز وإيطاليين وإسبان إلى القصر محملين بالهدايا، طالبين بالمقابل بعض الإمتيازات التجارية لبلدانهم وأراضيهم أو تصفية بعض العصابات - أرسلت حركة سي محمد الأمراني لتسوية الأوضاع بمنطقة جبال المتمردة، كما بعث الباشا ادريس بن يعيش من وجدة إلى تطوان ليرجع الأمور إلى نصابها بقوته وصرامته المعهودة كما جهزت أيضا محلة ضد مسفوية الذين حاولوا قديما الإستيلاء على أكدال، حيث التقت في طريقها حركة من كلاوة بقيادتها سي المدني من تلوات.

وقد كان مسفوية الذين استسلموا وخضعوا بعد انهزام الطاهر بن سليمان، قد تمردوا من جديد. لكن ووجهوا وأدبوا بقوة وعنف، حيث اعتقل منهم العديد من الأسرى. واجتاحت منازلهم وأخضعوا قسرا.

وبعد مرور بعض الوقت توجهت الأنظار والأسماع نحو المخزن. حيث كنت هناك أحداث على جميع محادثات الناس في الشارع : فقد توفي وزير الحرب سي اسعيد أخ باحماد، بعد أن عانى من المرض عدة أيام، ومات أيضا الحاجب الملكي سي ادريس أخ باحماد الثاني. ثم جاء دور الوزير الأول / الصدر الأعظم باحماد ليعاني بدوره من وعكة صحية حادة. وقد كان باحماد الذي رأى -وأمام عينيه- اختفاء أخويه يحاول التجلد والصبر. فرغم كل الأدوية المستعملة، ورغم اجتماعات الأطباء بما فيهم الأوربيون الثلاث ليناريس، وطبيب سفارة جاء إلى مراكش، والأطباء التقليديين والفقهاء المسلمين مثل سي محمد غرنيط المحتسب الحالي لفاس الجديد، ورغم فحوصات آلة كهربائية كانت ضمن أمتعة مكلان، فإن الوزير الأول / الصدر الأعظم مات بعد أسبوعين من مرضه (13 ماي 1900)

وقبل ذلك بأيام، مات أيضا سي ادريس بن العالم قائد المشور الذي كان أطبؤه أقل لكن مات على كل حال. وكان الآخرون الذين بقوا ينتظرون الموت بدورهم يعيشون في هلع وحول.

وقد أزعجت هذه الوفيات المتلاحقة المخزن كثيرا، لكن عمل بسرعة على ملأ المناصب الشاغرة فعين : سي لحسن أخ باحماد في منصب الحاجب الملكي، والحاج بن عبد الله بن أحمد قريب الوزير الأول / الصدر الأعظم المرحوم في منصب الوزير الأول. وسي محمد بن ادريس بن العالم القائد السابق في منصب قائد المشور، لكن لم يبق في هذا المنصب سوى خمسة أشهر أو ستة لأنه كانت له عدة عيوب، فقد كان رجلا مدمنا، وعلى ظهره

اليمنى تورم متعفن ميؤوس من علاجه. ولم يكن من المستحب رؤية الضماد على يده، وسيعوض فيما بعد قدور بن الغازي، ثم فيما بعد : ادريس بن يعيش المستدعى من تطوان. أم وزير المالية فصل هو موحا التاري الرباطي، الذي احتفظ بهذا المنصب منذ مولاي الحسن، وهو من ندى عليه باحمد أثناء وفاة مولاي الحسن.

وضل منصب وزير الحرب شغرا، وعندما تقلد الحاج ادريس مهامه، استنصحه مولاي عبد العزيز وطلب منه أن يحتار علاف جديدا

فأحانه :

إني أذكر أن باحمد : وقبل أن يموت قد قال، ضمن أشياء أخرى، أن الخليفة الأنسب لسي اسعيد المتوفى هو سي المهدي المهدي قائد المنابهة الحالي.  
فقال السلطان :

\_\_\_ بالفعل، سيصبح كذلك، لأن باحمد كان رجلا ذكيا، وكثيرا مازودنا بصائحه الجيدة.

وفي اليوم الموالي، استعرض السلطان جميع قواد الرحي وعين عليهم قائدهم الجديد.

لقد كن وزير الحرب الجديد، لذي كن محط عناية باحمد، على علم بكل ما يحدث في المخزن إنه سيتقلد مهام جديدة، وسينقي فيها كما تنقى سمكة في البحر. إنه شاب قوي ومحارب جيد، ومتعود على اتخاذ قرارات سريعة وصائبة، ولاشك أنه سيكون في المكان المناسب.

وبمجرد التحاقه ببنيقته قرب السلطان التي تركها باحمد، والتي كان من المفروض أن يكون فيها المختار، طلب منه مولاي عبد لعرب ووجهة نظره في جميع القضيب المطروحة أمامه.

لقد بلغ السلطان عشرين سنة من عمره، أصبح يدرك فيها بعض الشيء كيف يحكم، لقد كان شابا قويا وصلد ودا وجه شوش، ووجنتين ممتلئتين، لكن دون شعر في الحية، يعشق الرياضة والترفيه والموسيقى. وقد كان مؤنسه ومضحكه جندي قديم من كيش لعرايش، يسمى علي البوط، يرفه عنه في غرفته كما كان يطلب أحيانا من الشيوخ أن تغني له بعض الوصلات لأندلسية القديمة.

كما كان يعتني عذبة خاصة غرفة نحسية شبيهة بالجوقة الحالية، لكن بدل حوالي 60 عازف كن هناك أكثر من 100 عازف بقندين، تعرف كما هو الشأن اليوم كل مرة يخرج فيها السلطان ظهر يوم الجمعة للصلاة في القصر.



وكن له أيضا 10 عازفين على الكمان والرياب يدخلون إلى غرفه عندما يرغب في سماعهم. وقد كان المنهي رفيقا حيويا ونشيطا يستشار في أمور الترفيه أو قضايا الدولة الصعبة. كان من عاداته البث في جميع القضايا بما في ذلك تلك التي لاتدخل في اختصاصاته. مما جعل قواد القبائل الذين يميلون مع الريح القوية يلجأون إليه في أمورهم مباشرة دون المرور عبر البنيقات الأخرى، فأصبح المنهي الوسيط الوحيد بين السلطان والقبائل، مما جعل أهميته تزداد يوما بعد الآخر.

ولم يكن المهدي المنهي محط رضى جميع الوزراء الذين أصبحوا مهمشين ولا يعلمون لماذا تصدر عدة قرارات دون استشارتهم، فأبدوا غضبهم من هذا الذي لم يعرفوه سوى مخزني. وكان أكثر هؤلاء غضبا الحاج المختار الوزير الأول. الذي عينه في هذا المنصب، وموحا التنازي أقدم وزير في المخزن.

فاشتكوا إلى مولاي عبد العزيز من سير الأوضاع.

— سيدنا إن هذه الوضعية الراهنة لا يمكن أن تستمر على هذه الحال، إن وزير الحرب يعمل على الإستحواذ على كل شيء، والبث في جميع القضايا وتسيير الشؤون، وبعبركتكم. لكل إدارات الدولة، إنه شاب مبتدئ، ليس له سوى خصل علاف. ومن أجل هذا استقدمه السلطان إلى المخزن، إن المنهي لا يشعر أن بجواره وفوقه وتحتة وزراء أكثر مه أقدمية في المنصب وأثبتوا جدارتهم طيلة سنوات. ونرى أنه من واجبا إشعار سيدنا لأن سياسة وسيرا كهذا لا يمكن أن يكون إلا سيئا ودون جدوى. وأنه ستحدث عنه مصائب لانريد أن نكون مسؤولين عنها.

فكر السلطان قليلا وقال للوزيرين :

— أرى أنكم على صواب، حين فكرتما بهذه الطريقة وأخبرتاني بما يروج في ذهنكما وسأعمل على الحد من نفوذ هذا الذي يزعجكم.

فرغم إجابة السلطان هته، فإنه ظل مؤيدا للمنهي. لأنه يعتقد في قرارة نفسه أن هذين العجوزين ليسا سوى حسودين. أما هو فإنه يتجاوب مع الشاب المهدي أكثر من الشيخ المختار. فأثناء وزارة باحماد ظل بعيدا عن كل شيء، وكان يحكم بإسمه أما الآن فله صديق يخبره بكل الأشياء ويستشيرهم ويتفهمهم. فقد تقوت جناحاه وبدأ يفكر في الطيران وحده. أم مستشاروه فيتكلمون بأفكار قديمة لاتلائم سته، ومن الأفضل تركهم وتهميشهم أكثر من معاداتهم.

وكن السلطان يقضي أوقاتا كثيرة في التنزه رفقة وزيره الجديد : حيث نظم هذا الأخير خرجات للصيد في ضيعة كبيرة بأكدال لقص الأرناب والغزلان، والتمتع برؤية كلاب الصيد (السلوكي) وهي تجري بين الأشجار كالسهام. وكان كل يوم تقذف شهب /

مفرقت اصطناعية ملونة في السماء تضيئ حدائق اكادال تعكس ألوانها على مياه الصهاريج المسح الموجودة، وسط أعذب الألحان والأغاني، وحمل اخدم الحليب الطري المعطر وعصير الرمان والعنب. وقد كان المنظم ولساهر على هذه الحفلات هو القائد ماك لان المقرب عند المنهي الذي يرداد بدوره قربا وصداقة عند سيدنا، وكان قد جلبت عدة مفرقعات من وروبا أعدها من المخترا يصل ثمن بعضها إلى أكثر من 10 كتب. لكن لا يهم فالسلطان يتمتع بالحياة، ولا يحب أن يرى حوله ما يعضه ولاسمع المختار وهو يقول للثاري

\_\_\_ أنظر ! نعتقد أن سلطاننا يمكن أن يحكم هكذا، إنها تفاهات صبيان.

وكان المنهي قد علم بحتجاجات هذين الوزيرين، ويمكن أن يكون مولاي عبد العزيز هو من أخبره بذلك؟. لكنه لم يقل أي شيء بل ظل محتفظا بصمته منتظرا الفرصة المواتية للإقتصاص عليهما.

وقال يوما للسلطان :

\_\_\_ هناك أوس في الخزن، عيهم أنهم يحدون كل ما يقوم به غيرهم خدشا، وهم لا يقومون بأي شيء. فلو تعلق الأمر بي أنا، فإنني سأتركهم يتكلمون وأتابع إنجاز مهامهم. أما أن يتعنق الأمر بالسلطان فأرى أنه تصرف غير مغتفر. فكيف يتجرؤون على مثل هذا يوميا، كما أعلم؟ فأنت سيدنا هو السلطان ! فلا يمكن أن تكون متسامحا أكثر مع مثل هذه الحريات غير المسؤولة. فامنع هؤلاء المشوشين الذين مسوا شخصك المقدس / المحترم، فأظهر لهم حقا أنك أقوى رجل في المغرب. وأرهم فعلا أنك سلطانهم.

فأجاب مولاي عبد العزيز :

\_\_\_ اترك ذلك؟ فلا بد أنه سيأتي يوم لذلك. . .

وكان الحاج المحتر الذي كان عما كبيرا مثل سي بوشعيب الدكلي الذي كان وزير الشكاية ينصح السلطان بالمقابل شغل وقته وباله بالكتب الجيدة، وأخذ أجود الأنواع الأدبية العربية والتاريخية التي تتحدث عن الفتوحات الإسلامية بما في ذلك فتح المغرب، وأخذ العبر من جدوده في تسيير حياتهم اليومية واستجاب السلطان النصوح واستقدم فقيها وكتبا. وبدأ يدرس يوما في الأسبوع الأدب والأبيات الشعرية الأقل صعوبة. لكن انتهى كل هذا بسرعة حيث تسرب إلى نفسه الملل لأن سن الأخذ في المدارس كان قبل سن السلطان بكثير؟ فعوض الكتب برقع الأراب في أكادال، وألعاب الصالونات القادمة من انجلترا، والدراجات الهوائية من عجنتين أو ثلاث عجلات. . التي تركها نساء الحريم السلطاني. فرجع مولاي عبد العزيز إلى تمتعه وترفيه.

يحدث كل هذا في وقت شرعت فيه القبائل في التحرك والتمرد، حيث اجتاحت القنائل البربرية لبني مكيلا وبني وارين وأيت يوسي كل جهاتها وهاجمت القائد عمر اليوسي في قصبته. فبعت الخزن لمواجهتهم محلة من 3000 رجل بقيادة الحاج الأمراني أهاشم وعندما حاصر بعض المتمردين بقصة تزيت بعث الخزن رجلا آخرين لتحريرها.

وبقي السلطان في مراكز على نفس الحالة من الترفيه، حيث جيء بزوارق كهربائية لصهاريح أكدا. وأعتقد أن هذه الزوارق تعويض لمركب «الحسني» الذي اختفى بعد وفاة مولاي الحسن وتسريح طاقمها الإسباني وشراء فرقاطة صغيرة (البشير) Le Bachir. وكان المسيحي الذي ينتظر دائما فرصة الإنقضا على الأوضاع، قد سمحت له الظروف المواتية لتتجه المختار وكل مناوئته.

وقد كان الحاج مبارك بن بوشتي قائد أولاد بوعزيز (بدكالة)، الذي تقاسم السلطة على هذه القبيلة مع قدور الخلال القائد الثاني، يرغب كثيرا في أن يكون هو المولى والرئيس الوحيد. فجاءا معا إلى الوزير الأول، الذي علم أن مبارك قد أعطى قدور الخلال 80000 دورو (400000 فرنك) مقابل تنازله له. وستكون له بالتالي كامل الحرية في أخذ الغنائم وقيادة فخذته. وقد كانت هذه الطريقة معمولا بها، وكانت وسيلة تدر الكثير من الأموال على خزينة الخزن الذي كان يعمل على مضاعفة مبلغ الاشتراء.

وكان مبارك يتوفر على هذا المبلغ كله ومستعد للآداء.

فقال له الوزير الأول :

— جيد ! لكن من أين لك بتلك الأموال التي تريد أن تشتري بها مكان / منصب قدور؟ فإنه مبلغ لا يمكن أن تكون قد أخذته من القبيلة. ولقد اقترضته من أحد البنوك الأوروبية، لأنه مستحيل أن تبقى محافظا على مبلغ مالي كبير مثل هذا، وتعلم أن تصرفا مثل هذا لا يقره الدين والرسول صلى الله عليه وسلم. إن هذا عمل حرام، ولا أقر هذا الشراء. فارجع إلى بلدك واستحيي مما فعلت !

فوص هذا الكلام حرفيا وتوا، إلى وزير الحرب الذي حكى ذلك إلى السلطان، خاصة أن القصر كانت له عدة نفقات. وأنه سيستفيع بهذه الأموال النازلة من السماء. وأن هذه الأموال ستضيع ونحن في حاجة إليها.

— هل تفهم، سيدنا، مثل هذا التصرف؟ ما العيب في الإبقاء على أشياء كانت معروفة منذ أجدادنا؟

أترى سيدنا؟ إن لك وزيرا أولا لا يعرف شيئا في مجال الأعمال والأموال. فعليه أن يعلم أنه يجب أن يكون من أولى اهتماماته تلبية رغباتكم، سيدي ومختلف الأشكال.

فقد نسلطان

— أعرف ! لكن لتعييره لابد أن أحد أحدا من تريد أن تضع مكانه ؟ فأنا لأعرف أحدا أكما مه .

— موجود !

.. من هو ؟

— سي فصول عربيط مثلاً

— من ؟ أين هو ؟ فأنا لم أراه قط

فقال الآخر

— أنا أعرفه سيدنا ، لقد كان وزير الشؤون لخرجية في المخزن على عهد والدكم سيدن مولاى الحسن رحمه الله . وقد كان محبوباً عند باحماد الذي قال له عندما جاء يحتج عليه عندها عين حولك الوزراء الحدد : « سي فصول ، إذهب إلى منزلك ولا تقلق فل تحتاح لأي شيء ، فإنني سوف تأتي إليك وبعطيت ما ترعّب فيه . » وقد بقي ينتظر واعتقد أنه حان الوقت لموفاة بم وعد به الوزير المرحوم .

وهذا ما تم بالفعل

كان سي فصول عربيط مقيماً بمنزل في مراكش . وعندما خرج المنسهي من القصر ذهب إليه وقال له :

— سأعينك وريراً أولاً .

فقال له الآخر مذهش :

— المنهبي ! إذا قمت بهذا فسأكون لك ممنوناً جداً . فبمجرد أن أصبح وزيراً أولاً ، سأكون حذمتك ، وسيسير مع اليد في اليد .

— إذن اعتبر الأمر كما لو حصل بالفعل . فأنا أرغب كثيراً أن تكون أنت في مكان المختار الذي يحارب دائماً أن يهبط في وجهي ، ويقول لمن يريد أن يسمع له أنني (عروبي) من عثة غير متعمدة كأرض ياب متحجرة . فأنت على الأقل تعرفني ، لأسّي أصح للحروب ولن تتصرف كالختار . ولهذا منحتك مثل هذا المنصب .

— اجسسي على ذلك الكرسي أولاً ، وسترى فيما بعد ! .

وفي اليوم الموالي وأثناء المحرنية (حصنة ستعراض المحارنية - للقصر) ندى مشاوري (أحد رجال قائد المشور) على سي فصول عربيط إلى القصر فقدم إلى المنسهي الذي رأى

(عريبط) أن له مكانة رفيعة في المخزن. فنهض وقام لإستقباله في وقت كان فيه الوزير الأول سي المختار عند السلطان للتوقيعات. ثم وصل المتواطئين إلى بنية الوزير الأول.

فأدخل المهدي غريبط إلى البنية، أمام مكتب المختار الصغير وأجلسه، والتفت إلى الكتب الموجودين المستغربين مما يرون إلى درجة سقوط الأقلام من أيديهم وقال لهم :

— اسمعوا أوامر سيدنا : هذا هو الوزير الأول سي فضول غريبط فانحنى الكل محيين وقد كان قائد المشور سي محمد بن العالم على علم بكل هذه التحركات والعمليات قد فوجئ ! أليس هو المسؤول على إدخال الأغراب إلى القصر وطلب سبب الزيارة؟ فلقد نصب شراكا إلى صديقه المختار، لكن ما الذي بوسعه قوله أو فعله؟ أليس المنبهي أكثر قوة كسابقه باحماد زمن مولاي الحسن؟ فانحنى بدوره للوزير الجديد كأنه لا يعلم شيئا.

وهو الحاج المختار يخرج من مكتب سيدنا راجعا. فانحنى على بلغته ليأخذها. فجاءه أحد كتابه الأوفياء، وأوقفه وهمس في أذنه :

— إلى أين أنت ذاهب الآن سيدي ! لقد شغرت ببنيتك.

فقال غاضبا :

— آه ! جيد !

ثم أعطه الأوراق التي كانت بيده واتجه نحو الباب، حيث مر بعيدا عن بنيقته. فانحنى أمام غريبط الذي كان جالسا في بنيقته قبارك، ثم خرج، وبمجرد وصوله إلى منزله، حاءه أمر بمغادرة مراكش نحو مكناس حالا. فقال لمن جاءه بالأمر.

نعم أنا مستعد، لأطلب أكثر، فأنا مسرور بالذهاب توا. لكن كيف أستطيع حمل امتعتي؟ يلزمي أكثر من 30 بغلة.

وبعد ساعة أحضرت إلى بابه البغال الضرورية. فأعد رحيله ليلا، وفي الفجر غادر مراكش عبر باب الخميس. ووصلت القافلة إلى سيدي بوعثمان حيث قضت الليل. لكن في صبيحة اليوم الموالي أحيطت البغال التي كانت تعد للرحيل من جديد بوحدة من فرسان المخزن الذين تركوا نساء وخدم القافلة جانبا، ثم أخذوا الأمتعة وقالوا للمختار !

— كل ما يوجد بين أيدينا الآن هو للمخزن ويجب أن يرجع حالا إلى مراكش. فنحن لا نطبق إلا الأوامر.

فأجاب العالم :

— نعم ! لقد كنت أنتظر ذلك. لكن أرجو منكم أن تركوا هذه « الشواريات »<sup>(7)</sup> فليس بها إلا كتي، أصدقائي الحقيقيين. ومن بينها صحيح البخاري الذي أعزه أكثر من عياني، فلا يمكنكم أخذها.

فتش الرجال، ولم يحدوا سوى كتب كبيرة يعوها غير الطريق. فقرروا أن يتركوا له الشواريات ( وكان الناس يقولون أن بطن تلك الشواريات كن كله ذهب. قد يكون ذلك صحيحا ! ومن يدرينا؟، كما تخلي له عن بعض الأغطيات، وزربيات أو ثلاث وألبسة قبيلة حدة للإستبدل، ثم تبع الطريق نحو مكندس في حين عاد المخازنية محيطين بالبعال التي تحمل ثروة الحاح المختار بن عبد الله بن أحمد<sup>(٥)</sup> إلى مركش.

وهذا ليس كل محدث، هبما كان قائد المشور سي محمد بن العالم يمارس مهامه داخل مكتبه بالقصر، بهت داره بأمر من المخور، وعندما جاء لإمتطاء بغشته، قدم أحد ليقول له :

— ألا تعلم سيدي محمد ؟! لقد اعتقدت مت ؟! إن المخازنية الآن يعملون على تتركك ( أي تركه دون ثروة أو نهب أمواله وأمتهته).

فسارع المسكين المصدوم نحو منزله، حيث وجد البش لعربي بن عبو المكلف بتنفيذ العملية الذي أخذه من يده وقال له :

— آسي محمد هذا يوم نحس، إنه شيء مقدر، ما العمل ؟! لكن لا تقى واقفا هكذا تعال واجلس على الأقل هنا قرب الباب.

وأخذت أمتهته جميعها، ودخل ليجد عرفة الكبيرة مفرغة تماما، ولم يعد بإمكانه سوى الذهاب إلى مكندس مع بعض أمتهته المحملة على البغال، والحراس المنتظرين في الشارع. وأصبح خليفته فيم بعد : لقائد قدور بلغازي من البخاريين.

وفي اليوم الموالي أيضا، اعتقل الحاحب : سي لحسن بمجرد وصوله للقصر، وأبعد إلى ترووانت وحل محله سي حمد الركينة التطواني.

وهكذا لم ين في المخزن أي أحد من عائلة محمد، كما أبعد أصدقائه بالطريقة التي حدثت عنها.

وكان مجمل هذه الإجراءات والأحداث مؤشرا بالحيلة والحذر لأعداء المنهي خاصة أن أحدهم وهو وزير المالية موحى التري يتطرب بين القبة والأخرى محيي المخازنية لاعتقاله. وقد طيب، بتوسط من سي فضول غرنيط، مقدية سي المهدي المنهي. وقل له بأنه سيقدم استقالته للذهاب إلى الحج، تقبل طلبة، لكن بمجرد مغادرته مراكز أعطيه رسم بعد وجود مستحقات له عند المحر. وهذا ما كان يطلبه ( حيث نجى بأمتهته) فذهب إلى مكة، وعوض بلشيخ التري الفاسي

وهكذا ترى أنه من خلال يومين أو ثلاثة أيام غير وزراء مولاي عبد العزيز، فلم يعد هناك سوى رجل مولى للمسهي أغنبهم شبيب. ويبدو أن المنهي قد ورث كل شيء عن

بمحمد الذي كان مهتما به كثيرا في أثناء حياته. فقد رتب كل شيء ليحكم المغرب بشكل مقنع. لكن كان يوجد من ضمن الوزراء الذين عينهم « ثعلب » ذكي له نظرة ثبته على المدى البعيد : إنه سي فضول غرنيط الذي يجلس في بنية الوزير الأول الذي يعمل على ممارسة مهامه على أحسن مايرام.

وقد قال يوما للسلطان.

— يجب علينا أن نبعث سفراء لأوروبا، لأنه من الأفضل أن تربط علاقات « دبلوماسية مع القوى الكبرى المغربية، خاصة أن لها بنوكا كبيرة <sup>(9)</sup> وامتيازات عدة

فقال السلطان :

— إنها فكرة جيدة. لكن من سنبعث؟ وإلى أين؟

— أعتقد أن سفيرا واحدا غير كاف للقيام بكل المهام. حتى لا نشير تحاسد النصارى. فلماذا أرى أن نكون لنا سفارتان : الأولى إلى فرنسا برئاسة وزير الشؤون الخارجية سي عبد الكريم بن سليمان المؤهل لمثل هذه المهمة (للإشارة فإن سي عبد الكريم هذا هو الذي عوض سي فضول غرنيط عندما طلب منه باحماد مغادرة سكتاه). وسنغززه بثان : سي محمد الكباضي ( خليفة وزير الحرب ). أما الثانية فستعطي إنجلترا وألمانيا، الذين أرسلوا إلينا سفراء، هذه السفارة بشؤون الحرب وسيكون على رأسها وزيرنا في الحرب : سي المهدي المنبهي بإعانة من الكاتب الحاج عمر التازي والقائد ماك لان.

وبعد مرور عدة أيام، استجيب لوجهة نظر غرنيط، وغادر السفراء المعنيون البلاد ( 1 يونيو 1901 ).

إنها عثة / منزل المنبهي في الواقع التي ذهبت بكل أعوانها. فأصبح الوزير الأول سيد الوضعية وأصبح يتقرب شيئا فشيئا من السلطان وأصبحت مكانته ترسخ يوما بعد الآخر. وكذا يقدم النصائح للسلطان بين الفينة والأخرى ويعمل قصارى جهده لموجه الأمير نحو أمور أكثر جدية.

وقد قال للسلطان :

— سيدنا، لقد اشتغلنا مع آبائك من أجل المصلحة العامة لهذا البلد. ولكي تصبح بالفعل أميرا سأدلك على الطريقة المثلى : فتدخلات المنبهي غير المتناهية، وحفلاته التي يظمها من أجلك، يهدف منها إزالتك من على عرشك والحكم مكانك. لقد كان يريد أن يرحل بك في طريق خاطئة، بل الأدهى من ذلك أنه يريد أن كل الأمور على أحسن مايرام.

أنصت السلطان بكر برودة لهذا الكلام، لأنه كان لا يحب أن يذكر صديقه بسوء. لكن مادام هذا الأخير بعيدا عنه الآن، فإنه محتار في أي الآراء والطرق يتبع. وقال في الأخير لنوزير الأول.

نعم، ما قلته صحيح، فالسلطان يجب أن يحكم لا أن يمزح.

وبدأ من هذه اللحظة شرع سي فضول غريب في الحكم الفعلي.

وفي الوقت الذي كتب فيه إلى ادريس بن يعيش بالحيي إلى مراكش إلى جوار السلطان اعتقل عيسى بن عمر قائد عدة: حيث عادت محلة كاملة من جنود نظاميون وخيالة ومدفعية بقيادة سي قدور بوعاري قائد المشور، عززت فيما بعد بوحدات دكالة واحمر وعدة، مراكش تحه طريق آسهي، حيث وصلت إلى دار سي عيسى واجتاحت أملاكها واعتقلت القائد، ورحعت بعد ثلاثة أيام وقد الحزت مهمتها.

وبوصول ادريس بن يعيش إلى مراكش، أدخله غرنيط إلى القصر ونصبه قائدا للمشور بينما خلع قدور بلغزي من عبدة، وأرسل لتعويض ابن يعيش في تطوان.

وهكذا بدأ نفوذ غرنيط يرداد يوم بعد آخر، في حين أصبح أتباع المنهبي الذين احتفى رئيسهم مهمشين قلقين، وكانت آخر صرة عيفة تنقوهم هي تعيين وزير حرب جديد: الحاج عبد السلام بن شكرة الرماني، في وقت كان يستعد فيه الوزير القديم للرجوع.

وأقنع السلطان بأن وزيره القديم، الذي لم يكن سوى محزني، مدين في أمواله ومنازله الفارهة للمحرر، حتى إنه أصبح يعرف كابن عائلة كبيرة ميسورة. فكل ما في ملكه هو لسلطان، الذي ليس عليه سوى إعطاء أمر لإسترجاع هذه الأشياء. الم يفعل الشيء نفسه الحاج المختار؟

لكن مولاي عبد العزيز كان مترددا بعض الشيء في التضحية بصديقه القديم تاركا البث في الأمر إلى حين رجوع المعنى بالأمر من سفرته حيث سيقف على نتائجها، وبالتالي التفهم معه أكثر. لكن لم يكن يرى مانعا من حراسته ومراقبته بمجرد وصوله إلى طنجة. فأعطى غريب تعديمه بهذا الخصوص ليس فقط إلى حرس السواحل، بل حتى إلى حراس أبواب مراكش وبعثقاله أثناء مروره بها، وقيل أيضا إنه على طول الطريق الساحلية إلى مراكش كنت مراكز حرسه تترقب وصوله إليها.

وكان المسيهي الذي يسافر رفقة القائد العربي - مول الفراك حاليا، في عهد مولاي يوسف، والذي يحمل على رأسه عمامة كبيرة، قد علم بالخدعة المدبرة، ولكن لأعلم كيف علم بذلك؟ فيمكن أن يكون قد أخبر إما في برلين أو في مرسيينا. وفي الوقت الذي



كان ينتظر فيه وصوله إلى طنجة، وصل مساء ذات يوم على متن سفينة انجليزية إلى مازكن (الجديدة)<sup>(10)</sup>. وانتشر خبر وصوله، فسارع الناس إلى الميناء، بعضهم فرح مسرور من هذه العودة، والبعض الآخر مغضب قلق يدفع بيده المتراحمين لرؤيته لم يكن هذا هو الإستقبال اللائق يأخذ المقربين عند السلطان، ولم يكن الوصول شبيها إطلاقاً للناس الذين يتدافعون اماما في الطريق :

... أرحوكم، فأنا متعب من السفر في البحر، اتركوني أسير أمامكم واتبعوني وجاء بشا مازكن الذي لم يتوصل بأي أمر من مراكش باعتقاله. هل يجهل فعلاً بما يحدث أم أنه ماهر محتال؟ فقال له الوزير السابق :

هيء لي الحمام فأنا بحاجة إلى استراحة أكبر.

فقال الناس :

... إذهب ياسيدي وخذ حمامك بسرعة وارتح، لأنه، وبعد قليل في المساء، سوف يأتي مخازنية سي فضول لإعتقالك حين تكون في الحمام.

لكن ههنا بعض الخيام قد نصبت بالقرب من المدينة : إنه القائد سي الطيب الكندافي الذي كان ماراً صدفة بالمنطقة، مع عدد مهم من أتباعه حيث سيعسكر أمام أبواب الجديدة. فذهب المنبهي لزيارة صديقه. وأرسل كاتبه ليقول إلى باشا مازكان :

... إن سيدي، سيذهب مع بعض أصدقائه لزيارة زاوية مولاي عبد الله<sup>(11)</sup>. وأنه لن يأخذ حمامه إلا بعد رجوعه.

وفي حدود وقت العشاء، ركب فوج الزوار خيولهم، وقد كان منهم وزيرنا القديم الذي يحمل في عرض سرج جواده بندقية انجليزية حديثة الصنع وكيسا يحتوي على بعض أجود أنواع الرصاص، مع بعض عبيده السود. وكنا نلاحظ غياب ماك لان الذي بقي، حذرا، في أوروبا والذي لن يرجع إلا بعد ذلك. كما كان بعض القواد في هذا الموكب، مثل سي الطيب الكندافي واحمد بن العربي الذي كان يتهيأ أيضا مع خليفته، والقائد ابن الجليلي. فاخترقوا الموكب في اتجاه زاوية مولاي عبد الله.

لكن بدل متابعة السير في الاتجاه الذي قالوا عنه، انعرجوا نحو مراكش. حيث انطلقوا بسرعة كبيرة وقضوا الليل كله تحركا ليصلوا في الصباح إلى مظل<sup>(12)</sup>، وهي منطقة في مرتفع بين دكالة والمناوبة حيث توجد بعض آثار قصبة برتغالية. فتوقفوا كثيرا لأن الخيول قد تعبت وكلت. ثم وصلوا بعد ذلك إلى دار القائد المنبهي التي أقاموا فيها بعض الأيام للاعتناء بالضيوف واستبدال الخيول. وطلب المنبهي من القائد الكندافي أن يصحبه

وأفراد قبيلته إلى مراکش. وفعلا اتجه الموكب نحو العاصمة، وفي الطريق أخبر الفلاحون الراجعون من السوق أفراد الموكب أن حراس الأبواب قد أعطيتهم أوامر بالقبض على المنبهي. وبالوصول إلى حبل حليز. بقى جل أفراد الموكب في الورا. في حين إتجه الوزير مع الكندافي وحدهما أمدما، وعندما بدت لهما أسوار باب دكلة، تكرر الرجلان في لباس مخزيين، فسار بهدوء على طول الأسوار ليدخلوا من باب القصبة، الذي هو باب من أبواب القصة التي يمكن أن يدخل منها مخزيين لإطلاع الباشا على انحاز مهامهما. ولما كان الحارسن يشربان الشاي، ومتفتين حلفا، انطلق أحد الفارسين ملثما يجري بفرسه فقال أحد الحراس :

— إني أعرف هذا الفارس، إنه المنبهي، الوزير القديم.

لكن كان الوقت متأخرا، فقد وصل هذين الرجلين بسهولة إلى دار المنبهي حيث سيقفون فترة من الراحة.

وقد شاع خبر هذا الرجوع بين الناس، حيث تنقل الخبر من دكان إلى دكان ومن سوق إلى آخر. إلى أن وصل السأ الى القصبة حيث اعلم بذلك السلطان، الذي طلب المنبهي ليعلم نتائج سفارته فبادر المنبهي بسرعة إلى اطلاع مولاي عبد العزيز بكل ما أنجزه، ثم قال :

— سيدنا ! ماذا يريد أصحابي ؟! إنهم يريدون اعتقالي، فالحمد لله الذي مكنتني من رؤية السلطان مرة أخرى. إنها الخيانة إذن ؟!

— لا، يا المهدي، فأنا لم أحنك، وإنما كنت خائف على حياتي، فقد كنت أخشى من السم إن أنا تمسكت بك، ثم إنك كنت بعيدا فغيابك ترك في نفسي أثرا سيئا، وكنت أظن أنك لن ترجع، لكن ها أنت الآن قد عدت، فاهدا فكل شيء سيسير على أحسن مايرام.

فخرج المنبهي من القصر مزهوا متبجحا لا كما دخل إليه.

لقد علمت كل مراکش الآن أن الوزير القديم قد رجع، وأنه قد استقبله السلطان، وأنه قد جاء بأشياء عجيبة ومهمة من بلاد الروم. ثم اجتمع كل من قال فيه سوءا في غيابه، للتشاور فيما بينهم خوفا من انتقامه. فسارع قائد المشور ادريس بن يعيش إلى سي فضول غرنيط الذي يبدو هادئا ليخبره بما وقع. فقل له غرنيط :

— نعم، فأنا على عدم بالخير، لقد أفلتت من بين أيدينا، والآن، ماذا ترى أنه سيحدث؟ فإن الكلب لم تعد له أنياب يعض بها. فلقد أحرقت أوراقه عند السلطان، فغدا يجب أن نكون لقيين ومرنين ومحتلين لكي تدبر له مكيدة قبل أن يديرها هو لنا.

— مالذي تريد فعله؟

— سأسجنه غدا صباحا عندما سيأتي إلى القصر. إنه حتما سيأتي غدا صباحا.

— لكن هل ستعتقله هكذا دون أوامر.

— لم لا؟ فليس على السلطان سوى الصمت. . حين اعتقاله فسترى.

وقبل أن يغادر المنهي القصر كان قد أخذ من السلطان الإذن بإطلاق سراح صديقه القائد عيسى بن عمر، ثم ذهب إلى باشا القصبه العربي بن عبو، الذي كان بدوره من أتباعه فأعطاه التصريح بإطلاق سراح السجين الذي أخذه معه إلى منزله.

وفي اليوم الموالي، كان سي فضول غرنيط قد أعطى الأوامر باعتقال هذا القائد بمجرد وصوله إلى القصر، لكن لم تكن نعرف متى سيكون الاعتقال هل حين دخوله أم خروجه من الإستقبال لقد كان الكل يتربص هذا المشهد التاريخي.

وحوالي الساعة الثامنة وصل المنهي رفقة سي عيسى بن عمر الذي لم يكن مجيئه وظهوره مستظرا - على البغال وخلفهما المنابهة وكندافة على الخيول مسلحين مستعدين للمواجهة. فكسى هؤلاء الفرسان كل ساحة القصر، لا يعرفون ماذا ينتظر منه. وهكذا دهش الذين شتموا المنهي في غيابه، من هذا الدخول الرائع وغير المنتظر. فأطرقوا يفكرون مطأطئين. ومر المنهي بكل تبختر أمام بنية بن شكره الذي حاول عبثا الإختباء وراء قمطر مكتبته الصغير. هؤلاء الفرسان الذين لا ينتظرون سوى الأمر بتحية أسيادهم.

فقلوا :

— لقد جئنا في الواقع لاعتقال هذا الرجل، لكن يبدو ذلك شيئا مستحيلا. فهاهو قد دخل بكل اعتزاز وفخار إلى هذه الدار ولانعلم مالذي جرى بينه وبين سيدنا في المساء؟ ثم، انظروا إلى سي عيسى بن عمر الذي كان سجيننا بالأمس، بجواره وكل جنوده مسلحين. فما العمل؟ من الأحسن الإنتظار بعض الشيء.

وعلى القرب من صهريج صغير في ساحة البنيقات جاء عبد أسود من « موالين الدحو »<sup>(17)</sup> يجري، ويصيح بصوت مرتفع.

— المهدي ! السلطان يطلبك.

فقى سي عيسى الواصل من جريان الأحداث لصالحهما، في الخارج مع أتباعه في حين دخل المنهي في حوار مع سيدنا. ماذا تقولون؟ فلقد استرجع سي عيسى كل نفوذه القديم على عبدة بفضل هذا الذي كان من المنتظر اعتقاله. أما سي فضول غرنيط فقد انسحب إلى

منزله متثاقلا وقد اردادت حرارة جسمه ( حمى ) حتم مرتعدا كله، كما ختفى ابن شجرة على بغلته، وهكذا استعاد هذا الذكي بنيقته.

وقد كن الكل غير قادر على متابعة ما يحدث.

حيد ! فها هو ادريس بن يعيش يتجه نحو المنهي، ويتبادل معه التحايا بحرارة فأمسك العلاف بيده ودهب معا، ليصلا عند عيسى بن عمر ذي الوحه المتلأأ الفرح، لأنه أصبح من جديد قنأا على عبدة، وأصبح صديق من جديد وزيرا، ولم يكن في هذا الواقع هذا هو المشهد المنظر، لكن عيب أن ننتظر، لأن الرياح التي كانت تأتي من الشمال أصبحت تهب الآن من الجنوب.

واستدعى المنهي ابن يعيش إلى وجبة غداء، ثم قال له عندما كنا راكبين في اتجاه منزله :

\_\_\_ إن البغلة التي تركبها من الدرجة الرابعة لا تليق بمقامك ومهامك.

\_\_\_ فقال الآخر :

\_\_\_ لقد حثت من تطوان منذ مدة قصيرة فقط، وهي الوحيدة التي أملكها الآن.

وعمرد وصولهما إلى المنزل، أهداه المنهي بغلة « بسريجة » حمراء، وكيسا من 2000دورو (10000فرنك فرنسي). فقال ابن يعيش مسرورا :

\_\_\_ حفظكم الله، ورصي عنكم.

فقال المنهي.

\_\_\_ جيد فنحن أصدقاء، وأنا سعيد بقائك. لكن قل لي بصراحة، مارأيك في كل هذه المهزلة ألا ترى معي أن أناسا مثل هذ القرد العجوز عرنيط حقودين ولاتستطيع فهم تصرفاتهم؟ فكيف نصدق أن رجلا أن من بحث عنه وعينه وزير أولا، لأنه مسن ومجرب ليكون لي عوناً عند النصح، يتقمم مني بهذه الطريقة؟ لا أصدق ! إنه ناكز للجميل، جان، خائ.

فأجاب قائد المشور.

\_\_\_ أنت عني حق سيدي، ولكن لايمكن أن أحبرك بأي شيء لأنه لاعلم لي به. فأنا لم آت من تطوان إلا منذ مدة قريبة لأعين قائدا للمشور مكان قدور بلغازي، فأنا وافد جديد إلى هذا المخزن، كالطفر أجهر كل شيء. لكن أؤكد لك أنني لست منحازا لأي جهة.

فقال المنهبي :

— أنا واثق من تصرفك، وأشكرك على ما قمت به صباحا.

لكن أنصار غرنيط لم يرموا السلاح بعد، بل كانوا يفكرون في اللجوء إلى العنف، حيث قرروا إغتيال المنهبي سرا يوم الجمعة الموالي عندما يأتي للصلاة. لكن أحدا ما أخبر مولاي عبد العزيز بالمؤامرة التي تدبر ضد صديقه المفضل. فطلب منه أن يبقى في منزله ذلك اليوم، ففشلت بالتالي العملية.

لكن السلطان الذي تعب من هذه الدسائس والصراعات التي تمزق كيان المخزن، والذي خاف أيضا من أن تؤدي هذه المشاكل إلى مواجهات دموية، قد قال بعد أن فكر في الأمر جليا.

— إنه إذ من يجب عليه أن يرجع النظام إلى صفوف المخزن، وتذكير وزرائي المتصارعين بمهامهم. والحل الوحيد هو أن يرجع المنهبي إلى منصب وزير الحرب قبل أن يعين سفيرا، وأستغني علي ابن شكره هذا الذي لم أر منه أي شيء.

وفي اليوم الموالي استدعى كل المخزن إلى القصر بما في ذلك قواد الرحى والأنواج النظامية وعند اجتماعهم جميعا قال :

أعين عبيكم من جديد سي المهدي المنهبي، وزيركم في الحرب، المعروف عندكم بهذه الصفة.

وقد عينت أيضا سي عبد السلام بن شكره باشا على مدينتنا نازة.

ثم جمع كل وزرائه في مكتبه وعنفهم بالكلام، القاسي، حيث لامهم عن تخذلهم فيما بينهم مما يتنافى مع سنهم وثقافتهم ووعدهم.

— إني أوصيكم جميعا، بأن لا يتعدى أحد مهامه المنوطة به، التي كلفناه بها. إنكم كنكم مستشارون في شؤون الدولة، ولاميز أحدا منكم عن الآخر. إني أحبكم كثيرا، لكن أحذرکم جيدا، فأول من سيزيغ منكم عن طريق سينال عقابا شديدا.

فورينا الأول سي فضول غرنيط، ووزيرنا في الشؤون الخارجية هو سي فضول غرنيط، ووزيرنا في الشؤون الخارجية هو سي عبد الكريم بن سليمان ووزيرنا في الحرب هو المهدي المنهبي ووزيرنا في المالية هو الشيخ التازي، وقائد مشورتنا هو سي ادريس بن يعيش، وحاجتنا هو سي احمد الركينة. فأريدكم أن تكونوا متحدين كأصابع اليد الواحدة. وهذا شرط أساس لكي يمكن لهذه اليد التي هي أيضا بدنا أن تشتغل وتعمل. فإن لاتنافر

ولا تعارض ولا عداوة فيما بينكم، أريدكم أن تكونوا أعضاء من عائلة واحدة، عائلة المخزن، وأطلب منكم الآن أن تتصلحوا جميعاً أُممي

فتصفح الورراء فيما بينهم بحرارة كما لو أنهم عادوا من سفر طويل.

وبعد هذا اللقاء، عدد لورراء فرحين كما لو أن كل واحد منهم أخذ في يده فأسا لتحطيم المخزن، وتكوين ثروته الشخصية.

ورغم كل مراسيم الصبح هته، فإن الوزير الأول كان ينتظر دائما الفرص لإسقاط والإنقضااض على المنهبي. لكنه لا يمكن أن يصل إلى أي شيء مادام السلطان في مراكز لأن المسهي بها عدة أصدقاء وأتباع وقبيلته الأصوية قريبة أيضا. فكان يبحث عن طرق يرجع بها السلطان إلى فاس. فودي عنى مولاي عبد الحفيظ أح السلطان، الذي كان خليفة تزيت، جهة سوس، وجعلت مراكز مقر لسكنه وأصبح خليفة للسلطان على الحور وسوس.

فانطلقت الحملة بالشكل المعتاد (20 نونبر 1901) بعد إقامة ست سنوات في الجنوب. وصمن رمضان (1319هـ) (14 دلباط التي أقام فيها السلطان حتى يشهد احتفالات العيد الصغير ( عيد العطر). وقد كانت هذه الإحتفالات رائعة : ارتدت فيها أفواج القائد ماك لان بدلة حمراء جديدة شبيهة بدلة الحرس الحالي، بأسلحتهم الحديدية والمدمعة التي تمتع العين، وقد كان قائدهم يحضى باحترام الجميع، وكما كانت كتيبته من جنود شبان متقين من القبائل المغربية يصل عددهم حوالي 3500 جندي والمتبوعة بفرق الرشاشات - Garner Maxims - مكونين لجيش صغير، وقرر السلطان ترقية مكالان إلى رتبة عسكرية مغربية كبيرة مثل الجنرال الفرنسي. ومنده لم يعد يسمى ماك لان، إلا : كرونيل (تخريف الكلمة كولونيل). وقد كن تحت قيادته عدة مدربين الخليلر من ضمنهم الملازم Verdon، الذي سيقتل فيما بعد في فس سقوطا من إحدى الشرفات، ثم أح الطبيب Verdon الذي جاء إلى المغرب طبيباً لمك لان وعائلته؟ والذي جيء به أيضا لمعالجة باحماد المتوفى. والذي كان يتدخل أحيانا في شؤون المخزن بفصل تأثير ماك لان.

وكان في الميناء فرقا طتان (15)، حملت سفيرين فرنسي وانجليزي استقلا في القصر وقد كانت تطلق هاتان السفينتان أضواء على البحر والمدينة. كما كانت مناورات للقصف بالمدمع عنى هدف جعل في البحر في أعالي القبيبت حتى يتمكن السلطان من تتبع المشهد من قصره. وقد كان الفرنسيون يقدمون بدقة كبيرة نلت إعجاب المتبعين.

وبعد إقامة شهرين أو ثلاثة أشهر ذهب السلطان إلى مكناس. وبعد بضعة أيام دخلنا فاس وسط أجواء الإستقبالات والإحتفالات المعهودة ( مارس 1902).

## الهوامش

- 1 - وينصبت من مارس 1896 إلى نوفمبر 1901
  - 2 - يتعق الأمر بالسفير Sir Arthur Nicholson الذي جاء من أسفي في مارس 1896 على متن سفينة Arethuse. فوصل إلى مراكش في أبريل، ثم غادر المغرب عبر طنجة شاهدا على هلع الأوضاع، حسب رأي سامم العبيدي
  - 3 - انصبت هذه الحملات نحو سوس ما بين أكتوبر ونونبر 1896.
  - 4 - نقد حدد الدكتور Weisgerber الذي تابع محلة صخرة الدجاجة، لمعالجة الوزير المريض -الطريق الحقيقي لهذه العودة التي دامت ثلاثة أشهر.
- (In trois mois de Camagne au Maroc edit 1904)
- حيث كان لإنطلاق يوم 1/21 1898 من ابن احمد ثم سطات (حيث أهدي للوزير باحماد 10 خيول عبيد ذكور) ثم سوق حمعة بولاد سعيد ثم مولاي بوشعيب قرب أزموور (يوم 15/3/1898). حيث تم عبور الواد على متن 20 ووزق دام أربعة أدم من 12 إلى 15 وقد كان هناك عدة غرقى، وإتلاف عدة بهائم، ثم سوق الأربعاء بدكالة ثم ثلاثة سيدي بوز ثم امطل ثم نسوية ثم فطرة واد نانسهيت يوم 25/3/1898 وفي الأخير مراكش عبر باب الرب يوم 6/3/1898 مما يعني أنه لم يكن هناك توقف بفطرة نانسهيت كما يحكي سالم العبيدي إما الإجراءات التي اتخذت ضد الرحامة لم تكن إلا في العيد الكبير (عيد الأضحى) من هذه السنة يوم 2 ماي (1898)
  - 5 - يتعق الأمر بسفارة فرنسية (de Monbel M) وسفارة ألمانية :
  - 6 - عوضه مولاي يوسف يوم 10 مارس 1924 ببي عبد الرحمان بن القرشي.
  - 7 - كسين من سعف النخل أو النوم، مجموعين بوسط موضع على ظهر حمار أو بغل.
  - 8 - لقد كان سيد عابدا أن ترد جميع ثروات الموظفين المخزنين إلى السلطان. وكل ما أخذ من الشعب يعود إلى الحرية وهذا نفس ما طبق مع باحماد باستثناء قصر الباهية بمراكش.
  - 9 - عنق الأمر في الواقع بتسوية الحدود الجزائرية المغربية، وتركيز نفوذ إنجلترا ضد فرنسا وهكذا انطلقت السعرة الأولى (السيهي والتري) يوم 2 يونيو 1901 من الحديد على متن السفينة البريطانية Diaden لتصل إلى ليدن ثم برين (عبد الكريم بن سيمام ويتاصر غنام ومحمد الكياص) وصلت إلى طنجة يوم 11 يونيو على متن البارجة Pothuau، تسحب إلى باريز وسانت بترسوغ (حيث يقوم سي غرنيط بمهمة تمهيد جاهلة هذا البلد السعيد).
- (Saint René-Taillander: Les origines du Maroc Français, 1930 chez Plon G)
- 10 - وقد توفي القائد بن العربي الذي يتحدث عنه راوينا سنة 1939 بتواركة (يقصر الرباط) حيث ظل يدرس نفس المهم وكذا أسهفي قد قرر الذهاب، وبسرعة إلى برلين، حيث سينزل بيريم.
  - 11 - على ساحل المحيط الأطلسي بعيد عن الجديدة بسبع كيلومترات.

2. يوجد صريح سيدي رجال مغل على بعد 91 كموترا من مدينة
- 13 جماعة من العبيد يكونون هيئة د جن لقصور، مكتمل بالصفوة على في ديت عرفة سلطاب، ولكن عرقه صغيرة منهم قائدها خاص تحت الإشراف مباشر بتاحات الملكي
14. إن سالم العبدي مثله مثل سائر سمنين الأميين، يست به ذراية حقيقة بالتاريخين الميلادي والهجري ورغم ذلك، حفظ هذه السنة شكل دقيق
- ومن مرسوم أنه بالخصوص على مقابل سنة «عريهويه» و ميلاديه، قرب يعتمد على الطريقة نتانية حيث يكون حرف «ه» د لا على سنة لهجرية وهي سنة بني هجر فيه اسمي (صنعم) إلى مدسة يوم 16 يوليوز 622 هـ، ونجري لعملية الآنة
- ٩ سنة ميلاديه هـ 3هـ 622
- 15 لقد كنت هاتب يعرفات هـ لبرحه لأجليزية illustration، و لدرجة لمرسة Charlemagne اللتان حمتنا انورير لأجليزي Sir Arthur N.cholson و بورير فراسي M Saint René Taillaudier إلى الرباط في مهمة لدى السنداب وقد سبق هذان انورير، بقصر لقيبات (مستشفى Marie-Feuillet حان) الذي كان مقر إقامة جلالة
- وكان هـ، كفيء مؤثر على بداية تصارع الفرنسيين و الإنجليز بالخصوص على امتيازات المغرب





## ثورة بوحمارة



وبعد مضي مدة قليلة انطلقت محللن نحو فاس . حيث ستعسكر الأولى بسليدي بودومة قرب وزان، بقيادة مولاي عبد السلام الأمراي . أما الثانية فانطلقت نحو أراضي آيت يوسي . وقد كنت مهمة الأولى تقتضي جلب ضرائب المنطقة وحماية مدينة وزان المهددة دائما بهجمات جبالة رغم تأثير وقوة شرفاء وزان، أما مهمة الثانية بقيادة عمر اليوسي الذي كان في صراع مع قبيلته ، فتقتضي الذهاب إلى لوطا في منطقة إنجيل لإستخلاص الضرائب المتأخرة ، وتأكيد نفوذ السلطان، خاصة أن آيت يوسي قد هاجموا ونهبوا قسبة قائدهم ( يويو، يوليو 1902).

وقد كانت تضم هذه المحلة كل الحدود النظاميين، وبعض وحدات القبائل، أما مدربي الوحدات الإلخيز والفرسيون فبقوا في فاس.

### ١ / نشوء وتطور حركة بوحمارة

وصادف هذه التحركات وجود رجل يمتطي حمارة رمادية اللون، يحبب أطراف المحلة متسولا، وفي الوقت نفسه مستطلعا ومتحسسا على أحوال المخزن، والوزراء، والتسبح، والمدافع، وعدد أفواج مولاي عبد العزيز إنه : الجليلي بن ادريس اليوسفي الزرهوني الذي سوف يشتهر فيما بعد باسم بوحمارة، لأنه كان يرى دائما ممتطيا حمارته. يتنقل بين وزان، حيث تعسكر الأفواج لشريفة وفاس متجولا في الأسواق قرب دار المخزن. حيث يسجل كل الملاحظات التي سوف يستثمرها فيما بعد حين تمرد.

وقد كان شاهد عين في لواقعة لتالية، التي جرت أطوارها بفاس : حيث دخل أجنبي أمريكي يقال أنه جاء لزيارة فاس ' إلى ضريح مولاي ادريس . مع العلم أن ذلك محرم على غير المسلمين. فتجمع الناس حوله عند خروجه من الضريح وعنفوه، بل إن أحد « المتعصين » رماه بالرصاص وقتله ثم دخل مستأجرا بضريح الولي.

فقرر السلطان الذي من كثيرا هذه المشاكل التي يثيرها الناس - حيث إنه لم تكن تمر سنة إلا ويقتل أجنبي بهذه الصيغة، مما كان لسبب في مجيء فرقاطات من « هيئة الأموات » إلى صنحة تهدد المدينة بمدفعها، إضافة إلى احتجاجات السفراء الطالبيين بمعاينة

المجرمين مع أداء غرامة مالية / دية كبيرة إلى استدعاء « مجلس الوزراء » حيث أدلى كل واحد بوجهة نظره مما جعل هذه المحادثات تدوم وقتاً أطول دون الوصول إلى نتيجة محددة.

فصرخ مولاي عبد العزيز في الأخير في وجه الوزراء :

— قولوا ما بدا لكم ! أما أنا فلا أعرف الأسباب التي من أجلها قتل هذا المسيحي .  
أريد أن أرى هذا المجرم ليفسر لنا تصرفه . احضروه حالا فأنا في انتظاره .

وبعد حظات وصل ذلك الرجل إلى دار المخزن بين يديه على صدره لوحة خشبية مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية، وكلام يثبت أنه من أتباع مولاي ادريس ( شجرة النسب ) .

فخرج السلطان من مكتبه، وجلس على الكرسي وحوله وزراؤه . ثم قال القائد المشور ابن يعيش :

— أحضر ذلك الرجل ومن معه، وشرفاء ومقدمي الزاوية والمشاورية .

فقال لسلطان لذلك الرجل بعد أن أخذ منه تلك اللوحة وقبلها .

— ماذا فعلت إذن بهذا المسيحي؟ ولم قتلته؟

— لقد دخل، ياسيدنا إلى ضريح مولاي ادريس .

— لكن إن مولاي ادريس هو من ناداه وأدخله بالقرب منه ! وأنت تجهل هذا !! فماذا كنت تفعل أنت هناك؟

— كنت أقوم بالزيارة .

— فالمسيحي أيضا كان يقوم بالزيارة . ثم إن علينا باستطاعته أن يبارك في الدس أينما كانوا . والآن، أجبنني من فضلك من أمرك بقتله؟

فقطأطأ الرجل رأسه ثم قال :

— لأحد ! فعلت هذا لوحدي .

— لكن ! لماذا قتلته؟

— لأنه مسيحي غريب ليس من حقه تدنيس الزاوية .

— أه يا ابن الحمار ! الذي لايعرف شيئاً؟ أو لاتعلم أن المسلمين والمسيحيين واليهود كلهم إخوة، رغم اختلاف دياناتهم !! ثم إنه لقتل إنسان ما لا بد أن يكون هناك سبب ما، أما أنا فلحد الآن، فلا أرى أي سبب لذلك .

— سيدد ! إن مولاي إدريس هو الذي قال لي أن أقتله.

— أه ! جيد، فإن مولاي إدريس هو من قال لي الآن أن أقتلك أنت !

فقدم مولاي عبد العزيز الشرفاء والمقدمين وأعطاهم كيس من 200 دورو لصندوق الزاوية، وقال لشرفاء .

— أعتقد أنكم لا تعلمون خطورة تصرف هذا لرجل، فلو كن مولاي إدريس مكاننا الآن لقتله توال. فكرو بعض الشيء في المشاكل التي سيواجهها الخزن مع الأوروبيين، وفي جميع الدييات التي ستعطاهم، و عمدوا أيضا أنه لا يمكن أن أترك هذا الرجل دون عقاب. فقد ملئت من عتيلات الأحب لسبب أو لآخر ولا بد أن تعطى العبرة لمثل من يقوم بهذه العمليات، فقد أخطأ فعلا ذلك المسيحي بدخوله إلى صريحكم، لكن ليس لدينا الحق في قتل من يخطئ أو يفعل سوءا. ولأن انصرفوا.

فتجمع الحوود، وأعدمو ذلك الرجل باب المكينة، وهذه هي الأسباب التي ستكون وراء ثورة بوحامرة القوة

لقد تدخل السلطان في هذه الواقعة شخصيب، وقام بتحقيق مطول حتى يكون عادلا فيما يفعل : وهذا شيء لم يكن معتادا، فتكلم الناس عن هذه الواقعة في فاس كنها - وأهل فاس معارضون بالقطرة - وعن تفصيل العملية والتحقيق، والإعدام، وقالوا بأن مولاي عبد العزيز قد أخطأ بتصرفه هذا، وأن ذلك المسلم فعل خيرا عندما قتل ذلك المسيحي، وأن ما قام به السلطان يعد مخالفة عظيمة لمولاي إدريس، بل كان الساخرون مستهزئون يقولون .

— إن عني رأس عرشه، ليس ابن مولاي الحسن، بل هو ابن ماك لان إنه فارس أنجيزي !

وقد كن مولاي عبد العزيز، اندي يحب الخيول، يفضل ويقرب منه النقيب ogilvy رئيس الحيلة المغربية، حيث كن محتلف قواد الرحي : الطيب المديوني وابن سعيد الكركور، وعلال ولد لطيب وولد بوحشعة ومحمد المطيري تحت إشرافه. لقد كان متأثرا جدا بالإنجيزي المحيطين به، وأعتقد أن هذا المسيحي المقتول من حسية الإنجليزية. فقد كانوا موجودين دائما بالفصر، يعمون بالدرجات الهوائية، وكرة اصصرت ولعبة البيار. حيث إن ماك لان وبقي لإنجيزي هم من يأتي بهذه اللعبة من بينهم وكان يحضر معهم أحيانا مؤنس السلطان : عني البوط، حيث كان المدربون لإنجيزي معينين من بهوياته ومستملحته وحينه، وكن عندما يزل إلى المدينة يحكي كل هذه لأحداث، عن الأمير السلطان، والفقر على الحواجر بالدرجات الهوائية، واحتفلات الموسيقى، والصور الفوتوغرافية التي

كان السطرن يستقطبها بمختلف الألبسة، مما جعل الناس يقولون بأنها تصرفات لا تليق بأمرير / سطان، واعتقد أنه كان لهم الحق في ذلك. يحدث كل هذا، وبوحامرة يتتبع الأحداث في صمت دون أن يقوم بأي شيء.

وقد كان تزايد نفوذ الأنجليز في القصر من نتائج التنسيق الذي وقع بين وزير الحرب سي المهدي المنبهي وماك لان. أما المدربون الفرنسيون فقد همشوا بعض الشيء، حيث كانوا مكلفين فقط ببعض الطواير الأقل تجهيزا وعناية، وبأجرة لا مقارنة بينها وبين الطواير التي يقودها الأنجليز.

وقد أدخل هذا الوزير ( المنبهي ) نفسه أحد أصدقائه من الشباب إلى القصر، إنه الحاج عمر تزي ح وزير المالية الشيخ التازي الذي لم تكن له مهام محددة <sup>(2)</sup>. حيث كلفه بكل ما يتعلق بباء، وصيانته بنايات القصر، فأصبحت علاقته مع السلطان أكثر حميمية من صديقه حيث كان يتجول مع السلطان كل مساء في القصر يناقشان أمور الهندسة وأشياء أخرى. وعندما إقتضت الضرورة ان يبعث إلى أوروبا شخص ثقة لشراء بعض الحاجيات اختير عمر التازي، ولما كان يعلم هذا الأخير، تعلق السلطان الكبير بالترك استقدم إليه ست حسناوات شركسيات يعزفن على البيانوا والكمان والقيثارة فسر السلطان من عمر التري. وكلفه بعد أن استراح بعض الشيء باستقدام المزيد. ولما كانت هذه الأشياء من مهمم الحاح فون سي أحمد الركينة قد أحس بالحرج والتهميش. فها هو شخص آخر استطاع أن يدخل إلى محيط السلطان ويحضى بالرضى والتفضيل، مما جعل المنبهي «النجم» يحس بدوره بخطورة هذا الوافد الجديد حيث أصبح مختلف القواد الذين كان المنبهي قد عينهم في سلك الجندي، يأتون بشكاية أو عقوبة أو قرار من وزير الحرب، ويدخلون به عند عمر التازي الذي سمع احتجاجاتهم وشكايتهم ويدخلهم بدوره عند السلطان الذي يبعث في قضاياهم دون استشارة الوزير المعني. وهكذا بدأت ملامح الغنى والحضوة تظهر في عذبة الحاج عمر التازي.

لكن هل تظن أن بوحامرة الذي يتجول دائما في فاس يرى ويسمع ويلاحظ الفوضى في صفوف المحرن، وكذلك تلك الأهمية الكبرى التي أصبح يوليها السلطان للأوروبيين وتلك الأدوار التي يقومون بها من أجل الإكثار أو استنزاف أموال القصر، وعدم التفاهم والإسجام بين أعضاء الحكومة، والأحقاد والضغائن التي تفرق بين الشخصيات الكبرى التي لا تحث سوى عن الإغتناء، لا يكثر بهذه الأشياء أي بالسياسة الداخلية للدولة التي تسير بشكل عشوائي كمجري جواد دون فارس، لا، إنه متعلم وكان قد عمل مع مولاي الحسن في فيلق الطلبة المهندسين <sup>(3)</sup>، كما كان كاتباً لمولاي عمر خليفة السلطان على فاس ثم إنه كان ذكيا، ويقال عنه أيضا أنه كان يتعاطى بعض الشيء «للسحر». وفي

صاح أحد الأيـم عـدم صـبـم مـ سـقـوم بـه. و سـطـر حـطـتـه و تـصـمـيـمـه كـمـهـدـس يـمـكـر فـي بـنـاء مـنـرل مـا. رـكـب حـمـارـتـه لـرـمـدـيـة. و عـدـر فـس كـفـلـاح مـن البـوـادـي لـيـتـحـقـق بـقـريـتـه فـي الجـبـل و فـي طـريـقـه. عـرـح عـمـى لـقـبـائـل الشـرـقيـة. لـيـرـع بـعض البـدـور ( بـدـور التـمـرد ) الـتي سـوف يـحـصـدـها عـنـدـمـا يـكـون فـي حـاجـة إلـيـها ن و هـكـذا. زار الحـيـيـنة و بـني سـدـن. و بـني واريـن و اتـسـول و حـيـرانـهـم الـبراس. و هـي كـلـه قـدـر مـوـالـيـة بـعض الشـيـء لـسـمـخـزن. و قـد كان يـحـكي لـأعـيـن هـذه الـوـادـي و الـقـرى الـتي يـمر بـهـا عـن الـضـعـف الكـبـيـر الـذي أصـاب الـحـكـومـة. و عـن مـيـول القـوـاد و الرـؤـسـاء إلـى الأورـو بـيـن. حـيـث لـم يـعـودـوا يـنـظـروـن إلـى الأشـيـاء إلـا بـعيـون الأتـجـيـر. و عـن مـشـهـد القـتـل فـي زـاويـة مـولـاي ادرـيس. و عـن مـلاهي و ألعاب سـلـطـان غـيـر مـقـدر لـقيـمـة عـرـشـه. و عـن الأمـوال المـيـددة بـتـدهـة و تـبـديـر. و عـن عـدم كـفـاءة و زـراء يـتـحـاسـدـون فـيـمـا بـيـهـم. و عـن ضـرورة تـدخـل المـؤمـنـيـن الأقـويـاء لـتـصـحـيـح الأوضـاع. و لو بالـعـنف اتـبـاعـا لـتـعـاليم الرـسـول صـلى الـه عـيـه و سـلم. و عـن كـل مـا يـمـكـن أن يـقال عـن أوضـاع فـاس. ثم يـذهـب و يـتـرك لـهـم جـمـيـع بـركـتـه

لكن عـودـه القـوي لـم يـسـأ لـلـمـعـل إلـا بـعد و صـولـه عـند غـيـثـة. عـقـب مـقـسـب أو حـيـلة سـحـريـة سـأحـكـهـا لـك :

فـيـمـا كـان ذـلـك يـوم يـتـحـث بـكـلامـه لـمـعـتـد فـي إحدـى لـقـرى. عـن الوضـعـيـة المـزريـة الـتي يـمر مـنـها المـعـرـب و انـي تـفـسر فـي و صـفـهـا حـتى أصـبـحت أكـثـر سـوداويـة. طـلـب مـن مـضـيـفـه أن يـهـيـء لـه الشـاي. لـكن لـم يـكـن هـنـاك « نـعـنـاع » فـقـل أحـدـهـم إنـه مـوجـود عـند فـلان. فـبـعث بـشـخـص لـذـلـك. و كـدت عـمـى عـد كـيـو مـتر مـن مـكـان الجـلـسـة « زـريـة » <sup>(4)</sup> لـأحـد الفـلاحيـن فـيـها بـعض النـعـنـع. فـلـمـا لـم يـجـد ذـلـك الشـخـص أي أحـد اقـتـحـم الزـريـة و أخـذ مـا يـحـتـاجـه مـن نـعـنـع. و عـد رجـوعـه و جـد الفـلاـح ( صـاحـب الزـريـة ) الـذي و صـفـه بـالـلـص و عـنـفـه كـثـيـرا. فـرجـع ذـلـك الشـخـص إلـى الـمـوالـة لـتي كـان فـيـها بـو حـمـدرة مـنـهـكا و دودن نـعـنـع. فـقـل لـه :

— مـادا حـدث. فـمـقـد تـأخـرت و لـم تـأت بـشـيـء ؟!

— نـعم أـسـي الفـقيـه. لـقد ذـهـبت مـسـرـعا. لـكنـهـا المـواحـة و لـمـشـجـرة هـي الـتي أخـرتـني. و حـكى لـه القـصـه.

— مـاذا ؟! لـقد تـحرأ عـلى فـعـل هـذا ! و قـل أن النـعـنـع لـه. جـيـد. فـظـر مـاذا سـتـفـعـل بـه بـركـتي

و بـعد قـلـيـل مـن هـذا الكـلام. شـتـعـت لـر فـي تـلـك الـأشـجـار و الأشـواك المـحـيطة بـالنـعـنـع. و يـمـكـن أن يـكـون بـو حـمـدرة قـد بـعث أحـد مـسـأجـريـه لإضـرام تـلـك النـار. خـاصـة أنـه رآى تـلـك المـواحـة مـن النـوالـة لـتي كـان يـحـس فـيـها. و قـد يـكـون هـذا مـظـهـرا مـن مـظـاهـر بـركـتـه. لـست



أدري ! لكر كل من كان حاضرا تعجب من المشهد وسارع إلى تقبيل يده، فلبثهم ببعض ريقه تبركا منه.

وقد كان لهذه الواقعة الغريبة أثر كبير في نفوس جميع الناس، وأدركوا أن بين طهرانيهم شخصية قوية، بل حتى إن ذلك الفلاح الذي أحرق نعناعه قد جاء مستعظفا بالكثير من النعناع بين يديه.

وأخذ بوحماره كل وقته، وقال بعد أن فكر مليا :

\_\_ لقد عفوت عنك وسامحتك، وستذكر طول حياتك عواقب رفض إعطاء النعناع للشريف، أما الآن بالنسبة لكم أنتم، وتوجه نحو الآخرين، فقد سررت جدا لمشاهدتكم مظاهر قوتي، وأنا قابل لسلامكم وتحاياكم واحترامكم وخضوعكم. لأنه لو تماديتم في خطئكم لأحرقتكم جميعا، ولما بقي من قريتكم سوى الأطلال. لكن الآن، فلنشرب الشاي.

فانحنى الجميع معلنين استسلامهم وخضوعهم وولاءهم، ثم شرع في تفسير ومناقشة ما ورد في القرآن مع متعلمي الجماعة، ولم يجد أي صعوبة في التحكم في هؤلاء الرعاة. وقد كانت جميع الظروف مواتية ليقول بوحماره لشيخهم :

\_\_ هل تعرفني؟ هل تعلم من أكون؟

\_\_ لا، لم تقل لي بعد من تكون !

\_\_ سأقول لك إذن، وهذا سر بيننا لأنني أقدرك، أنا هو مولاي امحمد ولد مولاي الحسن.

\_\_ ماذا !! أنت هو !!

\_\_ ثمت ! أسكت أريد أن يبقى هذا سرا.

\_\_ آه ياسيدي ! إلى أين متجه فوق حمارتك؟

\_\_ إني متجه نحو القبائل والبلدان لأجمع المؤمنين الحقيقيين المستعدين للبارود ! ولتنظيم محلة، وإرسال وحدة، ضد أفراد المخزن، الموالين للمسيحيين الذين يبددون ثرواتنا ويسيروا بنا في نهج القوضى والإضطرابات، فسألهم جميعا وسأقطع رؤوسهم بحول الله.

\_\_ لكن أين هي محلاتك؟ وأين ستجمعها؟

فقال بوحماره ضاحكا :

\_\_ يبدو أنك رجل طيب. فكل القبائل من الساقية الحمراء وإلى تافيلالت وإلى جنوب وهران قد بايعتني، ولا تنتظر سوى موافقتي لتنظيم محاربيهم وإعطائهم إشارة الإنطلاق.

ثم أخذ يسبح في جسي بروسه. ليطهر لشيخ رسائل موجهة لعنوان مولاي امحمد  
 من مولاي احسن من سوس وحاحه والرحامة ودكالة ودرعة وكل قائل اخوت والشرق.  
 لكن لشيخ. ومن خلال ما رأى وما سمع. لم يعد يستطيع حفظ السر. فشح الخبر  
 بين كل أفراد جماعة. ومنها إلى باقي ساس حيث وصل الخبر بسرعة كبيرة إلى فاس.  
 لتي علمت أنه يوجد عند عيثة منمرود سميه ساس بوحامرة. والذي بدأ في الإعداد  
 وتمرير صد مخرب

فقال بوحامرة لعيثة

لقد سبق لكم بعيثة لأوفاء أن حارثتم إلى حوار مولاي ادريس. ومن أجل ذلك  
 حثت إليكم.

— إني أحب فيكم بعيثة. صر حكيكم وستقدمكم وحماسكم ونضباطكم في  
 الخروب. وأريد أن يكون محربي وورثي سكم

وهكذا التف حوله كل الموصوف. وللمعطين السهب. وكل من يرغب في النقود  
 والتشريف. واما عارضين ليكنوا جيش قويا.

وبدأ القلق يتسرب إلى نفس السطان الذي كانت تصله أخبار تقدم هذا التمرد  
 فكتب إلى الخبيثة شطيم محبه صد عيثة. وعرضهم ببعض الفرسان. والقائدين المودن  
 وبحيط لقيادة لعمية. وسب الخوف عيثة فقل لهم بوحامرة :

— مد ؟! هل ستم حثقور ! من عشق من هذ الدب ؟! إنه فعلا شيء مؤسف.  
 لقد كنت أضكم أكثر شجاعة مما أرى. ثم به ليس هناك ما نحفونه. أو ليست لي بركة.  
 وأقول لكم صراحة. وبسم الله الذي يحفظ جميع أن كل من مات فحراؤه الجنة.

وبعد هذه الكلمات. تقدم الفرسان. وأعطى الأمر بالانطلاق لحوده المحيطين به لمواجهة  
 الخبيثة الذين يتقدمون. وهكذا لم تفتأ مظاهر ركته أن تبرز. فلم يطلق الطلقات الرصاصية  
 الأولى حتى أرعب خبيثة ونزاحوا بسرعة إلى لورء تحت مطرودة بوحامرة وغياثة  
 فأحرقت الوايل. وجمع الأسرى مع القطعون. لأن الخبيثة طوردوا وعموا وسط أراضيهم.  
 ولما جمع بوحامرة الأسرى قل لهم

ها أنتم الآن بين يدي ! أفعل بكم ما أريد ! ماذا تفصون أن تكونوا محمدين معن.  
 نحن النورثة نعرش مولاي احسن أم «كروبوليين» مع أحي النقي مولاي عبد العزيز؟

بريد أن يكون محمدين

— إرد فأنتم احرار، يمكنكم الذهاب إلى أهاليكم، لأنني لم آت لإثارة الشغب والفوضى، لكن لأشتر النظام فيما بينكم، وإسعاد المؤمنين الحقيقيين. فعمت الفرحه والسرور بين صفوف المحاربين، واطلقت الرصاصات إعلانا للفرحة والبهجة وصاح عيثة والحياة :

... الله ينصر مولاي امحمد ولد مولاي الحسن !

وهو الآن الجيلالي بن ادريس أو بوحمارة قد اصبح سلطانا، في حين لازال مولاي امحمد الحقيقي دائما في السجن.

وبعد هذا الإنتصار الصغير ومبايعة هاتين القبيلتين، انطلق بوحمررة رفقة حراس أقوياء، تارك إطلاق النار متبادلا وراءه، نحو بني وارين. وقد كانت هذه الأحداث كلها في بداية فصل الشتاء ( 9 أكتوبر 1902 )، وهي فترة غير ملائمة للحرب، لأن العدة جرت أن تكون الحرب في فصل الربيع عندما تكون الأرض محروثة ومزروعة. وقد سر أهل فاس وساد بينهم لإنسراح عندما علموا أن بوحمارة قد غادر غيثة إلى بني وارين<sup>5</sup>.

وأشتر الوزراء الذين لهم رغبة ومصلحة في الرجوع إلى مراكش على السلطان بقولهم :  
... إن مقامك هنا، سيدي، بالشمال لم يعد نافعا وذا جدوى، فكل الأوضاع هادئة، فيمكنت التحرك قبل الشتاء نحو الحوز على عادة آباءك.

أما هؤلاء الذين كانوا يعارضون الفكرة ويودون البقاء في فاس فقد قالوا :

— أتصحون السلطان بالذهاب إلى مراكش، ويترك خلفه « ولد الحرام » بوحمارة الذي نجراً على انتحال شخصية مولاي امحمد والمبايعة سلطانا. ألا تعلمون أن هذه عملية خطيرة خاصة أن أتباعه الحمقى والمجانين سيصلون بعد أيام فقط إلى مشارف أسوار المدينة (هس).

فأجاب الآخرون :

— إردن، فأنتم خائفون من متمرّد صغير يمتطي حمارة، إنه لا شيء، إنه فراشة ليل سوف تنتهي بإحراق نفسها - بيدها. سيدنا، لانهتم بأراء هاؤلاء البكائين.

فقرر السلطان أخيرا الذهاب إلى مراكش، بعد أن استقدم كل القبائل الموجودة حول المدينة وقيل لهم بعد اجتماعهم :

— هاهو السلطان سيرحل إلى مراكش، وقد كلفكم بالقضاء على هذا الحمار الأرعن اسمي بوحمارة.

— فليرحل سيدنا هادئ البال، فستكفل نحن بذلك.

— جيد، فمن جاءكم برأس بوحماره، فسيكون حراء فيبنته 50000 دورو (250000) فريث

فليسافر السنن من راحا اذن اننا هـ ١

وأخذ بخياط الكسمة وقال .

— فليذهب سيد دون تفكير في هذا الأمر، فإن بخياط يضمن لك القبض على بوحماره هـ، بمجرد أن ترجع إلى خسة، وسيأخذه سيدي المحزون.

فقال « المحزون » لبخياط .

— إذ أتيت برأس بوحماره فإنا نعدك تعيسك فإني على كل الحياينة، مع خضوع كل البلاد الموحودة بين ناره وفلس تحب بمودك وأن محادياتك واتصلاتك ستكون مع السلطان مباشرة

وبعد انتهاء كل هذه الأشياء، عادت كل القبائل المجاورة لفاس إلى بلادها، فجمعت المحلة على الطريقة المعتادة لسفر السلطان من فس إلى مراكش، حيث كان هناك كل اجنود النظاميين يستشهد بطور لعيد يكون من 600 فرد تقريبا، لأنه كان قد بعث منذ شهرين بقبدة بخير احمرى لآب يوسي تقوية صفوف القنن عمر اليوسي الموجود في مواجهات صعبة ضد أهل قبائله لئلا يثروا صده واخلحوا فصته وعند اجتماع كل أطراف المحلة ستعرب اجمع لعب العبد سود حرس السنن لخص

فقبل المولاي عبد لعيرير .

— كيف تسافرون هكذا دون طيور العييد؟

لايهم، فرحاني ليسوا سوى في مهمة طرية، استثنائية، لقد اعطيتهم الأمر بالتحقق بالمحلة في ارباط حيث سقيم بعض الوقت، ثم إني مسرور لعدم وجودهم معي في هذه الأثناء لأنه إذا ذهب بوحماره عبد آيت يوسي، فإنه سيمجى بعيد السلطان عنده، ديلا على وجودهم في كل مكان

لكن هاؤلاء الأفراد لم ينتحفوا بامحه، ويقوا ببحس مع عمر اليوسي ورغم كل هذا، فإن السنن، القنن دثم من سير الأوضاع، قد بعث محلة إلى الحياينة من 2500 رجل بقبدة أخيه مولاي كبير، لإطعام نيران التمرد حيث اندلعت، وقد كانت تصل أخبار سارة عن هذا الطيور المعسكر بواد باور، وقبل انطلاق السلطان بوحماره وغيثة إلى جبال هذه القبية حيث يقال أنه احتفى عن الأنظر

هكذا، عدد السنن ومحربه فس (10 نوسر) ليدخل مكس محط بكل قواد احيالة الدس درهم الأخبير، وسط حشود من 10000 رجل، فإثنى عشر 12 مدفع كبير

## ب - أطوار المواجهات الأولى :

ولم ندم الإقامة في مكناس سوى عشرة أيام، لأننا لم نصل صلاة الجمعة إلا مرة واحدة. فأنطلقاً جنوباً لإصلاح الأوضاع عند بني مطير وكروان وزمور الذين ثمردوا « من جديد ». وقد عززت الحملة بوحدات القبائل «التوايب» : الشاوية (1500 رجل)، والسراغمة (1000 رجل) بقيادة بلمودن / بن المودن.

ثم عسكرنا بدار ام السلطان، وفي اليوم الموالي بسيدي عبد القادر بوكرنات في بلاد كروان. لكن على طول الطريق، كانت تصل رسائل ملحة إلى المخزن من الباشا سي عبد السلام بن شكرة الذي أصبح يهدده بوحماره في منطقة نفوذه أكثر فأكثر، لكن لم يرد عليه سوى جواب مدعوى أنه ليس سوى خائف مرعوب. وكان يشير في رسائله أن هذا المتمرّد قد عسكر مع أتباعه تحت أسوار تازة ثم إن عدد جنود الحماية غير كاف 300 رجل للدفاع عن المدينة. وكان رجال المخزن يقولون : إن ابن شكرة خائف جداً من بعض المتمردين، إنه يرى بوحماره في كل مكان، أو لم يصعد إلى الجبل ليختفي في أعالي الجبل؟ لكن رغم كل هذا الكلام، فإن الإضطراب والقلق ظل سائداً في أوساط المخزن، حيث ظهر فريقان بهذا الخصوص. فريق يزعم أن غريظ بن سليمان وابن يعيش يريد أن يرجع إلى فاس والقضاء على بوحماره. في حين يريد الفريق الآخر بزعم الشيخ التازي ومن معه، إتمام الرحلة إلى مراكش، وكان المنهجي قد احتفظ لنفسه في هذه الأجواء، بصمت حذر، خاصة أنه لم يكن له أصدقاء يجعلونه ينضم إلى هذا الفريق أو ذاك، لكنه كان يرغب في الذهاب إلى مراكش حيث يوجد أهله، وذلك أفضل من الرجوع إلى فاس. وفي خصم هذه الأحوال التحق ابن شكرة بالحملة بعد أن لاحظ أن الأوضاع أصبحت خطيرة بتازة، وهاهو قد فر إلى مكناس ليحتمي بالسلطان بدعوى أنه جاء ليطلعه على الأحوال ويخبره بالمستجدات. أما لأعين ( أعيان تازة ) الذين خافوا على ثرواتهم وأموالهم فقد بايعوا بوحماره، وقال الباشا ابن شكرة للسلطان بعد أن نجى بنفسه :

— أه يا سيدي، إنكم إذا ذهبتم إلى مراكش، فستركون وراءكم النيران المشتعلة. أتدعون يسدي وهذا العدو في أعقابكم؟ كما لو أنكم فررت خوفاً منه، فيحب القضاء على هذا الرجل أولاً، ثم بعد ذلك تغادرون فاس بعد أن تكونوا قد سحقتم مولاي امحمد المريف هذا فليس يعتقدون أنه أخوهم. ثم إنهم يتهاوون لمساندته ومؤازرته لأنه يطالب بعرشكم

فاجتمع المجلس / الحكومة ليستمع إلى ابن شكرة وهو يشرح الأوضاع.

— كم عدد أفراد محلة هذا المتمرّد؟ هل هو خطير إلى هذه الدرجة؟

— إن له 15000 فارس يكوون فيفه النظامي وأعسهم من عيثة، كما أن كل وحدات القائل الشرقية، والحيية وبني وريس وانسول والبراس قد بيعته ويقولون إنه رجل خطير! إنه محارب جيد، يحه أتعه، متعلم مكر، وأقول لكم، وصراحة، إنه لو تابع السلطان طريقه نحو مراكش، فإن بوحماره سيدحر فارس دون مقاومة، ودون إطلاق رصاصة واحدة

فمكر لستعان قبلا وقت

— لماذا عذرت تراه لي أمتث عيه؟ فيث أنت أول من كن عيه أن يدش بداية المقاومة، والأخذ بيد الأعيان.

— سيدنا! ليس لي هناك لأح ولا صديق، فأنا من الخوز، ولا أستطيع بعبيدي الثلاث الوقوف ضد عبدة وأهل تراه الدين بيعوا هم أنفسهم بوحماره، وخطبت الجمعة باسمه على المنبر

— باسمه! وهو يلق بوحماره! هل ح أولئك الناس؟

— لا يا سيدي، إهم يدعونه مولاي محمد، ويقولون إنه أخوكم.. وأنا لأعزم سوى هذا، فمدا يريدون مني أن أفعل؟

فانفجر مولاي عبد العزيز ضاحكا ثم قل:

إن أخي سجين حالي في إحدى المنازل بقصري في مكناس، فليس هو!

لقد كان الكر يرى أن الأوصاع حصرة. وفررا للرحوع استثناء من كرون وزمور إلى مكس حيث عسكر بعد ذلك سيدي بوركري (؟ دحبر). في انتظار وصول أحبار عن محنة مولاي الكبير من تارة

وقد ذهب سيقاب إلى مولاي امحمد في مكس يقول له

— أسمع برحل ذهب عند عيثة، يتحل شخصيتك ويؤلب عينا قبلك؟

فأجاب مولاي امحمد:

— ماذا تفعلون سيدي، ولاد احرام كتر؟

فأرجع إلى مكانه فتبعه بوحماره مخدع مكر. وأن اس شكره نفسه قد صدقه. لكن أحبار محنة مولاي الكبير كانت سيئة فقد هربت على مقربة من تارة، حتى اتحد الحبيبة وعيثة ونهوا معسكر لشريف (6 دحبر)

والآن يحب التحرك بسرعة. وهكذا غادر السلطان مكناس ليدخل إلى فاس (لادجير) حيث قرر، ويطلب من سي فضول غرنيط، وابن سليمان، والعلماء، والشرفاء، وأعيان فاس، أن يمدد إقامته بفاس إلى حين القبض على هذا المتمرّد، فجمع كل فواته الكبرى. وأعطى الأوامر لكل المناطق بمحاربة بوحمارة، وطلب من القبائل المخزنية الإلتحاق حالا بنفس، وفتح خزائنه وأعطى الأموال الكثيرة. وقام بكل مافي وسعه لتنظيم هذه الحملة التي رعب عربيط وابن سليمان وآخرين أن يقودها سي المهدي المنهبي. ولكن أهل فاس كانوا يستهزئون ويستخرون من هذه الإستعدادات، ويستخفون بالسلطان مظهرين من حديد، ورغم كر هذه المجهودات، أن من كان معوجاً في أول أمره يبقى دائماً على نفس الحال.

ولابد أن أقول لك أن ماجعل الفاسيين يعارضون السلطان، ويتناقص احترامهم له شيئاً فشيئاً، هو إعطاؤه الأولويات والفرص للأوروبيين للتدخل في شؤون منزله. وكان الناس يخفون أن يمتد هذا التدخل إلى كل جهات البلاد. إضافة إلى بعد سلوكه عن سنوك الأسر المخزنية القديمة المتعقلة والرزية، بل إنه جمع حوله الرعاة (السراح) الذين لم يأتوا إلا للإغتناء كذبابه حول شهد نحل. وكنا لانجده في الشارع إلا محاطاً بستة رجال مكففين بعلته إذا وطأت على حجارة ما بالطريق. ثم إنهم لم ينسوا أحداث الزاوية، كما كسوا يستهزئون أيضاً من الجنود المتجولين في المدينة المكلفين بمنع الخصومات مع الأجانب.

وهكذا وصلت وحدات القبائل مع قوادها إلى فاس وأعني : وحدات الحوز والشوية وعدة ودكلة وحاجة وسوس والغرب، وآخر المرابطين دائماً في فاس الجديد. ووصل عدد الجنود بالإضافة إلى الوحدات النظامية 40000 رجل بالمدينة. لكن بدل القيام بمحلة واحدة كبيرة، فقد قرر بالمقابل بعث أفواج صغيرة، شيئاً فشيئاً وبالتوالي نحو واد ينون.

فتوجهت حركة بقيادة سي محمد الأمراني لمؤازرة مولاي الكبير وجمع شتت أفواحه. ثم توجه بعد مرور أيام فيلق آخر بقيادة سي عباس المنهبي أخ وزير الحرب. ثم فيلق ثالث فيما بعد قيادة سي بوعلي الدكالي، ثم رابع بقيادة مولاي عيد السلام الأمراني والخامس بقيادة سي عيسى بن عمر. ووصل العدد في المجموع عشرين ألف محارب

وقد كانت العادة تقتضي أن يقود المحلة قائد واحد كبير. لكن مادام لم تعط أوامر بهذا الخصوص. فإن وزير الحرب سي المهدي المنهبي، الذي غالباً ما كان يكون هو القائد، قد بقي دائماً في فاس. فأخذت هذه القبائل كامل حريتها في مواجهة العدو، والتدخل بقوة في كل وقت. لقد كان خطأ جسيماً أن يكون لكل محلة أفواجها النظامية ومدفيعيتها وموكبها وفاندها، تحارب وقتما شاءت وكيف شاءت. فلم يكن هناك أي تنسيق واضح. وسأعطيك مثالا صارخاً عن ذلك : فقد كانت تطلق أكثر من طلقة مدفعية واحدة عند صلاة الصبح والمغرب، في حين كانت العادة قد جرت أن تكون هناك طلقات واحدة، أم في تلك المحلات / العسكرية فكنا نسمع أكثر من خمس طلقات متباعدة فيما بينها

وهكذا ظهر سوء السيو قيم بين هذه الأفوح بشكل واضح. وحسب المثل العربي :  
عدم تكون قبيلة ما على حافة الإهيار، فإن الكل يرغب في أن يكون قائدا أو رئيسا.

أما بوحماره. فقد عسكر في عقبة بني مكادة على الحدود بين الحياينة وعيثة، حيث التقت وراءه ليجده رجل المحزن قد وصلوا إلى أوطوبوعان وكان قد حثاح بعض الدواوير وسمع صلوات مدفعيه خمس بدله على العوصى وعدم التنسيق والإنسجام في الصفوف المحرقة (احتسعت لفيالق في أوطوبوعان من 15 و 20 دجنر)، وكان معه وحدات عيثة وبني وارين وبني ساد، وايت بوسي، وقائل لشرق، واتسول، والبرانس كما ترى صم أفراد محنة رجلا من لفتل المحرقة، وبعض المعرضين، وبعض من كان يود اجتياح ونهب فاس، ولم يكن شيئا عربيا أن ترى أفراد قبيلة واحدة مقسمين كل شطر موال لجهة ما، أليس هذا أمرا سياسيا غريبا، بالنسبة لخيمة تريد أن تبنى في الظلام والفراغ أن يكون الأب مع السبط والإس مع بوحماره دون أن نسي أنه، وأمام هذه القوة، أصبح الناس يعتقدون أن بوحماره هو مولاي امحمد بن مولاي الحسن خاصة عندما يغلق نصف عنه اسمي، ويقعد جيدا أحواء القصر. احتفلات والموسيقى والنساء والجواري، وقائد المشور، والحاب، ولأفواج الصدمية، وأغصهم من عيثة، وللب عسكريا أعطته إيه إسدي، وكذلك تقيد سبر صواير السلطان

وقد كن بعض الأدكياء يحرونه في هذه الحمقات، التي يظن من خلالها أنه سلطان، ولو أن ذلك سوى وهم. فكان يأتيه يومي «رقصة» (رسل مبعوثون) برسائل يقال أنها من قبائل ووحدات سبطية، وهي رسائل كتبها هو بنفسه في خيمته مساء، وقد كان عنده بالطبع خاتم يحتم به وتائقه ورسلته باسم مولاي امحمد ولد مولاي الحسن.

وقد أسعده كثيرا وصور هذه الفينق لصعيرة إلى محنته، لكن ما كان يسعده أكثر هو سماع الصلوات المدفعية خمس لمتعة عند لفجر والروال وغروب الشمس فاستقدم أتباعه وفاء بهم

— ما جديدكم؟

— لاشيء سيدي

— هل رأيتم هذه الذبابات القدرة التي جاءت إلى السهل؟

— صحيح سيدي، إنها حشود قوية !

مدا هل تسم عدهون؟ فكر ما ترويه أمد أعينكم سيكون لنا فلاسحة والمؤن والمدافع ستكون لي، لا مولاي ادرس عسه هو من عنث لي لتقوية صفوي. أما الخيول وحيد لا لأمعة فسأتركها لكم فهي لكم



وحدث يوما أن هجمت الوحدات المخزنية، بشكل عشوائي، على بوحمره (20 دحسر) الذين رأهم يحرون في اتجاهه وقال :

... إنكم ترون حتما هذه الجماعة من المخارين. فلن يصل أي واحد منهم هنا إلا ليموت. إنهم يجرون فقط لنهب أو سرقة. إن استطاعوا، برادا (آنية لطهي الشاي) أو صبيه نحاس.

... آه كان من الممكن أن يكونوا خطيرين لو كان لهم قائد واحد، أما أن يكون لكل وحدة كبيرها، فهم كجماعة دجاجات بدون ديك.

ثم وزع جنوده على طول الخط الذي اختاره وحدده لهم وقال :

... لا تطعوا الرصاص إلا بين القينة والأخرى، وبطريقة صحيحة ومضبوطة. فنحن لسا في حمل الثوريدة ( الفانتازيا)، فاحتفظوا ببارودكم لمن يستحقه، ولندرس جيدا ما سيفهم به هاؤلاء.

فأعجب أتباعه بذلك وشجاعة قائدهم. وإذا كان منهم من جاء ليحارب معه، فإن مهمهم أيضا من جاء معه لغايات متبانية لإشباع فضول أو انتقام أو ثأر.

وبعد أن رأى بوحمره سخافة الهجوم قال لأتباعه :

... لاتسبلوا مزيدا من الدماء الفاسدة. فلا خوف عليكم بعد هذا.

فلم يكن هناك سوى بعض الطلقات المتفرقة بين هذه الجهة وتلك وهكذا استرجع حدود بوحمره حماسهم وشجاعتهم، بعد أطوار هذه المواجهة الأولى، خاصة أنهم كانوا حائمين جدا من عدد أعدائهم.

وقد كانت هناك صوكات يوميا. حيث كانت ترسل كل وحدة رجالها بشكل تناوبي لكن نتائجها كانت دائما سلبية.

وفي هذه الأثناء كان السلطان يعمل جيدا على تقوية جنوده بالمؤونة والأسلحة. حيث كان يرسل دائما من فاس نحو واد إناون 100 بغلة محملة بالمؤن و 100 بغلة محملة بأكياس الدوروات، تحت حراسة قوية.

وتحدر لإشارة إلى أن بوحمره قد ظهر في المواجهة الأولى محاربا قويا، وفي مستوى مهمته مما كان له الأثر الطيب عند أتباعه في المعسكر. والأمر نفسه فعله في اليوم الموالي مما جعل أتباعه يرتقبون انتصارا قريبا ونهائيا.

وصادف هذه الأحداث صيام شهر رمضان. حيث صمنا أربعة أيام في هذه الظروف وقد كانت المناسبة مواتية ليكتب بوحمره إلى القبائل المجاورة التي لم تؤيده وتوازه بعد :

« من كان يريد أن يريح و يعم شئ سأل نفسه من اعينهم فما عييت سوى الإلتحاق بي  
سرعة فالهروء فقط تكفه سلاحه » .

وفد كان الحياة الدس كانوا مقسمين قسمين . قسم مع المحزن . والآخر مع بوحمارة  
قد نعو ومنوا من رؤيه . حينهم « يأكبون » بلادهم كرحال من الحراد قد عملوا على ضم  
قسمهم بوجود في جهة المحزن بوسطه عملاء بوحماره . وفي أحد الأيام ، وكالمعتاد ، طارد  
بوحمارة حركة مخزنية إلى أن أنهكه ، حيث ظلت النيران تدوي من الصباح إلى المساء .  
وعند العصر ( ٣ أو 4 عد الروال ) زداد عصف لمواجهة ، حيث توجهت أفواج بوحمارة نحو  
محلة مولاي الكبير الذي أصبح يحارب متراجعا ، وكل قد بقي قسم من هذا الفوج في  
المعسكر لطهي حريرة رمضان ، الذي سرعد ما رأى رفاقه الدين ذهبوا إلى المواجهة قد  
رجعوا متفرقين إلى المعسكر ، لم يتردد أفرادهم في لهرب نحو فاس . أم قواد الفيالق  
الأخرى ، ففوص أن يذهبوا لمؤازرة مولاي الكبير ضد عدوه الشرس ، رفعوا المعسكر لرجوع ،  
وفي مساء اردادت المصائب أكثر . حيث استعلن الحياة وجودهم فوق أراضيهم ليطلقوا  
الرصاص في الفراغ حول المحلة لارعاب وحافة المحررين وذهب الحيام بسرعة .

وعندما عم الظلام ، الليل ، أصبح بوحمارة سيد معسكرات السلطان ، التي فرجنودها  
هرعين نحو فاس . ولدين يعترضهم بالعنف والطرده أورد القنائل التي كانوا قد مروا بها  
مد مدة وبهوها ، حتى كتب لطريق ملای الخشت ، وكل منهم أيضا ، لغرقى بواد  
الدين ، كما كبرى أيضا بعض سوى الدين رمى بهم الحبيثة في الواد بعد أن جردوهم من  
متاعهم ، كما عروا كثيرا منهم ثوبا ، ومن حسن حظهم أنهم بقوا على قيد الحياة . لقد كان  
هجوم بوحمارة سيص ، وقد كان هجوم حرمص من الوحدات المخزنية كفا ليجد منه  
قل العروب وهكذا سقطت كل احبام والأسلحة والمدافع والعتاد والمؤن ، وبصنع الأسواق  
التي تصحب الفيالق ، و لامة ( السود ) ، والعبيد في يد بوحمارة ، بما في ذلك قافلة من  
البعول المحملة بأكيس من لدوروات عدره حراسه هـ فكم ترى فإن مولاي عبد العزيز  
لم يكن يترك حدوده دون أموال . بل إنه كان يقول أيضا في رسائله : « أن تشجعوا ،  
هـ ، كن ما أطلسه مكم . أظهروا أنكم حدود المحزن الأقوياء وإذا كنتم محتاجين للرصاص ،  
فصرفوا الدوروات التي بعثت لكم ، وسأعطيكم أكثر إن أردتم » وقد كنت لحظة الفوضى  
والإضطراب هذه قد أفسدت بل أظهرت كل شئ ؛ إذ رحعت هذه الأفواج من الرجال  
الحفاة العرة بعصهم كانوا ، اثني أو ثلاثة أفراد ، يمتطون دابة واحدة ، إلى فاس وسط هلع  
السكان الذين علموا أن المحلة قد هزمت فأعلقوا ذك كيههم وقالو « لقد انتصر ، وهذا ما كنا  
نرعب فيه ، مولاي محمد أو بوحماره ، فهو من سيصبح سلطان عين » فأقلت الأبواب  
الشرقية . هكذا الهاربون من المحلة يحدون صعوبة في دخول المدينة ، فيطوفون بكل المدينة  
إلى أن تدخلوا وكان ليس قد بدأوا يستعدون . كما نوا أن حصرا سيصبر على المدينة .

لكن نحوفاتهم لم تكن في محلها، ذلك أن رجال بوحمارة المستعمرين و المستعربين من هذا الإنصار لم يكن يهمهم سوى البحث عن مكان آمن يقضي فيه هذا السلطان المريف حملات عيد الفطر الذي على الأبواب في عاصمته تازة. ويبحث في هذه المراسيم عن أي القائل يمكنه الإعتماد عليها. وهكذا رجعت محلة بوحمارة المنتصرة إلى تارة، في وقت كانت فيه فاس ترتعش خوفا من ظهوره فيها.

وأمام هذه المستجدات، والنظر إلى الأفواج المهزومة الراجعة كان السلطان، القنبلة القوية والهادئة، قد استدعى وزير الحرب ولامه لوما عنيها :

... ما مصدر هذه الفوضى والخسائر؟ هل يمكنك أن تعطيني تفسيراً لهذا؟

فقال المنبهي :

... سيدنا إن المسؤول عن ما حدث ليس بعيدا منا : إنه ابن سليمان وابن يعيش وشيخ تارة، وأنا وأنتم والمخزن. فلم يكن علينا إرسال رجال لا يتفاهمون فيما بينهم، وغير متمسكين جدا بالمخزن. ومادام أن بعضهم قد قال لكم بأن لا تعطوا القيادة لقائد واحد، فإبهم كانوا حائذين أن يرجع وحده هو المنتصر. والآن أطلب منكم أن يخرج كل وزير مسؤول عن محلته، وإذا رجعنا مهزومين أو فارين فليقطع حينها السلطان رأسا، ولأكر أنا لأوب

... لماذا لم تقل لي هذا الكلام قبل هذا الوقت؟

... كيف كنت سأفعل ذلك؟ فلم تكونوا تطلبون مني أي شيء، وكنتم تهمشونني.

... سأحضر كل الوزراء أمام السلطان قال المنبهي :

... ب. المحطتين والمسؤولين عن هذه الفوضى وعدم انضباط الأفواج السطونية هم الوزراء المحاصرون هنا، وقد كان هؤلاء الوزراء يشيعون أنني أنا المسؤول الوحيد عن كل هذا لأسي وزير الحرب. وهذا غير صحيح وأرفض أن أتحمل هذه المسؤولية لوحدي.

لكن سي فضول غرنيط قاطع المنبهي وقال :

... أه، أعتقد أن كلامك عنيف بعض الشيء ! فكيف تفسر أن لنا نصيبا في هذه القضية التي لا تخص سوى بنيقتك.

... هذا لمعل كلام صحيح فإن بنيقتي التي تتحدث عنها لا وجود لها. ثم إني وزير حرب دون نفوذ تعرقلونني في كل مرة أحاول فيها، وبالصدقة، نقل قرار ما إلى سيدنا باعتباري وزيرا للحرب. وقد قلتم منذ قليل بأنني أتحمل مسؤولية هذه الهريمة. وكأنني لا

أصلح وزيراً للحرب، رغم ما فعلت من أجل الجيش، فمدا تريدون؟ ثم إنكم أناس  
لاعلاقة لكم بالحروب والدروب، ثم إنني لا أهتم بمشاكلكم لإدارية ولا أحكامكم المختلفة؟  
فلا أريد أن أحشر أعني فيما لا يعنيني، ثم إنكم إذا تركتم كل واحد يقوم بمهامه المكلف بها  
فسكون ذلك أحسن، وحيث يمكن لوفوف عني مسؤولي الحقيقي.

فأجاب أنور لأور

... جيد. مادام الأمر كذلك، فليكن حوارك بخصوص مشاكل سيقتك مع السلطان  
مباشرة.

... فهذا ما أريد، لأنه لو تكلف كل واحد بوزرته لخصه فقط، فسيسود النظام  
والتسيير الجيد، فأنت من سليمان وزير الخارجية ستكون مسؤولاً عن وحداتي حيث  
ستصرف في تنظيمها كما يبدو لك. وأنت الخراج عمر ستكديف بقواد الرحي الذين  
سأعاقبهم لما أحدثوه من اضطرابات أصحى معهم النظام مستحيلاً، فمذ مدة لم أكن إلا  
وزير حرب ومرمر فقط، فأنت أنت مسؤولاً عني لوصفي في صفوف أفوحي، فم  
يعطيني السلطان أي أمر، وم يطلب مني أي مشورة من مدة. فلم أكن أعد من المخزن،  
فأعطوني الصوء لأحضر فقط، وسترون من هم أولاد المسهة ثم إنكم، وقبل ذلك  
تعرفون قدرتي. فلو كنت غده بوط بوعبد، لقئت الأكر، أو حافظت عني كل سلطتي  
على أفواجي التي اصعقتهم سوء تدبيركم، لن يتقدم ولن يتأخر أي أحد، وسيقاتل  
المحاربون من أجل السلطان حتى آخر قطرة من دمهم، لكن الذهاب إلى قيادة أناس،  
كنو، ويوشرة مني بحتشور ورء طهور بعضكم، ولقون لهم مدا فعل هذا السبي من  
حديث؟ قل لي سرعة مدا صدر منه اتجهك لأحر السلطان بشيء...

فقال ابن يعيش مستحيص.

... إن القصية في الأخير تنقى متشعة، لكن فن لم هو «العلاج» الذي تقترحه.

فقال المسهي، سأفعل ما يأمرني به لسلطان.

وقال السلطان :

... تريد أن تظم حملة من حديد، وستكون أنت المسهي فائدها، والتي ستأتي بهذا  
أحيي بوحمره. حب أو مس!

حرب هذه محدثات في شتاء (1902-1903)، وقد كان من شخصيات أعتقد أنك  
تعرفهما M. Desros، وسي قدور من عريبط حزيري المتحدث مع المحرن باسم لمدرين  
الفرسيين، ولدين ستعن منصب ملازم مدفعه Sennader في فس ليبير المزاي لكبرى

لمدفع 75 وعين ملازما من المشاة من البعثة الفرنسية وهو : سي عبد الرحمان بن سديرة، لتمرير المدفعية واستخدام المدفع الجديد المشتري.

فماذا أصبح بوحمارة؟ فبعد انتصار باوطابوعبان، رجع إلى تازة احتفل فيها بعيد العطر بطريقة سلطانية، واستغل هذه الإحتفالات عندما قدم إليه غيثة بكثرة، لاستكمال تنظيم محربه بطريقة جدية. واختار الرجال والأقوياء واصحاب النفوذ من القبيلة، ومرت علاقته مع غيثة بزواجه من فتاة من أهل الظاهر إحدى أقوى فخذات غيثة، وبعد انتهاء الإحتفالات، أعطى أوامره ببناء مستودع للقمح والشعير والبرسيم وحضيرة للبهائم بخميس الكور الموجود على بعد خمس ساعات مشيا من فاس، لأنه قرر الهجوم على فاس دون تأخر.

وكان المحرن قد قام، بعد علمه بالخبر، بتنظيم محلاته وإعطاء تجهيزاته ومؤنه والرفع من أجور احمود، حيث كان يتقاضى الجندي من المشاة روبية (1.25fr) يوميا والفراس نصف ريال (2 50 fr) حتى أنهكت الخزينة، فعسكرت المحلة أماما بالمطافئ بقيادة عمر اليوسي في حين كانت تستعد القوة العظمى بالمكان المعتاد على قنطرة سبو بقيادة سي المهدي المنهي القائد العام للعمليات، وبعد ذلك جاءت محلة الفراك لتعسكر على هضبة ظهر المهرار في الجهة الجنوبية لفاس.

واجتمعت يوما محلثا عمر اليوسي والمنهي، فاتجهتا نحو واد إناون : حيث علمنا من مخبرنا أن بوحمارة يتجه نحو ثلاثاء النخيلة، وأن عدد جنوده قليل وأقل حراسة وتأمين، وبمجرد العلم بالسأ، دبت حركة نشيطة في الصفوف. فوجد الحياينة وغيثة هذه المرة، يفقون ضدهم الد للند. في محلثنا : بنو مطير وزيان وبنو مكيلد وآيت يوسي وكلهم محاربون أقوياء. كما ظهرت أيضا معالم قوة يد العلاف المنهي، وبعد هجمة من المحلة صغيرة فر الحياينة وبنو وارين، فأصبح بوحمارة المحاط بغياثة أتباعه الأوفياء يحارب متراجعا فانهزم بالتالي في هذه المواجهة فقد خيامه ومؤنه، وأسلحته وبعض هيئته، خاصة أن أتباعه كانوا يعتبرونه رجلا لا يهزم ( 29يناير 1903). ففر مع أصدقائه البرانس واتسول ليصل إلى تازة التي يحتلها دائما، حيث نظم مخزنه. لأنه هنا في مكانه القوي، وشرع في جمع المؤنات، وتضميد الجراحات، والطلب من القبائل المجاورة التي أحس أنها متعسة من الخروب أن تأتي وتلتحق به، ولم يعد يصرح ويقول أنه هو مولاي امحمد ولد مولاي الحسن، لأنه قد عرف ان السلطان قد جاء بمولاي امحمد من مكناس إلى فاس، وأطهره في مسببت عذبة بدد بها جميع شكوك الفاسيين، وأصبح يقول الآن إنه يشن هذه الحرب لوجه الله. ومع ذلك بقي محتفظا بمخزنه ويعين ويخلع القواد ويحتفظ دائما بخاتم مولاي امحمد

ودخل لمسيى المنتصر لى فاس بعد أن صرد بعض الوقت الروكي<sup>٨</sup> ، في الجبال الوعرة. صاحب معه ٥٠ أو ٦٠ سيرا، بعضهم كان من عبائة، وأغلهم من لحاية، حيث كان يحرق رؤوسهم بعد أن « مسح » يهود على حدران باب محروق.

وقد احتفل بهذا الإنتصار الكبير طينة سعة أيام، كان خلالها بوحمارة يهيء نفسه، ويهدوء في ترة.

وعندم كثرت مصاريف المحر من حراء الحرب، قرر الإقتراض من فرنسا وأنجلترا وأسبانيا، خاصة أنه كان عليه عدة ترتيب المحلاب. خاصة أن الشخص المهم ( بوحمارة ) ينقص احتفل، ولاند من لقص عليه، للحد من هجوماته المتوالية<sup>٩</sup>.

فمد هريمته. وبعد أن شعبي من جرح بالغ في كته، رجع إلى معسكره. وإلى القبائل المحورة من أجل تزويده بالقدود والرحال. وقد كان اللوم في هذه الأثناء منصب على المسيي لكونه لم يقص على الروكي، وأن انتصاره نافض فخرج المنبهي مع آلاف من جنوده وفاس دائم في « فراحه »<sup>١٠</sup>، أم بوحمارة فيوجد لأن عند صهاجة بعين مديونة. وكان أهالي هذه المنطقة الحبلية قد واحهونا مواجهاة طفيفة خاصة بعض المستخرس والحراس والمتأخرين عن القافلة، ونجح المنهي في إجلاد أعدائه إلى أعالي الحسل. دون أن يقوم صدهم بحمنة حاسمة، خاصة أنه كان من خطير مطردتهم في هذه المضايق، وقرر وزير الحرب الرجوع إلى فاس لترميم صفوفه وتقديم تجهيزاته وأسلحته ومؤنه والإحتفال بعيد الأضحى ( ٧ مارس ١٩٠٣ ).

ورغم هذا كله. فإن المخز الذي ظل قنقا من سقوط مطلق الريف ووجدة شيئا في يد بوحمارة ورجله. قد قرر إرسال بعض لشرف لإصلاح الأوضاع، وجلب مزيد من التعقل والترزب في صفوف أهالي نكت المدصول. حيث توجه سيدي محمد الأمراي ومولاي عرفة إلى طنجة ( في نهاية سابر ١٩٠٣ )، ومن ثمة سوف يذهب أحدهما إلى ملبية والآخر إلى وحدة بحرا، وقد كان بوحمارة مستمرا في تأليب الناس ضد المخز والقول لهم بأنه يخصص حرب مقدسه ضد مولاي عبد لعريز المتهم بتسليم المغرب إلى الأحمير، حيث غادر ترة ترك بها خليفته وبعض الظميين، وأنحه نحو اسراس وكرباية وسي بواحي ثم ليصل ( في الأيام الأولى من أبريل ) روعة نحو عين ود كرت وبسطقة كلالعة نظم سيدي محمد الأمراي المعروف بـ ٥٠٠ حدي بقيادة القائد شير بن سح حملة مخزنية ضد بوحمارة، واجهها كلالعه لدي عترفوا بوحمارة. فحوصرت بقصة حذدة وأجبرت على لإحتماء بالإسكان في ملبية حيث توجهت حر إلى لعراش بعد فشل مهمتها الذريع. فشامت مكنة بوحمارة بشكل واضح حيث إن كل القائل الموجودة بين تطوان وملوية وكل الأراضي الموخودة على مشرف وراة وفاس إلى حدود الحسل قد اعترفت ببوحمارة.

وكم أعدت فئتل بي بوزكو وبني محبو الموالين لبوحماره الذي بنى في بلادهم مركزا/ قاعدة بعين سدي ملوك. على بني يزناسن الذين ظلوا أوفياء للمخزن. وقد كان يوجد بهذه المصق مولاي عرفة مع بعض المئات من الجنود، الذي اضطر بدوره للإحتماء بمنطقة يعود الفرسيسين (بمطقة لالة مرنية 13 ابريل). وبدأ بوحماره في تسيير الشؤون واصدار الأوامر إلى وحدة، التي يحيط بها أتباعه من أنكاد وامهاية وسذجة. وبني معسكره بقصبة سلوان مع مخزنه وحرمة. وبدأ في الإستعداد للهجوم على فاس.

وقع كل هذا، إذا لم تخني الذاكرة في ربيع هذه السنة، لأن اسم بوحماره كان على كل الألس (ماي 1903) وأصبح أكثر اعتزازا بنفسه أكثر من أي وقت مضى. ولا أدري هل كان الإنسان الدين ليسوا بعيدين منه قد ساندوه بطريقة علنية حيث كانوا يتجرون مع محلته بالرصاص والبنادق، التي كانت وفيرة بشكل واضح. فأصبح أتباع المخزن يحسون ببعض الحرج فنوجهوا بالدعاء إلى مولاي ادريس. وكان بعضهم الذين لا يدرون هل سيكون الروكي السلطان الأثمي : معجبين بصفاته الحربية، وكفاءته في تسيير الشؤون والعميات. فلا بد من القضاء نهائيا على هذا الشيطان، وهكذا عمل المخزن الغني بالأموال المقترضة من المسيحيين، والمتوفر على البنادق الكثيرة والمؤن القادمة من كل الجهات على تجهيز محلة كبرى تحت فاس. سيكون قائدها المنهبي : وقد أعطيته أوامر ألا يعود إلا بعد إخضاع القنل المتمردة إلى حدود تازة، وتدمير قوات الروكي والتيقن من مكان وجوده الحقيقي فسمعة وزير الحرب سيئة ولا يمكن استرجاعها إلا بعد ضربة قوية منه ضد الروكي.

### محلة المنهبي الكبرى

فكل شيء يعد الآن في فاس للقيام بحملة لاشك أنها ستكون طويلة جدا. حيث كوتب قواد سوس والحوز والغرب للمجيء لمساندة وتعزيز وحدات السلطان، خاصة أن هؤلاء القواد كانوا قد رجعوا مع جنودهم إلى بلدانهم بعد هزيمة أوطابوعبان. وكما ترى. فإنه، ومن أجل تقوية حملتي المنهبي، فقد استدعي أيضا براير آيت يوسي وزمور وزيان وبني مكيد وبني مطير. وقد وصلت هذه الأفواج من صنهاجة إلى فاس متعبة، فاحتفظ بهم السلطان استعدادا للحملة الكبرى التي يعد لها : وهكذا شرع في توزيع الأموال والسدود. بكر عندما أصيب هاؤلاء في المواجهات رجعوا أفواجا أفواجا إلى منازلهم، ليعيشوا على السرقة والنهب حيث كان زمور هم السابقون لذلك ويعدهم جاء بنومطير ولآخرين.

وهكذا، ترى أنه لو انطلق هؤلاء جميعا في الأول لأبرزوا فعلا قوة المخزن. بل إن قبائل أخرى قد سارعت إلى فاس، عندما قيل لها. بأنه ما عليها سوى الإلتحاق بفاس وطلب الذهب لمواحة الروكي. وأخذ بندقية ونقود مثل الجنود. وقد كانت هذه السنة

حفاف ويؤس. فقد كانوا يعدرون حقولهم القاحلة ليأتوا إلى فاس مرززين بصف مظاهر  
الطاعة والولاء، إيه من حديد رمور وبني مصير. من كان هناك أيضا بعض الموالين لبوحامرة  
من بني وارين وآيت شعروش وأحدية وأحد عباثة. واعتقد أن الكثير من هذه البندق قد  
ذهب إلى معسكر بوحامرة.

وقد كان للحرب سرور. من رؤية التحق موالين جدد، ففتح لهم در عيه وكان يورع  
عليهم لبقود ولسادق وارصص وانرود بومب.

وقد سنعن البصوص وسراق لقوف هذه لأوصع لإحداث مريد من الإضطرابات  
والخسائر في المدن، خاصة أن لمحور كان منشعلا بالحرج حارج المدن. فنهت أسواق  
مدن الربط وسلا ومكاس من حتى أسواق فاس. ثم إضطرت المحزن إلى وضع تجريدة  
عسكرية بسوق خميس وبات محروق إيهم الربور، أو المحزن أخديد من ينهو في المدينة  
استعدادا للمواجعة، ولكن حب عدم هؤلاء الرجال الذين لا يحبون إلا للبرود.

وفي كل هذه الأوقات، كنت محبة تنهيا وتسعد جيدا. حيث عسكر أولاد جمعة ما  
بين واد إدور بقيادة ولد محمد الشركي. في حين تجمعت الوحدات الأخرى بالمطافئ  
(نيت يوسي)، ثم لمحبة الكري فتكور دئم بمكائها لمعتد على قطرة سو. وه هي الآن  
مستعده تمام للإصلاق. فقد عززت بمدفع 75 مشتري من فرنسا الذي يشغله الملازم سي  
عبد الرحمن بن سديرة. وقد كان مع وزير الحرب كل خدمه ورجاله، ونسائه وخدمه،  
وطلب من قائد المشور إدريس بن عيش أن يتحقق به وأن يكون ملازمه.

وقد كان عدد أفراد لمحبة (Garner Maxim ou Hatchkiss) رجل؟ فكنا نلاحظ بالإضافة إلى وحدات السلطان،  
ووحدات رمور وخسوط وسوس ومتوكة وكنافة وكلاوة وهؤلاء الأخبرين كانوا تحت  
قيادة محارب مسمير سيد امسي المروري أح خرج لتهمي دس مراكش الحلي. الذي  
كان أيضا معه لكن في المرة شبيه بعده. وكانت قطع المدفعية 75، تحت إشراف قائد  
الرحى سونه وموحي. من مخضف لأحدم. وقد كان كل لسطميين يتحركون مع وزير  
الحرب، كما كان هناك أيضا طيور أخرى بدون قائدهم الأكبر ماك لاد، بن بقيادة قائد  
الرحى المسهي الذي كان فعلا مساعد نقيب أول في هذا المعسكر، والذي يتقر استعمال  
رشاشات Garner Maxim ou Hatchkiss. وشبع صدوره وقد كتب في هذه الفترة حليقة  
طبور خربة.

وقد كان الإصلاق حوالي 15 ماي (1913). وقد كانت أول مرحلة هي «لخربة»  
«لنكحة عني صفاف سو عند أولاد حارج حيث تقدم يومين ليتمكن المتأخرون من  
الإلتحاق به، ومن ثمة انصحب عبر شراكة إلى أحد وشيل ووصنا إلى صفاف واد ورغة  
ثم إلى دس النابي (قشتنة).



وبوصلنا إلى هذه المرحلة كان على المحلة أن تأخذ احتياطاتها، بوضع تحريدة أمامية  
ثقيدة بوشتى البغدادي، والتي هاجمها بنو مسكيلة الذين اختفوا بمجرد رؤيتهم لقوات  
الكبيرة الزاحفة.

وبعد هذه المناوشات وتوقف يومين، وصلت المحلة إلى دار البغيل قرب واد ودير،  
وقد كان أمامها بنو زروال. وعلى يسارها بنو مسكيلة، وعلى يمينها بنو ورياغل. وكان  
وزير الحرب قد كتب إلى كل قبائل هذه الجهة بوجوب الطاعة والخضوع لسلطان. ومن  
أجل تعزيز وتقوية هذه الرسائل الشريفة، كان يتحرك مع المحلة شرفاء واد لما لهم من تأثير  
كبير على حيرانهم جبالة، حيث كانت مواعظهم وخطبهم تسير بموازاة مع المحمة. وقد كان  
لمساعداتهم وتدخلاتهم هاته أثرا طيبا وقويا في نفس المخزن وقد كان من صمسمهم : سي  
محمد بوشقة الوزاني، وسيدي عبد القادر، وسيدي علال، وأخيرا مولاي الطيبي  
الزموري.

وأعزن بعد ذلك بنو مسكيلة المستغربين والخائفين من هذه الحشود الخضوع والطاعة  
بدار البغيل، لكننا لم نعرف شيئا بخصوص بني زروال الذين غادروا ( مشاتيهم )<sup>(12)</sup> مع  
سبيهم وأطفالهم وقطعانهم وكل ما أمكنهم حمله. ثم صدر أمر للأفواج الشريفة باقتحام  
أراضيهم وتدميرها ونهبها كلها طيلة نصف يوم. وقد تركت وحدة حراسة كفية بعين  
المكان. كما تم اقتياد كل من وجدناهم تمه ورائنا على مسافة 10 كيلومترات تقريبا. وبعد  
ذلك كتب المخزن إلى هذه القبائل بوجوب الطاعة، وأنه لا يطلب منهم سوى تحصيل  
الصرائب الواجبة عليهم. فجاء بنو زروال لإعطاء ضرائبهم، وأعتقد أنهم كانوا تحت تأثير  
واستجابة لطلب مقدم الزاوية الدرقاوية : سيدي عبد الرحمان الدرقاوي الذي يحترمونه  
كثيرا. مثل شرفاء وزان الذين يصاحبون المخزن ويرافقونه. فخرج «البراح» - تنعا للعادة -  
بعس بين الناس أن بني زروال لم يعودوا أعداء للمخزن، بل إنهم سيقاقلون مع الأفواج  
الشريفة رفقة وحدات القبائل الأخرى.

وبعد استراحة 15 إلى 20 يوم بدار البغيل، انطلقنا نحو قلعة اسلاس. عبر مسط واد  
ورعة حيث عسكرنا يومين أو ثلاثة، ولم تكن تواجهنا أي مشاكل، حيث كن السلاس  
يؤدون ما يطلب منهم. ونظمنا من تمه صوكة إلى جعاية، وهم قبيلة صغيرة من جبالة  
بدوار سي زروال ثم أتينا إلى ضفة بالظاهر على ورعة بقبائل الحياينة حيث أقمصا بعض  
الوقت

ثم طبقت المحلة بعد ذلك نحو عين مديونة ( صنهاجة )، وفي الطريق استسلمت  
قبائل صغرى من جبالة متبوعة. ومزياط، وغياوة جيران صنهاجة. لكن كانت المحمة قد  
واجهت مقدومة خفيفة عندما أرادت أن تعسكر فوق حقول القمح على القرب من مديونة.  
ورغم ذلك عسكر المنهجي. ونظم صوكة بسرعة نحو عين مديونة، لكن الأفواج السلطانية

عادت متاثرة مهرومة نحو المعسكر فتقرر إذن، وكل متعدد، ستعمل ورقة الشرفاء والسياسة المفوصات مدام السلاح قد عجز عن الحسم في الأمر، فطالت المفاوضات والتدخلات والنصائح والمواعظ لكن أهالي مديونة الذين يحسون أنهم محميون ومؤازرون بالجلال لم يتدلوا، عن موقفهم. ولم ينح عيهم الحزن بلهلي، كثير فتركهم.

وكدت الأمطار التي تنزل باستمرار، قد عاقت إحرء العميد بصفة واضحة، ثم كن ابرد قدس أيضا في المعابر والمضيق، وأصبح الدس يعانون أكثر. فكثرت الإسحبات من الصفوف رغم سيطرة العلاف القوية. فمئذ انصلافا، نحو الشرق وتارة، كن برابر هذه المنطقة غيثة ونبي وارين الذين يحاربون معنا يختفون من المحلة، ليرجعوا إلى أهاليهم، وليتحققوا برفاقهم في صفوف الروكي أو حليفته حصة أنه يقال أن هذا الأخير هومن يحكم تزة. وهو بوحمرة الآن يحاصر الشرفاء، بعد أن يكون قد زوده هؤلاء المحاربون بمعلومات عن قواته ووفاء وحداته. والحاصل أن معنويات أفراد المحلة لم تكن عالية

وفي ظل هذه الأوضاع عرجنا نحو الجنوب الشرقي حيث عسكرت المحلة على صفة واد الدس الذي يفصل بين صنهاجة واتسول. ولم نقفأ نصر حتى اندلعت مواجهة بيننا وبين أهالي هذه الجهة الذين كانوا ينتظروننا، والذين طلبوا تعزيزات من جيرانهم البرانس فانضم إليهم الحبيبة الذين كانوا معنا، لأنهم متعربين أكثر. وقد كنت لمواجهة عنيفة تركت فيها عدة حنائر، ورجعت هذه الصوكة مهزومة إلى المعسكر. بل إن الرصاص بات النيل كنه يدوي في المعسكر الشيء الذي استحال معه البقاء في هذه المنطقة.

فأطلقنا من واد الدس نحو واد امديل، في مكان يسمى الحجرة الكحة، حيث مكثنا يومين، ثم ذهبنا بعد ذلك نحو واد الهدار في منسط يسمى الكدة الحمراء (نهاية يونيو 1903). وفي هذا المكان، وطيلة النهار، كن لغرب يستقبل أهالي مكناسة التحتنية ومكناسة العوقنية، وغيثة الذين جؤو بدعوى الخصوع والاستسلام للاستطلاع على أحوال الوحدات والطرق التي نسلكتها، والمدافع والمؤن، ووفاء والتزام أهالي القبائل وفي المساء كن نرى البيران مشتعلة في الجبل تمكن من رؤية، وشكل واضح، «حيل» رجال يتحركون في تلك الكهوف المضئية كأنهم نهارا. لكن الحزن لم يخضع من رؤية تلك البيران الدلة على قوة وشراسة أهالي احبال، والمشجعة لمن يود الإلتحاق بهم من المترددين.

وتبعنا المحلة طريقها نحو مكناسة التحتنية عبر واد لهدار، وعسكرت في مقعر شاسع به بعض الإرتفاعات، حيث انبسطت المحلة بطريقة استثنائية، فكانت طلقت البندق تصل من أعداء غير طهريين، محدثة بذلك الفتنة والفوضى والإضطرابات بين الصفوف فكانت المحلة تتحرك بشكل بطيء وبعد غروب الشمس نبت الخيم بالقرب من مكناسة لتحتنية، تحت إطلاق البيران الذي لم يتوقف، لكك كن تحمل تلك طلقات مدام أنهم يطلقونها من بعيد، وفي حدود الساعة العاشرة ليلا سمعنا ثلاث طلقات مدفعية متتالية من

تارة، سقطت ثالثتها على أطراف المحلة في المرتفعات المجاورة. وكان هذا مؤشرا على هجوم مرتقب، لقد كنا محاصرين بالنيران، ولم نكن نرد إلا بصعوبة دون أن نسدد طلقاتنا جيدا، ودام هذا المشهد الليل كله، ولم يكن أعداؤنا هنا بنو علي وأولاد الشريف المعسكرين فوق أراضيهم فقط بل كان هناك أيضا مكناسة، والطايغة، وبنو ورياغل ومغراوة القادمين من ضفاف واد مسون، وغياثة بني وجان، وبنو بوكيطون القادمين من تازة التي لا تبعد عن مكناسة إلا بنصف يوم مشيا.

وقد كنت خسائرنا في هذه المواجهة فادحة : حيث كان الرصاص ينزل علينا من كل صوب واجتبح المعسكر، واقتلعت الخيام، وقتل وجرح الرجال والبهاائم. وقد أحصينا في الصباح 70 قتيلًا وأكثر من 100 جريح، من ضمنهم امة سوداء للمنيهي قطع ساقها.

ومن المؤكد أنه لو كان رجال المحلة، على مشارف فاس لكان عدد انسحابات أكثر في الليل لكنهم الآن في منطقة مجهولة، محاطين بنيران الأعداء من كل الجهات، وكانوا متيقنين أن كل المنافذ المؤدية إلى خارج المعسكر محروسة جدا، فما عليهم إذن سوى البقاء.

ورغم ذلك فقد أظهر المنبيهي، والقائد عمر اليوسي شجاعة وسلوكا وهدوءا وريانة نادرة، فقد أطفأوا كل أضواء الخيام وأخرجوا الرجال من داخل المعسكر حيث هم معرضين أكثر للطلقات المنعثة من الأعالي، ووزعهم على التخوم من أجل التمكن من الأعداء إذا ما نزلوا من أعاليهم نحو المعسكر. بل إن القائد عمر اليوسي الذي كان محاربا جيدا لم يتردد في أن يخرج مع تحريده من بعض الفرسان النظاميين الأقوياء ليأتي ببعض الأسرى يجبرهم رحله مقيدين بحبال قوية مع تكميم أفواههم. وقد كان وزير الحرب، صاحب التجربة الكبيرة في الحروب يشك في وفاء الحياينة الطرقي، والذين لازالوا بالمحلة، لأن من عدتهم نهب وقتل وسرقة أصدقائهم، قد كلف الكلاوي والكندافي بحراسة هؤلاء وقتلهم بمجرد عزم أحدهم على سرقة أو نهب إحدى الخيام المهجورة، أو سرقة فرس. مما كان له أثر واضح في حفظ النظام داخل المعسكر. وقد صعد قائد آخر : أحمد الحرابي، إلى أعالي هذا المنبسط وشرع في الرمي برشاشة في اتجاه نيران ورصاص البرانس.

وأخيرا انقضت هذه الليلة المرعبة، ولم يكد النهار يطلع ويضيء القمم والمضايق حتى خفت حدة التراشق بالرصاص، إلى أن توقف نهائيا، وعندما استوى النهار كله لم يبق أي أحد حوذا، حيث تراجع كل أهالي الجبال، فمنهم من ذهب إلى قبائلهم ومنهم من ذهب إلى تازة.

وفي اليوم الموالي وأعتقد أنه كان يوم 5 يوليوز (السديرة) انطلقنا للإقامة في مكناسة التحتانية، ثم اتجهنا بعد ذلك نحو تازة في خط واحد مستقيم عبر الطريق المارة بالحجر

القط. وعبرنا الواد أمام تارة تحت واهب من الرصاص يقذف علينا من المدينة والأسوار والزياتين الموجودة في المنحدرات أمام الأسوار حيث كان غيابة الذين أخذوا بيدهم زمام حكم تارة باسم بوحمدرة قد أجبروا السكان على موالاتهم ومحاربتنا. وكان لزاما علينا تقديم المدفعية إلى الأمم لتأخذ مكانها أمام الواد وتشرع في القصف، تارة على اليمين نحو قرى النصراني، وتارة على الشمال نحو الروف حيث تظهر تحصينات الأعداء. وقد أعطى هذا القصف نتائج سريعة. حيث بدأت يبرن المدينة تضعف، ثم لتتوقف نهائيا وعلما أن غيابة قد فروا إلى الجبل تاركين السكان وحدهم. وأصبح ممكنا أن نتوقف تحت الزياتين حيث يوجد الآن معسكر جيراندو. فقال المنبهي :

... لقد طردنا الأعداء فنحن إذن المنتصرون، لكن لنؤكد للجميع هذا الانتصار فيجب أن ندخل المدينة. وبالفعل دخلت المدينة عبر باب جمعة بدون مقاومة. فانتشر أفراد المحلة على أطراف المدينة وقد كن هناك بطبيعة الحال بعض اللصوص وقطاع الطرق الذين يناوشوننا بمنة ويسرة، لكن بعض الصلقات القلبية كنت كافية لإجلائهم. أما أهالي تارة فقد جاؤوا مرتعشين حائضين من هؤلاء الوافدين الجدد، معتدلين رؤية وزير الحرب لإستعظافه : فقد كبوا مدفوعين كثيرا من قبل عيثة، الذين كانوا سيقتلونهم لورفطوا أن يحاربوا معهم المخزن، فيجب قبول عذرهم، لأنهم أجبروا تحت الضغط والتعنيف ليسمحوا لهؤلاء المتمردين والفوضويين باحتلال مدينتهم. لكن قلوبهم ظلت دائما مع السلطان الحقيقي بناس لذي يبعوه بكل طوعية.

لكن الأفواج الشريفة المزهوة بهذا الانتصار كانت تبالغ في نهب أحياء المدينة. حيث تسرعوا إلى الملاح، وهجمو على الدكاكين، وأخذوا الأموال، وأتلفوا السلع. إنها فعلا وحوش كسرة أطلقت من قيودها، تعصب السوء والفتيات اليهوديات بعد مطاردتهن، ويضرمون السيران، ويدمرون النيات، ويعنفون الشيوخ الذين يحاولون حماية أنفسهم أو ممتلكاتهم، وكن نراهم يقتدون فتيات لبيعهن في سوق النخاسة. وعندما علم المنبهي بهذه الأوضاع بعث جنودا نظاميين لإرجاع النظام، ورد النساء والفتيات إلى منازلهن. وسهر شخصيا على إرجوع الأوضاع إلى ماكانت عليه. لكن هذه الإجراء كان متأحرا جدا. فقد دمر الملاح تمام. وكن يرى أفواجا من اليهود المدمرين متجهة نحو مليلية أو دندو.

فتوقف بعد أن كانت مشاهد النهب والصراخ والكناء والإنفجارات قد هدأت شيئا فشيئا ( 7 يوليو 1903 ).

وبعد ذلك جاء أهالي تارة مجتمعين مسيعين البيعة الرسمية للشريف سيدي محمد الوزاني (باسم السلطان بطبيعة الحال) حيث تعرفوا على قوة المحلة وسلطة مولاي عبد العزيز وبعث إلى غيابة بعد ذلك ما يلي :

«لقد هزمكم جنود المخزن ليس فقط في مكناسة، عندما جئتم مدعمين بالبراس، في كهوفكم وراء صخوركم، بل أيضا حتى في تازة التي تحكمون فيها النساء اللواتي تركتموهن عندما جاء لرجال. فاتفقوا قوة وغضب مولاي عبد العزيز ونيران المدافع التي تقتل من بعيد فسارعوا إلى البيعة، وسيغفر لكم، خاصة أنكم لستم سوى أطفال مشردين طئشين». فجاءوا بالفعل. لكن عندما كانت تأتي فخذاتهم المتتالية بشيران «التركية» كن هؤلاء المثيجين قد وجدوا الفرصة مواتية لشراء البنادق من جنود المخزن. وإطلاق النيران مزاحا، على مراكز الحراسة في أبواب المدينة، وأعتقد أن ذلك إجراء منهم لاختبار وتجريب مشربيتهم. ولما تكرر هذا الأمر وأصبح مقلقا، فإنه كان من اللازم وضع مدفعية 75 بيب الجمعة، وقصف الأفواج المغادرة التي تعرف مفعول شنايدر Schneider وبالتالي تم إيقاف هذا لقصف.

وكتب المنبهي إلى السلطان، يخبره بالإستيلاء على تازة. وأن الأفواج المخزنية معسكرة الآن بالمدينة. وأضاف بأن بوحمارة قد فر إلى حدود سلوان.<sup>(13)</sup>

وعندما وصلت الرسالة إلى السلطان، قال الوزراء حساد ومعارضو المنبهي :  
— هذا ليس صحيحا ! غير ممكن ! فلو أن تازة بالفعل تحت قبضة المنبهي، لم لم يأت ليأخذك إلى هناك؟ وسنذهب نحن جميعا.

لكن بعد مضي وقت قصير، جاء قائد المشور شخصا، برسالة من وزير الحرب. فتأكد أن المنبهي قد انتصر فعلا، مادام أن قائد المشور جاء في طلب السلطان ليدخل تازة دخولا رسميا فأعطيت التعليمات اللازمة بهذا الخصوص. حيث عسكرت آخر الوحدات المخزنية ومحنة السلطان والفراك مع مولاي عبد العزيز بالمطافئ على واد سبو. وطلب من المنتصر في تازة أن يأتي لصحبة السلطان إلى المدينة.

وعجرو تلقى المنبهي هذا الأمر، سارع إلى أخذ جميع التدابير، وغادر تازة توارفقة القائدين سي المدني الكلاوي وسي الطيب الكندافي و100 فارس : حيث قطع الطريق خلال يومين مرا ويكل سرعة من بلد عدو، وقد كنت من ضمن الحرس (سلم العبدى)، ومن الواضح أنه ماكان لهذا الفوج أن يمر من هذه البلاد لو كانت تعلم هذه القسئل بذلك. وقد استنتجنا أن الطرق التي خلفنا مقطوعة الآن.

ولما وصنا إلى السلطان، نودي على المنبهي الذي هنأ السلطان على استرحاعه المدينة. متأسفا على عدم وجود بوحمارة بها، ثم قام : بجمع ودفع الامدادات نحو وجدة ( فقد كن موحودا بها منذ 26 يونيو)، وبعث المخزن إلى هذه الجهة ب 1500 جندي من طنجة، بقيادة الحاجب سي احمد الركينة، الذي كان عليه الوصول إلى وجدة عبر أراضي وهران للدفع عن المدينة. ولعل هذا ما يفسر غياب الحاجب الملكي عن السلطان (كان انطلاق هذه الأعداد من طنجة يوم 8 يوليوز ) وأخيرا، فلما رغبة في الإنتقام أو بإيعاز من

الروكي، فقد حاصر عيثة ترة، وأصبحت الأوصاع في هذه المدينة المفتوحة غير قارة من جديد.

وقد علم أن شرفاء ترة الدين يبدوون معزولين ومحصرين قد بدأ اليأس يتسرب إلى نفوسهم، ونسبة الإنسحابات قد كثرت في صفوفهم، لأنهم لم يتوصلوا بأجورهم. ثم جعل العلاف، وعواقفة من السبطان يبعث إليهم بقعدة من المؤن بقيادة سي المدي الكلاوي تحت حراسة 400 فارس وراجل. فنطلقت مبكرا من بوعبان نحو تارة، حيث أخذت كل التدابير والإجراءات بسرية تامة. لكن جميع الطرق المؤدية إلى المعسكر كانت محروسة، ولم يكن من الممكن الوصول دون مشاكل. فنطلقت هذه القافلة ليلا حيث وصلت عبر باب أبوغ (Col des Zouaves حالي) إلى الحجرة الكحلة (واد امليل) مع وحدات التقوية الراجعة إلى أوطوبوعان. وعند طلوع النهر غادرا الحجرة الكحلة إلى تارة. وكانت تلاحق البيران على طول واد الهدار، لكن لم تكن تؤثر على السير العادي للقافلة وكما ترك الحر حى الدين لا يستطيعون مواصلة الصريق، لأنه كان لابد من الوصول قبل هبوط الليل. وقد سرقت بغلتان أو ثلاثة في الطريق محملة بالنقود، وقد جرح القائد سي المدي في هذا الرحلة ثلاث مرات.

ورغم هذه الظروف، وفي الوقت الذي دخلت فيه الأفواج لحراسة المعسكر، نظم المنهي، وكان على صواب في ذلك، صوكة في اتجاه قصبة أولاد حامد لشعل اتسول عن مهاجمة القافلة. ورغم كل هذه المشاكل والمصاعب فقد وصلت ترة قبل «لظلام». وقد خفف هذا الوصول انياح كبيرا في نفوس المحصرين. ولم يعودوا يجهدون أن الطرق مقطوعة خاصة أن السبطان لم يأت إليهم، وأن هؤلاء الرجال واحموا مشاكل كثيرة في الوصول إليهم

لكن رغم هذا كله، لم تكن عمية وطوبوعان مشجعة. لأنه كانت الأفواج السلطانية تقود بنفس السرعة التي انطلقت بها مطردة من قبل اتسول والرانس، ولم يكن يبدو في الأفق أي أمل في خصوعهم رغم تدخلات الشرفاء. كما يبدو من المستحيل إجلاء حامية ترة وكن السبطان قد حل هذه الوضعية الصعبة والرتيبة. فشرع الوزراء من جديد في انتقاد المنهي، ويقولون للسبطان :

إنه، وبفض دهنك، وليس بندقه ستطاع المنهي دخول ترة ومن حسن حظه أنه غير موحود بها الآن.

فأجبر المعني بالأمر، لدي قال يوما لوزراء أمم السبطان :

لقد علمت أنني ألام وأعانت كثيرا من حديد : ويقال بأنني دحمت تارة دون حرب أو مقاومة. وأعتقد أنه من السهل أن نقف على القدرات العسكرية لكل واحد من. فم على السبطان إلا أن يبعث بكل وزير على رأس صوكة م.

وهذا ماتم بالفعل. وقد كان يلاحظ أنه في الأيام التي كان فيها المنهبي يقود جنوده كانت صوكتة ترجع بكل حرية وفي الوقت المحدد. لكن حينما كان يتطلق الوزراء أو قائد لمشور في صوكة ما، فإنهم يرجعون دائما إلى خيامهم مهزومين متعيين.

وتولت الأيام دون تغيير الوضعية، وبعد مرور أيام عن وصول قافلة المدني كن نرى قدوم مختلف قواد القبائل المحاصرين في تازة إلى اوطابوعيان، فقد استدعاهم السلطان، ولا أعلم لماذا؟ عقم النظام، أخبر السلطان بكل مشاكل وسلبات ترك الوحدات دون قائد حتى ن أخبرا حملها رقاص تقول بأن الإضطرابات والفوضى قد عمت في الصفوف، لكن القواد تجاهلوا النبا وغادروا تازة. وفي طريقهم هاجمهم الأعداء التقليديون : البرانس واتسول وغيثة، الذين ظنوا بعد مرور المدني أن تسبقا ما تم من المحلتين وعملوا على حراسة كل المنافذ الطرقية، فتسببوا بذلك في عدة قتلى وجرحى وأسرى في صفوفنا، حيث قطع في هذه المواجهة رأس قائد الشاوية : برشيد وحمل وسط احتفالات التبريدة إلى منطلق اتسول. ورغم ذلك فقد كانوا مسرورين بهذا الهرب من مصيدة تازة، والرجوع إلى بدابهم ورؤية عائلاتهم وإشباع بطونهم، وممارسة مهامهم المكلفين بها، وألا يمكن القول بها قبئل الحوز التي قد حاربت التمرد؟ خاصة أنه كان هناك كل القواد : سي عيسى بن عمر. وبرشيد الذي قتل كما قلت من قبل قليل وين خدة من لالة إيطو، والككاري من بني حسن.

وعلى العموم فإنه لم يبق في تازة المحاصرة سوى سي المدني الكلاوي وأمييه وكتابه سي أحمد الجاي الذي كان وزير الأحباس في عهد مولاي يوسف<sup>(14)</sup>. وعمر اليوسي، وقاد الرحي والأفواج النظامية، حيث ذهب مختلف قواد القبائل ووحدات السوايب إلى وطبوعدن، واستقبلوا استقبالا باردا بعد وصولهم في حالة سيئة، حجتهم في ذلك أنهم كانوا مدفعين في نظام، وأضافوا بأنهم مسرورون بمرورهم ومجيئهم، خاصة أنه. وقبل قليل (22 غشت) كانت حركة قوية من الفرسان قد حاولت العبور إلى محلة السلطان عبر واد الهدار لكنها لم تتمكن من ذلك.

وقد كد اتسول يحاصرون المحلة دائما، وكنا لا نعرف الكيفية التي تستطيع بها حامية تازة التحرر والتحرك وحدها، بعد أن فقدت نصف عدد أفرادها. ثم إن الشتاء كان على الأبواب، حتى إن حاشية مولاي عبد العزيز كانت ترى أن الأوضاع بوطابوعيان أخطر مما كانت عليه بشرة خاصة ان الرحلة دامت ثلاثة اشهر (دون طائلة) أليس الرجوع إلى فاس أفضل؟ ثم العودة إلى هنا في ظروف أكثر ملاءمة وأحسن. وكتب السلطان إلى محلة تازة أن تتحقق بوجدة لسحق الروكي، أما هو فيسيذهب إلى فاس نظرا لسوء أحوال الطقس فرجعنا دون أدنى تقطعات باستثناء مناقشات من قطاع الذين تبعونا حتى واد سبو (30 أكتوبر 1903).

هكذا انتهت محبة المنهبي الكبرى. التي لم تقدم للمحزن شيئا سوى استرحاع تزة. أما لجنود الذين بقوا بها فأصبحوا أسرى للمقتل المحورة ومن الواضح أنه منذ انطلاقنا من لوط كانت كل الإجراءات قد اتخذت في ذلك الاتجاه. وقد كنت كل هذه الحساثر تنسب إلى المنهبي الذي بدأت مكنته قرب السلطان تنقص بشكل واضح. ولم يعد الوزراء يتخرجون من أن يقولوا لمولاي عبد العزيز، الدين يروا قواته قد انهكت وأمواله قد تبددت « إن المسؤول عن هذه القوضى هو المنهبي. فلا تعطه أموال المخزن ليبددها ويضيعها من جديد». لكن الوزير لازال محتفظ ببعض الأصدقاء الذين يحمونه ويخبرونه لكل المستجدات. وفهم أنه إذا وصل إلى فاس. لابد أن يركب أخطارا كثيرة للإفلات من السجن. وتشتيت أسرته ومصادرة أملاكه، فطلب من السلطان الإذن له بالذهاب إلى الحج مرة أخرى.

وقد كد لقرؤه مع السلطان سهلا. حيث دخل إليه وجها لوجه وبعد أن قبل المصحف ووضعه بين يدي السلطان وقال له :

— اسمح لي سيد أن أقول لكم شيئين . الأول . هو أنني لست حدثا ومسيئا . . .  
وأنتي تمانيت دائما في خدمة المحزن وسيدنا. والثاني وهو ما أطلبه منك الآن وهو أن تسمح لي بالذهاب إلى الحج، وزيارة قبر الرسول ( صلى الله عليه وسلم).

فأجاب مولاي عبد العزيز

— نعم، جيد، إن فرقك ليؤسسي؟ لكن هل ستتحلى عني؟

فأجاب الآخر :

— لا فعندما أرجع سأعود إلى مصصي ومهمي إذا أردتم، لكنني أظن أنه من الأفضل أن أذهب الآن. فلا شك أن سيدي يدرك الآن الفرق بيني وبين الآخرين.

فأخذ السلطان طلب المنهبي وعرضه على الوزراء الذين قبلوه خاصة أنهم كانوا لا يبحثون إلا عن إجلاله.

فقال السلطان :

— يمكنك الذهاب إلى الحج، لكن من تقترح عني أن يكون بذلك؟

— فإذن، رغبتهم، فيكون حبيقتي هو سي محمد بن كور.

— جيد، فقد قبلت.

فسأ المنهبي استعداداته للسفر، ولما كان ذكيا، فبه ألبم 50 إلى 60 فرس كانت عنده في إصطبه، واقتده مع بعض الحملا والغال إلى القصر لترجع إلى السلطان، فلما سأل مولاي عبد العزيز عن هذه الهدايا، قال بأنه يفضل أن يتركها لسيدنا من أن يتركها عنده في منزله في متناول الآخرين، فودع السلطان من حديد، وأعطاه مبلغ هدم من النقود.



وسم يهتم في سفره هذا، بأخذ إذن بالعطلة من اعدائه الوزراء الذين كانوا يقولون له  
متطاهرين بالحنان والشفقة :

— متى ستذهب إذن؟ . . . أبهذه السرعة إن هذا الفراق يؤلمنا فالخزن كله سيفتقدك أو  
لسنا كنا إخوة؟

— نعم فأنا اشكركم على مشاعركم، وسأذهب غدا إلى طنجة عبر باب السكمة.  
— آه ! وهل سترجع إلى فاس؟

— أجل، بالتأكيد، فسأتي لزيارتكم أنتم والآخرين، ثم أنه لازالت عندي بعض  
المشغل هنا.

وبعد مر سيم الوداع هذه تجمع الوزراء فيما بينهم وهناك أنفسهم على رحيله.

— تسمى من الله لو أنه نهب قبل وصوله إلى طنجة. فالطريق طويلة.

— فقال ادريس بن يعيش الذي يدرك جيدا خطتهم ومشروعهم :

— لا تفعلوا هذا، فهو لم يسيء إليكم، ثم إن السلطان لازال يحبه.

فقال أحدهم :

— لأظن ذلك. فهو لم يفعل شيئا لكي يحتفظ به فهو غاضب منه لأنه لم يستطع  
الدخول إلى تازة.

— لكن لا يجب أن ننسى أفضاله علينا، فبفضله وصلنا كلنا إلى المخزن وإلى المناصب  
التي نشغلها حاليا، فاحذروا من رجوع الأوضاع إلى نصابها ومن تقلبات الدهر وانتقم  
القدر.

— هذا مؤكدا ! لكن لا سي فضول غرنيط ولا بن سليمان ولا بن يعيش يحبرونه.  
فالكل هنا في المخزن والمدينة ضده. إنه رجل أصبح ضعيفا، ولن نراه أبدا.

— ويمكن أن نقبض عليه قبل أن يهرب. إنها ليست عملية كبيرة؟

فقال قائد المشور :

— إذا أردتم، فسأتكلف أنا بهذه السخرة !

— نعم. لكن كيف ستفعل؟

— الأمر بسيط، سأستدعيه لوجبة الغداء وسأقبض عليه حين الوداع.

— إذن، فأظهر لنا أنك في مستوى مسؤوليتك؟ ( حنة يدرك).

وحاولوا أخذ معلومات حول سفره من عبد الكريم ولد با محمد الشرقي، باشا  
شراكة. لأن أخته هي زوج المنهي. لكن عبد الكريم نفى أن يعرف شيئا بهذا الخصوص.

— لا تريد أن نقول شيئا لأنه صهرك.

فقل الآخر :

— كلا أفتست بي وبه أنه علاقة ثم إني لست أنا من روج أحتي لمنهبي، بل المخترع. لأنها كانت بفصر مولاي الحسن وكان يريد لها مولاي عبد العزيز. لكن عبد الكريم، في لواقع، كان يحب صهره كثيرا، ولم يتردد في إخباره بمكيدة التي تدرضه، وكما كان متفقا عليه، فقد جاء في المساء استدعاء من قائد المشور للمنهبي لوجبة غداء في اليوم، فكتب إليه لحوب التالي « نعم لقد قبلت، وأنا سعيد بأن أحضى بشرف ضيافتكم ».

لكن بادر، وبسرعة إلى إعطاء تعليماته بجمع الأمتعة، وتهيئ كل شيء ليلا. وعند الفجر عندما فتحت بوتي باب محروق، كنت قدوة بالقرب منه تنتظر الخروج، فانطلقت إنها دار المسهي. حيث أتجهت شمالا نحو الشراردة. وفي نزاله بني عمر أتجهت نحو طنجة عبر ممر سكوطية. ثم ارتح المسهي معص الوف بطنجة عبد الوزير البريطاني حيث يحس في أمن أكثر. ثم ذهب بعد ذلك إلى الحج عمر جبر طارق، ومرسيليا والإسكندرية والبحر الأحمر. وقد رافقته في سفره إلى القاع المقدسة الذي دام أربعة أو خمسة أشهر. وقبل مغادرته طنجة كان قد كلف صديقه بنيس بالشروع في بناء منزل له على بقعة كان قد اشتراها. لأنه لا يفكر في العودة إلى لقصر<sup>(15)</sup> وفي فس، كان قد نب عنه بعض الوقت خليفته بن كور. لكن السطرد قد عين محبه سي محمد الكباص الذي جاء من الجزائر بعد أن كان عملا لسلطان بها، تنفيذا للإتفاقات بين فرنسا والمغرب.<sup>(16)</sup>

ماذا أصبح بوحمارة؟ مطارد، متابع إنها أيام قد زالت وانمحت

لقد تركت المحبة نارة تحت قيادة سي امسي لكلاوي حيث إن كل القبائل المجاورة قد هاجمت تارة وحصرتها من جديد. ذلك أن غياثة ومكناسة واتسول والبرانس، يحتلون دائما منافذ العبور إلى المدينة حتى إن لأفواج المخزنية كنت مضطرة إلى أن تقصف النيران من فوق الأسور، ثم إن الحياة بها أصبحت أكثر صعوبة. خاصة أن المؤن والإمدادات لم تعد تدخل إلى المدينة

فصلا عن هذا، فإن بوحمارة - الموجود بناحية وجدة، كنت تقدم إليه وإلى رجاله المؤن والأطعمة من فس قائل المطفة: «أكد» بني بويحي، امهاية، بني بوركو، مسارة بني خالد ويتطلع لأحد محبة سي أحمد الركينة الذي استرحع وجدة (11 غشت) بعد أن وصيه بحر بواسطة لفرطة الشريفة سيد اشركي - وقد علم أن السطرد قد غادر أوطوبوعر، وأن أتباعه يحاصرون أفواج ترة المقتوعين في فس، فبعث ببعض الرجال، وكتب إلى غياثة :

— فلتهشوا ولترتاحوا، فستمتعون، وتنعمون بالراحة بعد أيام كيف شئتم<sup>(17)</sup>. وقد دام حصار تارة إلى حدود نونبر، وكان عدد الفارين من الجنود يتزايد، والمدني الكلاوي لا يعمل سوى على تضييد جروحه المتوالية، وكان يعاني كثيرا من أجل حفظ النظام، وكان يخشى أن يتجه بوحماره شرقا نحو تازة، بعد أن تكون قد طاردته وزاحمته محلة الركينة وحتى يضمن سلامة الحامية فإنه عمل على تقوية الحراسة في جهة وجدة (أي الباب الذي ينطلق منه نحو وجدة)، فأرسل إلى عين المكان عدة طوابير نظامية : حيث كان هناك أربعة طوابير من الرحامنة وواحد من الشراة وواحد من زمران. وقد استطاعت هذه القوة أو الدرع الأمامي المتحرك دفعة واحدة، أن تمر دون مشاكل كبرى لتصل إلى قصبة مسون نهارا، ولتحتلها دون مقاومة.

وبعد هذا كله، كان حصار تازة يزداد اتساعا وقد لوحظ ذلك أنه عندما حاولوا في إحدى الليالي استرجاع القطيع كانت الوضعية أكثر صعوبة مما كنا نظن. حيث كان الأعداء يتحركون بسرعة كبيرة ويقتلون الجرحى المتبقين في الخلف. وحدهم الرجال الذين كانوا يحسنون الركوب هم من استطاع العودة إلى الساحة / القاعدة، بنفس السرعة التي انطلقوا بها. وها هو بوحماره المخبر بكل المستجدات قد جمع كل وحداته، وقرر الذهاب إلى تازة من أجل مد يد العون إلى كل القبائل التي تحاصرها.

وعندما وصل إلى قصبة مسون اصطدم بوحداث المدني الأمامية، ودام تبادل النار اليوم كله. واستغل هبوط الظلام ليرسل «رقاصة» / رسل إلى تازة للإخبار بالوضعية أو الحالة الجديدة وطلب التقوية، فأرسل سي المدني على التو الجنود اللازمين بقيادة عمر اليوسي، حيث كان هناك : النظاميون من طابور الحراة، وبعض رجال القبائل معززين بمدفع 75 (سديرة). ويوصل هذه الإمدادات عم الأمان ورجع أتباع بوحماره إلى وجدة. وعلمنا أن الروكي مصاب إصابة بالغة، وأنه مختيء في جبال أولاد زمور شمال مسون وقد كان حراس القصبة يعيشون من إمدادات السكان رغم أنهم غير مرغوب فيهم، لكنهم بقوا تمة وقرر المدني مدهم بالمؤن وإبقاءهم في نفس المكان. ورجع عمر اليوسي مع مجموعة إلى تازة. وبعد شهر اتجهت المحلة كلها نحو وجدة، حيث اتضح أن الروكي موجود بضواحي هذه المدينة.

لقد كان الخروج من تازة سهلا، لكن منذ الإنطلاق من تازة كان السكان وغيثة ينتقمون من « أولاد كرونيل » الذين لم يستطيعوا اللحاق بالمحلة، وقد كان جنود المخزن يسمون هكذا تذكيرا بتأثير الكرونيل ماك لان - حيث عنفوهم بكل الطرق وشوهوا جثثهم. وصبت الأفواج الأولى من المحلة إلى مسون، حيث لحقنا بالطوابير المعسكرة في القصبة. وقد كان مقامنا هنا طويلا، خلاله جاء بني وارين وغيثة كعادتهم لإزعاج الحملة من

المرتفعات المحورة لكنه لم تكن هناك أي مواجهات تذكر. ولكي يبرز المدني قوت ويظهر أهالي الحبل، فيه عمد إلى تصفيف الحجة على شكل دائرة فوق منسسط مسون بكل فرسائها ومشايتها ومدفعتها وعالها.

ومن هنا انطلق للعسكر على ضفاف ود مسون عند أولاد مسعود، ثم إلى ملوية قبلة ثم إلى تاويريرت على صفاف واد زا. حيث كان تحرك المحلة معرقلا من قبل بني بوياسي وبني قولل الذين كانوا يرغبون في نهب مؤخرة المحلة وسرقة البغال لكنها ظلت متماسكة حتى احتفى الأعداء، وبعد مرور بتويريرت كنت نجد كل دكاكين الملاح مقفلة - فقد فر اليهود بدون شك إما إلى دندو أو إلى الحدود الحراتية - وقد كان النهب كثيرا عند مرور، وفي اليوم الموالي شرع المدني في اطلاق نيران المدفعية يمينا ويسرا على بعض التلال التي تجمع فيها بعض أفواح الانفصاليين

ثم وصلت بعد ذلك إلى مستيكممر عند بني بوزكو، الذين كانوا يستعدون للقيام بعمليات حربية في الجبل، لأنهم لو نزلوا إلى السفح فسيهزمون، لكن لم يكونوا هم من نقصد، ثم وصلت إلى عيود سيدي ملوك حيث أقمت قرابة أكثر من شهر جاءت خلالها قبيلتي بني يزنسن وأنكاد معلتين اخضوع. لكن أغارا علينا ليلا، رغم ذلك، لأنهما كانتا غاضبتين من قوادهم الذين استغلوا وجود الحزن لاستنزافهما أكثر، وبعد مرحلة العيون القوية هذه، وصلت إلى ود إسبي قرب سيدي عيسى. حيث قضيت الليل. وفي اليوم الموالي عسكرنا بوجدة (بوحده سيدي عيسى على بعد كيلومترين جنوب غرب المدينة).

لم يتفق بوحدة عدم كما في تجده وجدة، طنين أن سنجدده أمام المدينة بضواحي واد إسلي، لكن هذا المحتل، رجع عبر أغبال إلى عاصمته القديمة تارة، حيث تابع تضميد جرحه الذي كان يتعبه أكثر. وفرض ذعائر جديدة، وضم الوحدات وإعداد الهجمات المقبلة.

وكان الهدوء ولأمد يسود أطراف وواحي وجدة. فقد كانت المنطقة منهكة من مرور ورقمة هذه الأفواح. وأذ بحسب المؤن الضرورية من الحرائر. أم لدحائر والعدد، فقد كنت تأتي بوسطة القوافل من لالة مغنية أو عبر لبحر إلى ميناء ساي Port Say. حيث تحملها السفينة لشريفة لتركلي (على امتداد الحدود (مع الجزائر). حيث أخذها من قرب «زوج بعال» فكل هذه القوافل والحدود والبحر، القرية قد ساعدت كثيرا من المغاربة للفرار، منهم من رعب في حية أرعد بالجزائر، ومنهم من يود الهروب إلى مينائها، يمكن أن يصل منه إلى غرب المغرب، ولقاء أسرهم الذين غادروا هم منذ مدة.

وانتهى كل شيء، حيث فصل الشتاء الذي يصعب فيه التحرك العمديات (وقد كنا نهاية نوسر بالعيون، وفي نهاية دحضر بوحدة). وترك بعض المحاربين سلاحهم واتجهوا إلى

قبائلهم للحرث. ولم يبق هناك سوى بعض النظاميين المخزنين بوجدة ولازال أتباع بوحمارة بنآزة كلساق. واتضح للجميع أن الروكي استطاع أن يقاوم المخزن رغم ما أنفقه هذا الأخير من أموال دون القبض عليه. فهو الآن يحتل تازة وينتظر ظروفًا أحسن للهجوم، لكن يبدو أن خزينة بدورها غير قادرة على إتمام المواجهة.

وقد مصت سنة، كان المخزن موجهًا فيها عنيته واهتماماته إلى الخارج، خاصة أن متمرد آخر قد بدأ نجمه يظهر بناحية طنجة. إنه الريسولي الذي استغل هذه الاضطرابات ليحصل على امتيازات أكثر. وسأحكي لك قصته بعد قليل، وما دما نتحدث عن بوحمارة، فلإني سأحدثك عن آخر محاولاته.

في فبراير 1904، نودي من المحلة بوجدة على الملازم سديرة ومدفعه 75 الذي طالما حسم في المواجهات. وقد كانت ثقة المخزن كبيرة في المدفع 75. فطلب أعدادًا أخرى منه بالإضافة إلى 500 قذيفة مدفعية. وأثناء حصار تازة، كان غيابة قد أعطوا 800 درور لمن يجيء برأس سديرة. فالتحق هذا للضابط إذن بالرباط بحرا، ثم إلى فاس حيث بعثه قائد البعثة العسكرية الفرنسية Fariau (الذي عوض الكولونيل Saint-Julien في أبريل 1903) إلى طنجة مدرب للمدفعية<sup>(18)</sup>. لكن استدعي من جديد في نهاية دجنبر 1904 من وجدة، خاصة عندما شاع خبر وصول بوحمارة.

وبالفعل، فقد غادر الروكي بمحلة قوية تازة، بعد أن أخذ ما يكفيه من العتاد والمؤن وتحرك عبر الطريق التي جئنا منها خلال فصل الشتاء لتصل إلى مشارف المدينة.

وعندما علم المخزن بهذا الهجوم استقدم المدفعية وسديرة مع مدفعه 75 من طنجة حيث وصلوا بحرا، ولم يبق بوجدة سوى بعض الوحدات النظامية. وقد كان طول وقت العميات، ولشك فيما سيؤول إليه الأمر غدا، وانقطاع اتصالات المغرب بالخارج، والحياة المضطربة في القبائل، قد دفعت بالكثير من غير النظاميين إلى مغادرة المحلة تحت درائع مختلفة. حيث غادر بعضهم المحلة بحرا، لكن أغلبهم اتجه نحو الجنوب الجزائري أو الجنوب المغربي، وهكذا عبر المدني مع بعض القواد ووحداتهم أيضا وبشكل متتابع إلى الجزائر. ولم يبق سوى جنود الطواير مع قواد الرحي، وأرسل بعض القواد الجدد من فاس بحرا وهم: مولاي مصطفى بن مولاي عبد الرحمان بن سليمان قائدا عاما، تحت إشراف سيدي بوشتي البغدادى وسيدي عبد الرحمان بن عبد الصديق.

ستحاصر إذن أفواج الروكي المدينة قريبا. حيث وجدوا شريكا ثمينًا. بوحمارة الشهير، والمتمرد الجرثي مع وحداته من اولاد سيد الشيخ والشعامية أعتقد أن بوحمارة عندما رجع إلى وجدة لا إلى فاس، كان لا يريد أن يدخل على أهل فاس إلا وهو شريف، معتمدا في ذلك على خليفته بوعمامة. ثم وضع مدافعه على تل يشبه قالب سكر، يشرفه على كل

وحدة يسمى السمارة الصعيرة، وفصف من هلك المحلة الشريفة المعسكرة سيدي موسى .  
كما كن يسعد حلهه صوكت اسوعب صد وحدة.

كما كنت المحلة تقوم مرارا حرجت من وجدة. فقد تقدمت مرة بشكل غير مبال  
نحو معسكر بوحمارة مسئين تقدير قوة بوحمدرة، وبوعمامة الموجودة بحاجب المدينة وقد  
كادت أن يقصص عليها ورجعت مهزومة إلى وجدة. مخلفة خسائر كبيرة وعدة قتلى  
وحرحي ( ٦ يناير 1905 )

وبعد هذا، سوف يأتي دور أعدائهم ويعفهم أتباعه بقيادة أحمد بن كروم  
(23 يناير) همرت شهور دون أن يكون هناك شيء يذكر، وعلمنا في أحد الأيام، أن  
المتمردين كانوا يحولون دائم هبب المدينة ( وقد كان مع بوحمارة، ليس فقط بوعمامة  
الذي جاء من بني مظهر جنوب وحدة، لكن أيضا عبد المالك الذي جاء مع أتباعه من  
شمال تارة) فبعثوا بمخبرين لهم إلى معسكرنا ليجمعوا حودا يهرون « إنكم لستم مسلمين  
حقا، مادمتم تحاربون مع المسيحيين، إنكم دائم أولاد كرونيين، فتعلوا معنا وانطقوا بالشهادة  
« فقدموا بعمليتهم ( مساء يوم 8 و 9 أبريل)، وفد كن بوحمدرة وبطاميوه ومدفعية متمر كزين  
في أعالي جبل السمارة الذي حدثت عنه. وقد كانت اجهة اليمنى مكونة من وحدات  
بوعمامة وأولاد سيدي الشيخ والشعمية المعزبن ركازة وبني يعلى، وكانت الجهة اليسرى  
الأكثر حركية مكونة من فرسان لسدحة وكدوميه، وسي محيو، وبني بورككو، وكنت  
المواجهة الحرب شديدة وعيفة، حتى إن رجال بوعمامة كانوا يصلون إلى حدود خيامنا،  
لكن الجهة اليسرى كنت لا تحارب إلا متراجعة، وفي نفس الوقت كانت مدفيعتنا تقصف  
نحو سمارة فعالية لا أس بها، لإحبار بوحمدرة على التراجع ( 9 أبريل 1905).

كما كانت هناك هجمة موازية تغلت عليها بدورها ( 30 ماي)، وفي الأخير واجهت  
محموة أكثر شراسة، حيث استطعت أفوح لهجوم في ثلاثة حملات وصلت إلى حدود  
خيامنا، ولولا تدخل مدفعية البعثة العسكرية الفرنسية لا نهزم أتباعنا، وعبد نزول الظلام  
طردهم المخزن إلى ما بعد ( 1 يوليو )

وطل السندون دائم في وس. مهتما شيئا بأفواحه الحاربة سوجدة. وقد كنت  
الإتصالات بين العاصمة ومحتت تتم دائم إما من الجنوب أو عبر السحر. ولإنهاء هذه  
العملية لأخيرة، نرك السطة المطقة وفوض الأمر سئبه بطنحة : سي محمد الطريس.

وقد كان لتدخل الحكومة والأموال لفرنسية بدون شك أثر واضح في إخضاع المخزن  
لعدد المالك وبوعمامة، وبالسبة هذا، لأخير، فإن به سي نصيب قد سلم نفسه للسندون  
الذي سجنه بموكدور. وقد كن خرائري الذي كن متمردا دائم على الحدود الجزائرية  
المعربة يطالب الحماية المنحوء لسيدي في فرنسا، أم لحرر فقد كان يريد الإحتفاظ به

رهينة لتفريق بوعمامة ( أبوه ) عن الروكي بوحمارة ووصل هذا الرجل إلى طسجة ليركب سفينة Galilée ، والذهاب إلى الجزائر حيث بقي بها إلى حدود 32 يونه 1906 .

وبعد هذا التشتيت للقواد المتمردين ، بدأ نفوذ بوحمارة يتقلص بشكل واضح وبدأ عدد أتباعه يتناقص ، بعد أن وجدوا أن سمعته وبركته لأساس لهما من الصحة ، خاصة أن وحدة بقت صامدة أمامه خلال شهور . وذات صباح من شهر أكتوبر ، أصبحنا ندخل ونخرج من وإلى المدينة بحرية دون وجود أي عدو . فقد التحق الروكي بجبله .

فقد ذهب عند سلوان قرب البحر مع مخزنه الصغير ، حيث كان يزود وبسهولة بالأسلحة والمؤن بل والأطعمة أيضا ، ويتنظر ظروفًا أحسن للدخول من جديد في المواجهات وكان قد فقد كثيرا من ولاء القبائل له ، خاصة بعدما علمت بعلاقاته أيضا مع الإسبان والفرنسيين .

ولم نعد نتحدث عنه كثيرا بل توجه الإهتمام كله إلى رجل قوي ، شريف حقيقي تتنامى قوته نحو جهة فحوص : المسمى الريسولي ، الذي سأحدثك عنه . وإلى أخ مولاي عبد العزيز وحليفته على الحوز وسوس منذ نونبر 1901 وأعني مولاي عبد الحفيظ .

لقد كن المخزن « مريضا » بالفعل ، ففي الشمال كان بوحمارة يلعب دائما لعبة السلطان خاصة أنه شريف . وفي الجنوب كان أخ مولاي عبد العزيز يستعد للإنتقال ضد أخيه الذي لم يعد يستطيع ضبط أمور « منزله » ، ويتنقده كثيرا على إضاعته الأموال والترفيه واقتراض النقود ، وعن تراخيه في مواجهة المتمردين المحيطين به . أما وزراؤه الذين يتنظرهم مؤازرة المخزن ، فكابوا في صراع دائم فيما بينهم ولا يفكرون سوى في جمع الأموال . وتصرفوا مثل وحدث القبائل التي شرعت في نهب أمتعة المحلة المهزومة قبل الهروب إلى دواويرهم ، كفتران أمام كيس قمح ميعوج .

## الهوامش

- 1- تتعقب لأمر منحبر 'محميري' 'محميري' سعدى M Cooper (نوفمبر 1902)
  - 2- التحق عمر لتاري بسف. ميهي ككوب (1903) وقد كان 'أمن' استند «أي و حبات وصرائب اسواق فارس
  - 3- لطيفه مهندسين فوج احداثه مولاي حسن، يتخصص عني مهندسين معماريين ومهندسين في الطبوق أو غيرها وقد بعث بعضهم إلى فرنسا للتدعية ديوسهم لكن سنج هذا المعهد لم تكن في مستوى المطلوب
  - 4- قطعة أرض صغيرة مسجحة بالأشوت، الحمية لمروعات والسكن
  - 5- تشير ها إلى بداية نمو ثروة بوحماره عريية، حشد أساب عني بشعودة، وحدة لرسائل لتي حرره بيده تشجيع بتصارته، واستغلال سد حة تداعة فلا يرم خلق سبعا ما سوى خلق تيار معارض وتاريخ وأصول بن باميين أو من توموت أو الميرطين وموحدين شبيه بهد النوصع خالي، فلا يرمه سوى بعض بقود وتسقط عس بيده
  - 6- كان أول يوم في مصاب 1902 هو سنة 2 أو 2 دحبر، عيد انقصر كان في فسخ بامير ومن الممكن أن تكون هذ هذة بين باميرين سن 15 دحبر حيث بدأت انصوكت و23 من شهر نفسه اندي وقعت فيه الإصعوبات بين صفوف لأفوح دحبرية، لكن بين بسب مصاب، لأنها بدأت هي دت بكثير، ولانديكر روي إلى أن هذه لأحداث كانت في رمضان، وهذا صحيح
  - 7- لقد حصص فصلا مهم عن بوحماره
- Le Maroc d'aujourd'hui, chap. viii, p 108 A Colin 8e edition
- 8- كان لقب بروكي قد أعطي لدت لشخص اندي حاول الإستيلاء على ملكة دوا أن يكون أهلا له، كما وقع في عهد سيدي محمد بن عبد (الرحمار) كان يسمى خيالتي بروكي الروكة (سفيان العرب)، لكن قصي عني في بداياته
  - 9- قترص استند ما بين فبراير ومارس 1903 مبلغ 7500000 فرنك من باريس ومنع مماثلا أيضا من سدل ومدير
  - 10- بداية فبراير 1903
  - 11- بالنسبة لهذه النقطة من هذه التذكرات فإن مصدره مردوح، شو ميه سني عبد لرحمار بن سديرة، والآخر بتحقيقه الخراج سالم العبد، انداد شرك مع في هذه الاحتمالات فعدم كان خراج سالم للعبد في الخراج مع ميهي كانت دت خمسة الأشهر من لأحداث بحكمه عيد الرحمار بن سديرة
  - 12- مسكن أو تحميم فصل انشاء في بلاد نوبر، حيث يتخصص المساحة الكبرى للقطيع، ونحتف مساحة هذه لأرضي من شخص آخر وعاد ما يستفرو في لأرض لخصه ولصاغة نورة
  - 13- في الواقع إن بوحماره كان مد شهر بوس منطقة ود كرت قرب قصه سوب، بني بدت له أكثر صلاحية مشاريعه لمستقيمة بتارة ويست محللة ميهي هي انتي طارده إلى هذ المكان
  - 14- توفي سي حمد الحاي بفس يوم 9 أبريل 1928 فقد واد في مارس سنة 1860، وهو أصلا من قبيلة «عبيية» وكان منحسب فارس في عهد مولاي عبد خبط، وأنداد بامير حربية، ثم وزير بشكيات، وأصبح سنة 1912 وزير للأحياس في عهد مولاي بومسب وقد بوقعت عن مروة مهمه في بداية عهد سيدي محمد بن يوسف (1927).



15 - وهكذا غادر الحاج الميهي إلى طنجة، وبقي بها ليلة 26 أو 27 يناير 1941.

16 - يتعلق الأمر باتفاقيات يوليوز 1901، التي حسمت في الحدود الجزائرية، المغربية، والإعتراف بحلال فرنسا لوجبات ( كوردرة، وتوات، ونيدكلت ). وكان لابد من اتفاق بين الحكومتين حول ارماء مراكز الحراسة بعكيت. وتحديد أراضي سية وأولاد احمرير الموجودة تحت النفوذ الفرنسي. وقد كلف بهذه المهمة من جهة المغرب سي محمد الكبيص الذي كان خليفة لوزير الحرب، عند رجوعه من السفارة بفرنسا بتكليف من سي عبد الكريم بن سليمان الذي كتب يرافقه

17 - نفذت وحدة تحت قبضة الروكي ما بين يونيو وعشت 1903، وعين بها الحاج محمد الوديعي بشا، وكان السكك في هذه المدة يطلبون تدخل الوحدات الفرنسية من مرنية، أفضل من أفواج بوحمارة، لكنه لم يتحمس بعد الطلب من قبل مركبة وسي محمد الطريس ممثل السلطان بطنجة، فقد كان الخزن يحشى من ندمي سمعته وكرامته من حديد

18 - وقد كتب من ضمن البهجة الفرنسية سنة 1903 الكولونيل سان جوليان Saint-Julien والقبطان فورسي Fournier، وللام شيدر Schneider والأطباء فورنيال Fournial وحافاري Jalfary، وكان هذا الأخير محبوبا عند مولاي عبد العزيز، وعندما التحق مديرية بمركز طنجة، مر بالعرائش حيث مده المهندس Greusat بمدفع 75، حر طرار والمزن، وعلمه كيف يستخدم هذا السلاح.

## الريسولي : «أحد ملوك الجبال»

فلنرجع شيئا ما إلى الوراء لنعرف ماذا يجري في هذه الأثناء داخل المحزن وخارجه  
فبينما ظل بوحماره مستريحا شارة، بعد رجوع المحنة إلى أوطابوعبان، واحتلال الأفواج  
الشرعية لوجدة، رجع المحزن إلى فس مستعدا لمزيد من المشاكل المرتقبة ( سنة 1904)، كان  
أولها وأخصرها، نقص الموارد القدية، لأن مصريف القصر استمرت في تصاعدها، بالإضافة  
إلى مصاريف مواجهة بوحماره، نهبت عن تكاليف المؤن والندق التي ترسل بالآلاف إلى  
وجدة. وصينة وترميم صفوف الأفواج العسكرية.

ولكي يقوي السلطان مداخيل خزينته، فقد قرر فرض ضريبة جديدة تسمى : «الترتيب»  
وكانت قد قررت قبل ( غشت - شتنبر 1901) لكنها لم تستخلص بعد. والضرائب كما  
تعلم، قد حدد القرآن مقدارها، ولا أدري لماذا يرد أن يغير لنظام الذي سر عليه أجدادنا  
وأقره الرسول (صعهم)، وحات هذه الضرائب أخيرا لتعوض : الزكاة والعشور ( العشر) <sup>(1)</sup>.  
ويأمر من المحزن فرصت رسوم، استوحها السلطان من الأنجليز، على الجميع، وعلى كل  
شيء : الأغذم، والحميمير، وحيول، ولبغاب، وحمال، والرياتين، والتمور وكل الأشجار  
المثمرة وغير المثمرة، والأراضي والأحجار، حيث كنت تدفع عنها مبالغ مقدما، ولم  
يستثن سوى هواء التنفس، وماء الشرب، ولم يفكر في الدجاج والبيض أيضا! وقد  
تسوي في الأداء الغني الذي يملك قطعان الجمال، والفقير الذي لا يملك سوى حمار  
وبعض الخرفان، كما تساوى فيها أيضا البشوات والشرفاء والأولياء وذوي السركت وغيرهم،  
لقد خضع لها وأداها الجميع. لكن، وفي واقع الأمر، فإن هؤلاء القواد والشرفاء والأولياء،  
قد ظلوا على مر الزمن، معفين من أداء الضرائب، ووجدوا هذا الإجراء والقرار الجديد  
غير عادل وغير شرعي وملزم، فرفض لأقويء منهم الخضوع وأمروا قبائلهم بالتمرد ضد  
ضريبة الترتيب، وحمل السلاح إذا اقتضى الأمر على «القعدة» العادة م جعل العدول  
والأمناء المكلفين بالاستخلاص يتراجعون عن مطالبتهم بالأداء

وقد كان هذا الإجراء، ورد الفعل مصهرا آخر من مظهر ضعف السلطة وعدم التحكم  
في الأمور، فتوالت الإضرابات والتمردات من كل القبائل وكان أول أعداء المحزن في  
هذه الفترة : القواد الذين عينهم، لأنهم لم يعودوا يتقصدون روايتهم. وكان من عدتهم

حيما يعطون مستحقات الترتيب إلى المخزن يأخذون « دوروان » ( دورو ) لكل فرد.  
فنبض بالتالي مصدر ثروتهم.

ولم يعد يحصل الشيخ التازي، وزير المالية، على أي شيء من القبائل، ولم بعد يرى من حر سوى الإقتراس من الأجانب، فاقترض المخزن هذه السنة أيضا مبلغ هامة من النقود الملايين من فرنسا<sup>(2)</sup>. واستدعي ماك لان - الذي كان قد بقي في طحمة منذ الأيام لعصية التي مر منها صديقه المنهبي - إلى فاس، وعادت له حيويته كما كان من قبل.

وكان الدس كلهم مدمرون، فالوزراء لازالوا هم نفس الوجوه ( سي فضول غرنيط وسي عبد الكريم بن سليمان وسي عبد السلام التازي ) وزير المالية يوليوز 1904، وسي محمد الكباص، لا يقومون بأي شيء، أو بالأحرى لا يستطيعون القيام بأي شيء، من أجل أن يرجع هذا الشعب إلى قبضة السلطان الذي استمر في الإنغماس في مذاته، وكان لابد من مولاي حسن جديد في العرش، لكن ابنه لا يشبهه. فلا فائدة من الكلام ! فالمقدر مقدر ولا هروب منه.

واستمر بوحمارة في تهيج وشحن كل راغب في المغامرة والعصيان والتمرد. خاصة أنهم كانوا يقولون : المخزن ضعيف جدا كطفل صغير، فلا بد من مدافع، ثم إن بوحمارة لازال يفرض قانونه وسلطته في تازة، فلم لانفعل مثله؟ فتحركت القبائل في تمرد تحت قيادة بعض الموضوعيين الراغبين في تكوين ثرواتهم مستغلين هذه التمردات والإضطرابات. فكانت القصبات تسقط في أيديهم هنا وهناك، والمزارع تحتاج، وكان القواد الذين حدثت عنهم يرجعون إلى أراضيهم بعد أن فروا من البرانس واتسول، ليجدوها قد اجتاحتها عصابات النهبين واللصوص الذين يتحركون ناهبين بين القصبات، عندما علموا بأن حماة وقواد هذه القصبات قد التحقوا بمحلة السلطان، فكانوا يعبرون كل الشاوية ودكالة والرحامنة وكل الحور، فأصبحت الأسواق خالية تماما ولم يعد أحد يستطيع أن يؤمن غداء يومه أو غده.

وبعد مرور أشهر من دخول السلطان إلى فاس، كان مضطرا لبعث محلة إلى الشاوية من 3000 فارس، من الوداية والشراردة تحت قيادة عمه عبد المالك. الذي أرجع الأمور إلى نصابها في المنطقة، وعسكر قرب الدار البيضاء بعين مازي.

لكن كان يوجد بتاحية الفحص ( ضواحي طنجة )، والعنجرة، رجل أكثر ذكاء وقوة من باقي اللصوص والتمردين، بدأ يثير اهتمام ليس فقط المخزن، بل المسيحيين أيضا ويسمى مولاي أحمد الريسوني أي من ريسانة ( بترقيق الراء أو تفخيمها)، وهي قبيلة صغيرة من بدواة بين طنجة والقصر الكبير، فقد كان هذا الريسوني أو الريسولي كما يحبو لك، ولا زال حي ورغم كبر سنه لازال يقلق الإسيان<sup>(3)</sup> متعلما، شريفا من زاوية تزرورت.

يزداد بزيات عند بي عروس، وكن أحواله من بي مساور، فهو رجل جلبي فعلا قوي وعنيف وصارم في مقاومته، إنه فعلا جلبي حقيقي لم يستطع الخزن إخضاعه قط. فقد كن يرغب سد صعره في المعرصه، وحكم الآخرين، ونجميع كل حباله حوله. وبما أنه كن فقيرا فإنه كن يحصل على النقود من هجوماته وإغاراته على كل من يمر عبر الطريق الواقعة تحت نفوذه، أي القوافل الداهية إلى طنجة، أو القطعان المتجهة نحو القصر الكبير. فتدتم قوته بهذه المنطقة م جعل مولاي الحسن يبعث صده عدة محلات. وكن دائما مايرده إلى الصواب، وأعتقد أن محمد كن متنها إليه، ومحتطا منه كثيرا، خاصة أنه يظل دائما طليقا حرا، يتمرد كل مرة رأى فيها أن الحقنة لم تعد تهدده. لكن في أحد الأيام رأى السلطان أن قاطع الطريق هذا قد أصبحت قوته مهددة للعرش وخطيرة، فقبض عليه صدفة في سوق طنجة وقتده إلى سجن حرية لصويرة، حيث يسجن معارضو الدولة. وفي الوقت الذي كنت فيه كل أنظار المغرب متجهة نحو بوحماره، أصبح الريسولي حرا طليقا. بعد أن أدى دون شك العرامة، وجمع عنه قيود السحر<sup>(4)</sup>، ورجع نحو الفحص ليستأنف تحركاته وشططه من جديد، فكان من أتدعه حوالي مائة رجل من لعجزة مكوئين حرسه الخاص : طويني لقامة، أقوياء، أصلاب، حذرين، متيقضين، شديدي وسريعي رد الفعل، يستجيبون بكل طواعية ودون مناقشة لأوامره. يرتدون جلاليب سود داكنة مسلحين بطريقة جيدة. كما كن له عدة جواسيس في كل مكان تقريبا يحملون إليه أخبار العائلات والأسر التي فيها معارضين له، أو من يريد أن يكون من معارضيه، وبمجرد عودته إلى الجبل التف الأهالي بقوة حول هـد انقذ العائد من سجن الخزن، والذي يريهم آثار القيود على قدميه. وقد كان يراقب كل شيء من موقعه المرتفع بتارروت. حيث يعلم وقت وقوع الأحداث، أو أن هده لقامة، أو ذلك الشريف، أو غربا ما يتنقل نحو فاس في هذه المهمة يوم كذا ومن أحل كذا بكل دقة. فهو متحكم إدد في كل تحركاتهم ويطن أنهم في قضته. فلم يعد المحزن يخفيه، وليس من السهل قطع جناحيه كما يقال، فهو صلب قوي كالجدار، فقد كن يتحرك على جواده بقوة وسرعة حتى إنه لا يعلم أين يوجد هـ هو في تزنيتم أم في تارروت مقرا إقامته المفضين، وكننت لحيته كتة تغطي وجهه، ونظراته حادة تحملك تنجز ما يظنه منك وبانحناء. وكان قائد حرسه هو حليفتة ابن منصور.

هذا هو الرجل لدي يتير اهتمام المحزن في العرب، والذي يريد أن يعجب دورا أهم من دور بوحماره مادام أن العوصى والصعف هم السائدين نفس، وكانت هـك محلة شريفة بريدة مولاي عبد لسلام لأمر بي معسكرة على مشرف طنجة، لكنها غير محيطة وقوية بالشكل الكافي، خاصة قد تأثرت بكثرة هـد الجنود وانتشر النهب والسرقة في صفوفها.

ورغم ذلك فقد هـجمت لأفواح لشريفة زينت، وأحرقتها (16 يونيو 1903) وكن قد اعتقل في هذه الموجهة صحفي أنجليري Harris، جاء للإطلاع على الأوضاع بالمنطقة

وحبسه رجال الريسولي عدة أيام بزيئات : لأن القبائل كانت حاقدة جدا على نفوذ الأنجليز بالقصر السلطاني. وفي الوقت الذي كان فيه القنصل الأنجليزي السيد آرثر نيكلسون Arthur Nicholson، والشريف مولاي أحمد الوزاني يتفاوضان لإطلاق سراحه، جاء أهالي العنجرة لِيختصموه من الريسولي، ويفروا به إلى أعالي الجبل، واتفق أخيرا على إطلاق سراح أسرى هذه القبائل في سجن المخزن مقابل Harris وحده (4 غشت 1903).

وفي لسة الموالية علم في فاس أن الريسولي قد اعتقل في مقر سكنه، سعيدا عن طنجة مسؤولا أمريكيا يدعى Perdicas<sup>(5)</sup>، وذهب به إلى الجبل، وأنه لن يصق سراحه إلا مقابل فدية كبيرة، وقبول عدة شروط، من ضمنها استبدال باشا طنجة الذي لا يروقه، وإرجاع المحدة التي تعمق تحركاته، فتسرب الخوف إلى العديد من الأوروبيين الموجودين بكثرة في طنجة، وطلبوا الحماية من قناصلهم، خاصة الأنجليز منهم، الذين ينظر إليهم نظرة حقد والمتهمين بإفساد الأوضاع وتأثيرهم في اتخاذ القرار بالقصر. وذهب الفرنسيون إلى شرفاء وزان المشهورين بحسن وساطتهم في المنازعات، لكن الريسولي لم يطلق سراح Perdicas، رغم رسو بارجة أمريكية (6 طرادات حربية آخر شهر ماي 1904) بميناء طنجة. فقد كن يريد من المخزن أن يأخذ مقابل ذلك، حكم المنطقة الموجودة بين طنجة والعرائش، فاستجاب المخزن الحائث لجميع شروط هذا الرجل القوي والتحق Perdicas بطنجة يوم 25 يونيو 1904. وغادرت البارجة الأمريكية ميناء طنجة.

وفي هذه الظروف - ومن أجل تقوية صفوف الشرطة وفوج طنجة، أرسل السطن النقيب Fournie، والملازم بن اسديرة من أجل تكوين رماة المدفعية، لكن لم يرحل الفرنسيون القلقون من مجريات الأوضاع إلا بعد رسو باخرتين حريتين بالميناء (Kleber et Gahllée). وقد كن هك سوق كبير كل يوم خميس وأحد قرب ملتقيات طرق المدينة. حيث يتشاجر الناس فيما بينهم، والبنادق موجودة في كل مكان، وكان الأجانب يحتمون بسفنهم ويدفعون سدافع. لكن المتمردين لم يكونوا موجودين بالمدينة، بل في الجبل<sup>(6)</sup>.

وقد أظهر المخزن على نضج أكبر لتهدة هذا الرجل عندما قرر تعيينه باشا على الفحص، وجعل إقامته بأصيلا<sup>(7)</sup>. وقد وقع هذا في الوقت الذي قام فيه الإمبراطور الألماني كيوم الثاني بزيارة إلى طنجة، حيث استقبله مولاي عبد المالك عم السلطان، كما كان ماك لان، من صمن حضور<sup>(8)</sup>، فقبل الريسولي ذلك، وعين أخاه خليفة له (فاتح أبريل 1905).

وفي لوقت الذي كان فيه وزراء السلطان يناورون (يمارسون السياسة) يقولون نعم اليوم، ولا، غدا للإقتراحات الفرنسية من أجل تنظيم جديد لطواير الشرطة، قرر السلطان جمع كل القوى الفرنسية من أجل التقرير في الإصلاح الأحسن، مما سيفضي إلى مؤتمر الجزيرة اخضرء، بإيعاز من الألمان. ويبدو أن الريسولي الموالي للمخزن قد استغل هذه

الطروف وبدأ في استحلاص الصرث باسم المخزن بشكل مبالغ فيه ويحتفظ بكل شيء لنفسه. ولد بيه أحد الأشخاص إلى سوء تصرفه هذا. وانه سيؤدي الشمن غالب ( قطع رأسه ). أحبه بقوله :

— لا يموت أحد إلا بأحله. أم ما تقول عنه. فلا تسي أنه عندما أنفنى في خدمة المخزن فإنني لأأول أي جراء. فما علي سوى الإستفادة لنفسى فقط. فقد بدأوا يعرفون في فس أنى رح مسرد عاص. إذن يحب أن أنقى كما أن هو معروف.

هذا في وقت عجز فيه بوحماره عن الإستيلاء على وجدة. بعد أن غادره حليفاه عند المالك وبوعمة فتيحه نحو سوان. حيث أمده الريسولي القوي بجنوده وقبائله الوفية قرب تطوان بالمسعدة. وم لا يكون هو أيضا مطلب ناجح بالحكم؟ ثم إنهم سيكونان معا قوة ضد الوجود الأحبي المتزايد بالمغرب. ولدي يهدف إلى حكم المغرب. بعد أن جروا الأمير الصغير مولاي عد العزيز إلى القيام بتعديلات سيئة. فاستغل الريسولي هذه الأوضاع وسخرها ضد السلطان بأ ألب الناس ضد الروميين ( الأحانب).

ولم تفتأ التفتح أن ظهرت. فقد أعلن. الشيخ ماء العينين في الحبوب. الساكن في لساقية الحمراء. « سخرت المقدسة » ضد الفرنسيين حيث بدأ يجمع الرجال والأسلحة من أجل هذا العرص واغتال لعنصرة أئبع لريسولي فوسيا على شاطيء طجة<sup>(1)</sup>. فظهرت. وكالعالدة فرقطان فرنسياتان في ميناء طجة. بما أجزر المخزن. ومن جديد على أداء غرامة حماية لبش مدينته. فرحعت إلى أيم قضية Pérdicaris. وسمع البارود وبمجرد الخروج من وسط طجة. وفي الوقت الذي كان فيه بلغاري باشا طجة قد دخل إلى المدينة لأخذ منصبه. كان عليه مواجهة رجال الريسولي. معرزا بمحلة كبيرة من 3000 رجل معسكرة بعين الدالية ( عسى بعد 15 كيلومتر من طجة).

وعلى العموم. فإن الإضطرابات والتمردات قد عمت في هذه الفترة كل الجهات. وانشرح لشرفاء فحرا عدم عدموا ن مولاي عد الحفيظ بمركش. قد أعلن معارضته لأخيه. وحرص إس مولاي رشيد فيلاله. الدين استقدموا وحدت من تودرة. وانتخبوا قائد للحرب «المقدسة» يسمى : اسعيد البخاري<sup>(2)</sup>. كما دفع شريف آخر سيدي محمد العزاوي الموجود بأولاد اسعيد. الشاوية ودكلة إلى التمرد. كما استقل الشيخ ماء العينين في فس مع حرسه ( لرحل الرق). (لوا لبسهم). وأغدى عليه السلطان الهدايا والأسلحة والمؤن<sup>(3)</sup>. وتحرك أبص لشريف الريسولي بيعته لعدة من أتاعه لمد العون وساعده جنوده بأصيلا<sup>(4)</sup>

وفعت هذه الأحداث كلها والسلطان دئم في فس. في وقت كن عليه أحد احتيطات وإجراءات وقائيه. وتهيء مشروع اتفاق الحرية الحضراء استطر. ولم يعد يعرف ما الذي

سيفعه. فلوراء الأوروبيون بطنجة يطالبون باتخاذ أعجل التدابير ضد الرئسولي، والمحلة العسكرية بعين الدالية غير كافية، لأن جنودها فروا منها جماعات بعدما لم يتوصلوا برواتبهم ويعد أن باعوا بنادقهم لأعدائهم.

وصبح ذات يوم وصلت بارجة من فرقاطات كبيرة إلى نواحي طسجة (14)، وحتى يتفدى المخرن برول اعداد الجنود «الرومين» للسهر على النظام بأنفسهم، فقد بعث بمحلة كبيرة إلى طسجة بقيادة سي محمد الكباص وزير الحرب، كما كان هناك أيضا سي بوشتي البغدادي. والقائد ماك لان بقيقه، وضابط صف أنجليزي، وطبيب فرنسي، بالإضافة إلى المدفعية والنظاميين فوصل العدد إلى 4000 رجل. وترك الكباص في الطريق وحدات بالقصر الكبير وعين الدالية، ولم تقع أي مواجهات حيث فر أتباع الرئسولي إلى زينات.

وبمجرد وصول وزير الحرب إلى طنجة، قرر مصادرة أملاك المتمرّد الرئسولي، فنتزع السلطان منه قيادة المحلة وأعطاها لباشا طنجة بلغازي، الذي كان قائد للمشور ثم شاشا تطوان (1901)، فاستسلم أهالي الفحص، ثم العنجرة وبني مساور (27-31 دجنبر 1906)، ثم جهزت عرفة كبيرة من المحلة واتجهت نحو زينات عبر طريق طنجة إلى تطوان. فقصفت المدافع ثلاثة منزل المتمرّد، فكان هناك عدة قتلى وجرحى من الطرفين، وأصيب بوشتي البغدادي (15) في كتفه، واستدعي طبيب المحلة Dr.Fourniel. فحل الظلام دون نتيجة حاسمة (6 يناير 1907). واستغل الشريف هذا الظرف ليقر إلى الجبال بأمنته وأتباعه المعدودين سلطات. وفي اليوم الموالي، استدعي الملازم بن اسديرة ليركز مدفعيته بدار الرئسولي، أما الأفواج فقد هجمت على زينات، لكن كانت فارغة لم يبق بها أي أحد. وقد كن عيبا إتمام العملية ليلا حتى تمنع خروج المتمردين لكن البغدادي المصّب قرر أن يعسكر على بعد كيلومترات من قمة حتى يتمكن كل أهالي زينات في تحويل أمتعتهم وقطعائهم (6 يناير) فجاء باشا طنجة بلغازي ليقود المحلة العسكرية دائما بكتورات. في وقت اختفى فيه الرئسولي عند أهل واد الراس، ثم بني مساور، وبني عروس وبني إدر، فتعقبته المحلة، وكانت تحرق وتنهّب الدواوير التي حمت هذا المتمرّد. فجاء الشيخ زلال من بني مساور، ولشيخ الحاج العربي من ودراسة، ليعلنا استسلام قبيلتهما. لقد كسا في شهر مارس عندما وصلنا إلى بني عروس، لكن لم نستطع هزمهم. وقد يكون الرئسولي موجودا بالقرب من شفشاون أو عند بني احسن.

ومادام أن تموين المحلة بالجبل شيء صعب، والمنطقة غير آمنة بالنسبة للمحزون حيث كن نخاف أن نتفرق في المضايق، وأهالي الجبال قد اختفوا تماما من طريق هذه الحملة، ينهبون بعض الوحدات المنعزلة. ومادام أنه لم تخضع أي جهة في هذه الجبال، فيه نقرر الرجوع في اليوم الموالي إلى طنجة معتبرين أن المنطقة آمنة، وتم العدول عن مطاردة

الريسولي الذي ساعده في نجاحه ذكاء أهالي الجبل. وفي صنجة تفككت أفواج المحلة،  
وعاد بوشتي البغدادي إس ناش فاس إلى العاصمة.

أما بلغاري فقد عين باش عني مراکش (15 أبريل) حيث سافر بحرا ليلتحق بمصبيه  
الجديد، عر أسفي رفقة 300 جندي.

كما وقعت أيضا أحداث حاضرة، حيث غتير لدكتور (Mouchamp) (11 مارس 1907)،  
مدير مستشفى لمسلمين. وكان مولاي عبد الحفيظ على علاقة وطيدة مع الباشا الفعلي  
عبد السلام الوررازي. وهكذا لم يكن بمكان سغاري، إلا لتحقق مراکش دور حراس  
اختفى أكثرهم في الطريق من كثرة الإنسحابات والفرار.

لكن قصة لريسولي لم تنته هنـ : فلم يكن للقوة والسلاح أي نتيجة ويمكن أن تنجح  
بالمقابل المفوضات وقد كن السنومسي غير المنتظر لهذه المهمة، والذي سيدخل الريسولي  
إلى أحضان المخزن هو القائد ماكلان.

وقد كان الأنجيز يلامون ويعتون كثيرا، حتى ب السلطان كان قد حول إجلاء كل  
البعثات الأحسية الموحدة لمس. وكان مك لا يحول أن يسترجع مكانته عند المخزن،  
خاصة بعد إقالة المبهي. وفكر في إخضاع الريسولي، وأخذه بهذه الطريقة، فدخل معه  
في علاقات ودية، حيث استضافه بصنحة وقل له بأن الشريف لا يلبق به احترام قطع  
الطرق، وأن السلطان سيغفر له إن هو ذهب إليه وأن الأمن والأمان سيعودان كل الأرجاء  
بدل هذه التمردات والإضطرابات، والفوضى، وأن من واجب المسلمين تعميم الأمان  
والسكينة والنظام من أجل تفادي تدخل الأوروبيين في شؤونهم، إلى غير ذلك من الكلام  
الذي يقل في مثل هذه المناسبات والذي لا أعرفه فأجابه هذا المتمرد بأنه مستعد لتلبية  
رغبة مك لأن لكن شروط سيضعها ويحب للإنترام به.

فرجع مك لأن فوراً فرح إلى فاس حيث أطع مولاي عبد العزيز على الشروط التي  
حددها الريسولي وهي كالتالي : استرجاع كل ممتلكاته، واسترداد مهمه حاكما على  
الفحص وعصمته أصيلا فاعتذر هذا المتمرد عن عدم مجيئه إلى فاس، فعين أحده ليمثله،  
لكن هذا الأخير رفض الذهاب إلا بعد أن يعطي الريسولي رهينة أوروبية من مستوى عال  
ومن نفس الأهمية

فقل السلطان لماك لا .

\_\_\_ لقد احطأ الريسولي، عندما لم يأت هو نفسه للوصول إلى نتيجة، فكان لابد من  
التحور معه.

\_\_\_ فأد مستعد لأن أنقل له هذا الكلام إب أمرتم بدلت.



— نعم، لكن ليست لي فيه ثقة كبيرة، فإذا ذهبت إلى هناك، فتحمل كامل مسؤولياتك، ومخاطر ذلك.

قال ماك لان :

— لست خائفا.

— وهكذا أكون قد تخلصت من كل مسؤولية لما قد يلحقك.

فذهب ماك لان عند الريسولي، واستقبل استقبالا حارا، حتى ظن أن مهمته في طريق إنجاز أحسن. وعند نصف الليل، دخل عليه حراس واقتادوه إلى غرفة صغيرة ثم اغلقوا عليه الباب، مفهمينه أنه أسير الريسولي (3 يوليو 1907).

وطلب في اليوم الموالي، من الشريف توضيحات بهذا الشأن. فقال له الريسولي :

— لاتقلق فأنت سجينني ظاهريا، دون أن تكون كذلك فعلا، فأنت الآن هنا كما لو كنت في منزلك فيمكنك أن تأكل وتشرب كما تريد. ويمكنك الخروج إلى القنص تحت حراسة رجالي طبعاً، ولكنني مضطر لأن أحفظ بك حتى أنال العفو والرضى، فأنا لأطلب كبير شيء. فلا بد أن أحصل على فدية لك، وظهير من حكومتك يعترف فيه بي محميا أنجليزيا. وهذه هي الشروط التي تهتمك دون أن أتحدث عن تلك التي ستكون لي مع المخزن.

حدث هذا في جبال الخماس، على بعد أيام مشياً من طنجة، لكن في منطقة محصنة يمكن أن تساعد في التفكير على جمع أفواج من الرجال المحاربين.

فقد عانى ماك لان في هذه المغامرة، حيث كان رجال للريسولي مكلفين خاصة بمنعه من الإلتحار وقد كان مبلغ الفدية 20000 جنيه استرليني مرتفع جداً. ونقصت شعبية وسمعة ماك لان كثيراً. فقد أصبح شخصاً مفقوداً لا بالنسبة للأجانب ولا بالنسبة للمغاربة، ولم يكن متيقناً بأنه ستدفع فدية لاطلاق سراحه.

فقال له الريسولي.

— لاتتفق كثيراً، فكل ما أريد بالضبط هو أن أصبح محميا أنجليزيا.

أما فيما يتعلق بمبلغ الفدية فلست متيقناً هل أعطته المجترة لماك لان، أو هل تنازل عنها له الريسولي وأطلق سراحه؟ فليس هناك قطع في الأمر<sup>(16)</sup>.

وبعدما أطلق سراحه رجع ماك لان إلى الرباط للقاء السلطان، لكن وقعت في هذه الظروف أحداث أكثر أهمية في المغرب : تقدم حركة مولاي عبد الحفيظ، ورسو الفرنسيين بميناء الدار البيضاء. . . فرجع ماك لان إلى طنجة لقضاء مدة تقاعده.

نسيت أن أقول لك أنه عندما أُلقي لقصر عبي مك لا أعطى المخزن الأول. مر إلى محلة  
شوشى البعدادي لمرحوع إلى لبدية. فاطلقت هذه المحلة إلى الخمس (2 عشت)، لكنها  
انهزمت عقب خيانة الوحدات التي جمعتها من قبائل بني مساور وبني عروس وغيرهم.  
ويمكن أن لم يكن تقديم تلك الوحدات إلى شريف المحلة الأمراني، إلا لأخذ السلاح  
والمؤن، وضربت في الظهورهم بعد. وفي هذه الأثناء كان مك لا الذي لم يطلق سراحه  
فيما بعد. قد وضع في مكان يصعب الوصول إليه، ولا يمكن العثور عليه فيه أبدا.

فرحت محلة الأمراني ذن إلى طحة، وعاد قئدها إلى فس. تاركا آلاف الرجال  
في عين الدالية وحماية صغيرة ربيت الموجود بها المخزن دائم و 500 رجل بأصيلا وبمجرد  
إطلاقه (الأمراني) تقدم ريسولي حتى حدود بني عروس، ينتظر مستجدات الأمور (بيعة  
مولاي عبد الحفيظ). وفي هذا المكان قدمت له القذية وأصق سراح الرهينة (شتمبر 1907).

وعندما بويح «السلطان الجديد» في المغرب كنه، أعطيته صلاحيات كبيرة ومهمة،  
فأصبح قائدا على كل جبلة لتي تصم لعنجرة، ودراسة وبني عروس، وبني إدر، وبني  
مساور، وكلهم أصدقاء الشريف، وأصبح مقر إقامته أصيلا كما طلب من قبل أم الفحص  
مسرح انحازاته السقة فكست تحت سيادة قائد حر.

ووجد الشريف فيما بعد، صعوبات كبيرة في استخلاص الضرائب (الركة والعشر)  
التي يطلبه بها المخزن. وكان العجرة صفة خاصة، في تمرد دائم ضده، لأنه كان يطلب  
عهم ضرائب كثيرة

واضطر ليقول لمولاي عبد الحفيظ أنه يريد الإستقالة وترك المخزن لأنه لا يمكن أن يستمر  
هكذا. فأجيب من فس بإعطائه منصب باشا القصر الكبير. فلتحق بمصبه الجديد واستمر  
في إبتاراه لجبلة مما أزعج المخزن على نزاع السلطة من يده.

ومند هذا لإجراء، مرض اريسولي، وظهر عليه العياء والتعب، وأصبح هادئ، بل  
إن بني حس ثروا ولم يفهم بأي إجراء صدهم، فكان يرى ويسمع كل الأشياء ولا يتحرك،  
وعندما سمع تقدم الفرنسيين نحو فس (ماي 1911) طلب من السلطان، غادر القصر  
الكبير مع أتباعه ليرجع إلى حدة، وليعيش بعد ذلك مدة، ترة صديق، وترة محارب  
للإسبان. لكن مدا كان يعجز بالضيظ فلا يمكن أن أقول لك، لأنني لا أعرف أي شيء.<sup>(1)</sup>

### تقدم تحركات مطالب حقيقي بالعرش . مولاي عبد الحفيظ

قد نقصت شعبية مولاي عبد العير كما قلت لك، لأسباب عديدة منها : الضعف  
في السلطة ولتسيير، والإقتراضات من الأجانب، والإصلاحات في ميادين المال والضرائب،  
الشيء الذي أصر بالمسلمين المتشككين بالنظام لتقديم (القعدة)، إضافة إلى أنه لم يستطع

القضاء على بوحامرة الذي لازال دائما بسلوان بقصره ومخزن كسلطان معني . وكانت جهة كبيرة من الشرق موالية له بشكل تناوبي. ثم أن الريسولي الذي دخل معه في صراع. حيث كان يرفض وجود الأوروبيين في المغرب - يوجد دائما عند جباله كملت صغير مستغل بدوره. ثم هاهو خليفته وأخوه في الجنوب الذي كان يشجب تصرفاته، قد شرع في الدخول ضده في مواجهة مفتوحة.

أضف إلى كل هذا، تلك التمردات المعتادة يمينا ويسارا، تارة بالشاوية، وتارة بالغرب، وتارة في سوس بل حتى في ضواحي فاس، وبهذا ستفهم تلك المشاكل والمصاعب التي أصبح مولاي عبد العزيز المسكين يتخبط فيها.

وقد كد مولاي عبد الحفيظ الأكبر سنا من مولاي عبد العزيز قويا، سميينا كما شأن أغلب أبناء مولاي الحسن، يعارض بكل قواه الإصلاحات التي كان يقوم بها أخوه السلطان. وتعلم أن حبيبة السلطان على الحوز وسوس بمراكش مسؤولية كبيرة، فهو بمثابة سلطان صغير ييئ في قضايا كثيرة دون استشارة القصر بفاس، ثم إن المسافة طويلة بين مراكش وفاس. خاصة أنه يجب المرور من مكناس ثم الرباط، ثم الشاوية. وكل هذا على ظهر الجواد. حيث يدوم السفر خمسة عشر إلى عشرين يوما. وقد كان للخليفة قصر صغير حقيقي أو حجب، وكتابه «ومشاورية» يقومون بمهمة قائد المشور، ثم مخازنيته الذين يكونون حرسه الخاص، ثم نسائه وعبيده واصطبلاته ! لقد كان فعلا سلطا صغيرا. ووجود رجل طموح في مثل هذا المنصب لا يمكن إلا أن يدفع به إلى التطلع والارتقاء نحو مرتبة السلطان في فاس. خاصة عندما يحس أنه مؤازر بعدة طموحين مثله، وبعدة معارضين للسلطان. ويصدق هذا الكلام وهذه الأوصاف على مولاي عبد الحفيظ. فقد وحد في شخص سي المدني الكلاوي، أهم وأغنى قائد في المغرب دعما غير منتظر، وتذكر أن المدني الذي كان محاربا جيدا، كان قد قاد الحملة الشريفة إلى تازة، ثم إلى وجدة أثناء أحداث بوحامرة، ولما طالت مدة إنجاز العمليات بوجدة طلب الرجوع إلى قبيلته التي غاب عنها أكثر من سنة، فاستجيب لطلبه، لكن الحاج عمر التازي طالبه بغرامة قدره 70000 درو، أي حوالي ( 350000 فرنك)، ورغم الجروح التي أصابته خلال خدمته للمخزن، فإنه لم يكن محط رضاه، فقد كان يرى فيه قريب وزير الحرب السابق سي المهدي المنبهي، الذي يعاني من وطأة المصاعب والمشاكل الحالية.

فأصبح المدني، الغني والمحترم في مراكش، معارضا لمولاي عبد العزيز ولم يبق أمامه سوى الانضمام إلى خليفة الحوز وسوس، الذي يقر ويؤكد ضعف حكم أخيه. ويسمع انتقد الناس له. فاتفق مع الكلاوي على المواجهة، وهو إجراء رآه مناسبا لمطالب العرش مثله، وقد بد له أن المعارضة الواضحة لوجود الأوروبيين هو الشعار الأنسب لالتفاف أكبر عدد ممكن من الأتباع حوله، وهكذا قرر دخول الأوروبيين تماما إلى دار المخزن تحت أي

سبب كان. واستقبل ماء العيين المعروف سياسته المنوثة لفرنسيين استقبالا حرا. ويبدو أن شريف لسمارة يحس براحة أكثر مع مولاي الحفيظ من مع مولاي عبد العزيز : لقد كان حليف منسب حصة له معزز بموالاة كبيرة من أهل سوس، وكان يتبع أيص مواقف المدي الكلاوي التي كتب انتقد وعدم رضى بالأوضاع، ويبحث عن الطريق الصحيحة لإنقاذ المغرب والجسم في أمر العرش بفاس.

ولم تكن هذه الطريق أو لوسيلة سوى الحمة القوية ضد الأجانب وإعلان الحرب المقدسة الكفينة وحده بالتفاف أكثر عدد من الناس حوله.

ويبدو أن مولاي عبد العزيز كان على علم بمؤامرات أخيه، فقد كانت تصله الأخبار بواسطة باش مراكش من كور حيث كان المحزون يتبعون تحركاته دهايا وإيابا إلى دار المخزن المحورة لنقصة، بل كانت تصله أيضا المحدثات لسرية بين المدي والخليفة، وقد حول دون شت إلقاء القصص على مولاي عبد الحفيظ في محاولة للحد من خطورته لكن سياسته في هذا الإتجاه كانت متسمة بالتردد، حصة أن أتباعه الأوفياء أصبحوا قلّة، وعدد جنوده يتناقص بشكل ملحوظ، كما كانت له محلة بالسعيدية لمراقبة تحركات بوحمارة : وثانية بعين الدالة لمراقبة الريسولي، وثالثة بالشوية بقيادة مولاي الأمين، فكان عليه إذن الاحتفاظ بوحدة في فاس ومكناس، بالإضافة إلى أن عدة قائل أخرى معارضة له لم تعد تؤدي الضرائب المفروضة عليها، وأمدت المخزن بوحدة شكبة إذا أريد تسخيرها ضد مولاي عبد الحفيظ. وفي لوقت لذي كان فيه هذا الأخير يعتمد على قوة قبيلة كلاًوة وبعد مرور بعض الوقت على متوكة والرحامة الأقوياء دائما في الحروب، فإن مولاي عبد العزيز كان شبه متخلى عنه. وكان أكبر الأخطار هو الذي يأتي من الجنوب، مما أرغمه على مغادرة فاس بسرعة، ولندادة على الأفواج التي حكيت لك عنه للإلتحاق بالحوز أو أمد مراكش بشكل مكثف وقوي في وقت كان من الممكن حل المشاكل بالمفاوضات، وقال رجل : « لو كان مولاي الحسن حيا نضفي جميع المشاكل وحده، وقضى على بوحمارة والريسولي وجاء بهم أسير إلى فاس ». وكان مولاي عبد العزيز قد استمع لنصح مجموعة من الشيوخ الودعين في فصول غريبط والكباب، بالقيام بمحاولات لإجهاض هذا المد.

فبعث على التولي أعمده، مولاي عرفة في الحوز (1905)، ثم مولاي عمر بمسفيوة، من أجل الوصول إلى مراكش والقاء القصص على الخليفة، لكن كان عليهم مواجهة قوات الكلاوي الكبرى المتمركزة بالمدينة، فحذو من هزيمة نكراء إن هم عمدوا إلى الهجوم.

وحول مولاي عبد العزيز استمالة القائد سي الطيب الكندافي والتوكي، لكن هذا الأخير استغفر غيب الكندافي في فاس قرب السلطان، لينهب قصبة أكركور غير بعيد عن أمزميز، ولم رجع الكندافي إلى قبيلة في ظروف صعبة أصطر ليقى محاصرا بعض الأيم.

وانضم الرحامنة بقيادة القائد العيادي في السنة الموالية إلى مولاي عبد الحفيظ واتضح موقفهم المعارض للمخزن بشكل أكثر جلاء.

وقد حور مولاي عبد العزيز مرة أخرى، بعد أن صالح المتوكل والكندافي، أن يستغل فواده الأوفياء بالمنطقة لتحقيق هدفه، وأعني بالقواد هنا : سي عيسى بن عمر العدي، وسي السعيد بن الضاوية الدكالي، والحاج عبد السلام الوزرازي باشا مراكش المدينة، بالإضافة إلى عدة أفراد آخرين في سرية تامة. وكان مولاي عبد الحفيظ قد متن صفوف حرسه بعدما أخبره هذا أو ذاك فأجهض الهجوم المرتقب (1906).

وهكذا فكر السلطان في مواجهة أكبر دعامة للخليفة : سي المدني، وسجنه لأنه غني جدا، وليبحث على الإستقلال بنفسه، وهذا صحيح لأنه منذ أحداث وجدة قطع كل علاقاته مع المخزن، فقد كان قويا، وكانت تشكل أموال الكلاوي دعامة أساس لبيت المال، لكن الكلاوي أحمر حالا، ولما وصلت الأفواج المخزنية، كان قد احتفى بقصته بتدوات حيث يصعب الهجوم عليه فيها، فلم تعمل هذه الأفواج سوى أن أغارت ونهبت بعض دواوير الحبل، ولم يكن من نتائج هذا الإجراء سوى تعجيل تحرك سي المدني الكلاوي ومولاي عبد الحفيظ، فالحزن ضعيف جدا، والقضاء عليه أمر سهل ويفضل تأثيرهما تنامت ظاهرة معاداة الأوربيين المقيمين بمراكش بشكل كبير.

وقرر السلطان تغيير باشا مراكش عبد السلام الوزرازي، الشيخ المريض الذي لا يحسن تسيير احوال الشرطة بمراكش، لكن في الواقع، وبدون شك أن سبب هذا التغيير هو موالاته لمولاي عبد الحفيظ، وعين بدله بلغازي باشا طنجة، وفي هذه المدة اغتيل الدكتور موشامب Dr.Mauchamp بمراكش وصرح القنصل الألماني أن هذا الطبيب كان يريد أن ينصب جهاز إرسال برفيات والاتصال بحكومته (19 مارس 1907).

وتعلم أن الفرنسيين قدموا على هذا الإجراء باحتلال وجدة حيث تخلوا دون إطلاق رصاصة واحدة (29 مارس)، وقالوا بأنهم سيقون إلى أن يحل هذا المشكل ويعاقب المتهمون.

ووصل بلغازي المعين (يوم 15 ابريل) عبر آسفي مع 250 عسكري، على متن الباخرة «السعيد» وكان يستعد ليلتحق بمنصبه الجديد، لكن وحدته العسكرية عددها يتقصر شيئا فشيئا حيث كان الجنود يفرون لأنه قيل لهم أن في طريقهم محلة معوثة من قبل مولاي عبد الحفيظ تنتظرهم بالبنادق، ثم إن كل قبائل المنطقة معارضة للمخزن، وتريد مبيعة مولاي عبد الحفيظ، فرجع بلغازي إلى طنجة (11 يناير).

وكان من ضمن هذه القبائل الأكثر تحمسا ومعارضة الرحامنة، والمتوفرين على الحبول والأسلحة، فقد اغتنوا كثيرا لأنهم لم يؤدوا الضرائب المفروضة عليهم منذ مغادرة السلطان

مراكش (1901)، وينصح لك الآن كم كانت سياسة مولاي الحسن حكيمة جدا، حيث لم يرحل فقط فقد كان يحول أطراف الممكة، ويستحصل الصرب حتى يجمع القبائل من أن ترفع رأسها. هؤلاء الرجال بهم كل المقومات ليهاجموا على مخزن مولاي عبد العزيز الذي يظالهم بأداء مستحق تهم المتقية من الصرائب. وهم الذين أجلوا الأوروبيين المتبقين عن مراكش وفتحوا سجون المدينة التي كان بها معتقلون كثيرون منهم، وأرسلوا مبعوثين إلى دكالة والشاوية ليمدوا لهم يد العون، ومعلوم أنه كانت لهم محاولة سابقة مع مولاي امحمد أجهضها باحماد المتوفي، والذي لم يعوضه أحد في نفس قوته في المخزن. وقد كانوا يعلمون أن الأفواج لنظامية، ورغم وجود مدرّبين أجانب، لم تعد لها نفس القيمة والفاعلية في عهد مولاي الحسن، وأن المخزن لا ينوفر سوى على وحدات قليلة من الواب، والدليل على ذلك مقدومة بوحمارة والرسولي لها

وكان يقال، بأن محلة السلطان ستخرج للذهب إلى الرباط، ومن غمة إلى مراكش، وكانوا المسؤولون يعملون قصارى جهدهم لتمدهم القبائل الخاضعة بوحدات جديدة التي يطلبها منهم مولاي عبد العزيز. لكن كان يسمع في صفوف تلك الوحدات .

أتريدون الإصمهم إلى أولاد كرويل (الأجانب)، ماذا ستفعلون أيها الحمقى؟ هل أنتم مستعدون للعيش ستة كملة تحت الخيم، والصبر على قصف بوحمارة والرسولي؟ ما سيكون مصير ممتلكاتكم وأنتم عثرون عنها؟ أتذكرون رجوعكم من وجدة! أو لستم مسلمين مومنين حقاً؟ و علموا أن «لحرب مقدسة» سوف تدلج، وأن كل المسلمين يجب أن يضعوا اليد في اليد، فابقوا إذن مع «الروميون» سوف يخشون في كل الجهات، وسنرمي بهم في البحر، وسيكون قائد المقاومة سيدنا : مولاي عبد الحفيظ س مولاي الحسن، مناصر الإسلام لثبت

فلم يبعث قود لحور و جنوب أي وحدة إلى محلة فاس.

وهذه الفترة هي التي كان فيها ملك لان أسيرا للرسولي ( 3 يوليوز 1907)، والتي اتفق فيها مولاي عبد العزيز مع لقوات الأوروبية على تكوين أفواج الشرطة (17 يوليوز) والتي اغتيل فيها مسيحيون كانوا يشتغلون بمبء الدار لبيضاء من قبل مديونة وربنة دون أن يستطيع لا مولاي الأمين باش الدار البيضاء ولاسي بوبكر السلاوي أن يتدخلوا ( 30 يوليوز). وتعلم أيضا أنه كان من نتائج هذا الحدث ظهور فرقاطتين بالمرسى. (Le Galillé et le Duchayla)، وقصف المدينة ( ٩ عشت 1907 ) ثم نزول أفواج الجنود الذين كانوا على متيهم (7 غشت)، ولكن كل هذه الأحداث مذكورة في كتك ولا فائدة من أن أحكيها لك بدوري.

والسلطان مولاي عبد العزيز لازال دائما بفاس. حيث أخرج الفراك (في مي)، لكن لم يستطيع الذهاب، فالخزينة كانت فارغة، وطلب قروضا من البنوك ليدافع عن نفسه، لكن البنوك ترددت في إعطائه مبالغ كبيرة ( فقد اقترض 62 مليون سنة 1904).

وكن يبدو أن الظروف كانت مساعدة لحركة مولاي عبد الحفيظ حيث زادت هذه الأحداث من هيجان وتمرد أهل الجنوب خاصة بعدما علموا ( حوالي 12 غشت ) أن الدار البيضاء قد سقطت في يد فرنسا، فقرروا مبايعة مولاي عبد الحفيظ يوم الجمعة المقبل (16 غشت) بمسجد القصبة.

وهكذا اجتمع كل أعيان وأشراف وعلماء المدينة بالمسجد، بحضور مولاي عبد الحفيظ وأتباعه، والقائد المدني الكلاوي وأقاربه. ومختلف موظفي الخزن وبعد كلمة وعظمية (الحديث) أخذ الكلمة مولاي بوبكر أخ السلطان وقال :

— نعلم جميعا أن مولاي عبد العزيز قد باع بلدنا للمسيحيين لاشباع رغباته، والأدلة على هذا واضحة حتى بالنسبة لمن لا يود رؤية ما يحدث. فهم قد استولوا ومنذ شهور، على وجدة باب الشرق، ولا يبدو أنهم مستعدون لتركها، بل إنهم يجبرون إخواننا على الخضوع لقوانين وعادات بلادهم، وتعلمون الآن أنهم قد نزلوا إلى ميناء الدار البيضاء، بأعداد كبيرة مسلحين بالرشاشات والمدافع، وأنهم أغرقوا هذه المدينة «المسكينة» باب الغرب في الهموم والفوضى والاضطرابات، هاهي يدهم تمتد نحو إخواننا الشاوية «المساكين».

( وكان مولاي عبد الحفيظ في هذه الأثناء يبكي لأن أمه من هذه القبيلة، وبكى معه الحاضرون). . . وأمام هذه المصائب التي تتوالى علينا لأحد يستطيع أن يبقى دون حراك، ولا أن يحفي آلامه، فيجد إعانة إخواننا المنهكين في قبائل الشاوية التي تواحه المستعمر الغاري، وإذا كان سلطاننا عاجزا على تجهيز كل الجنود ومواجهة العدو، وأعتقد أنه كذلك فإنه يحق للعلماء والشرفاء اختيار قائد قوي يلتف حوله المومنون الأتقياء. وقد حان الوقت لإعلان الحرب المقدسة، فهل سننتظر دون إطلاق النار حتى يصل العدو إلى مشارف الأسوار (أسوار مدينة مراكش)؟

فقال الآخرون :

يجب أن نتحرك فوراً ونعين قائدا للمقاومة.

فقد سيدي محمد ولد مولاي رشيد : (18)

— إن الرجل الذي يستحق أن يكون سلطانا هو العالم والعارف الخليفة ابن الصغير للسلطان ( حتى لا يلتبس مع مولاي امحمد الأكبر منه سنا ) الشهم والشجاع صاحب

الأدي البيضاء على الناس ومحط الرضى سيد ومولان عبد الحفيظ ابن سيدنا الحسن بن سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام نصره الله.

فهض سي المدني لكلاوي وانحى أمام مولاي عبد الحفيظ وقل :

— الله يبارك في عمر سيد، مولاي عبد الحفيظ !

فرد كل الحصريين هذه لعبارة بحرارة، ثم أنو لتوقيع عقد لبيعة.

وأصبح للمغرب سلطان ثن وهي اليوم ذاته فتح مولاي عبد الحفيظ محارن الأسلحة والمؤن، وصنديق الخزنة، في وقت كنت لمدفع تصدر طلقتها (إعلانا لبيهة والفرح)، والبراحة يجرون في شوارع المدينة مرددين :

— الله ينصر مولاي عبد الحفيظ !

وفي اليوم الموالي بدأت تتوافد « الهدايا » لى دار المحرن. وكان في مقدمة أهالي مراكش : عبد الحميد بن عبد السلام اوررازي بن الناشا، وكنا نرى ضمن الهدايا المعتادة بعض الإمام والحيول المسرجة بأحسن طريقة وحاء اليهود في مقدمتهم اسحاق كركس Isac Carcos، مرندين ثيهم لمزينة بحرير. وكان مولاي عبد الحفيظ يستقبل التحايا والهدايا معتب عرش أحبه في « القبة » التي كنت مكتب السلطان، والمدني الكلاوي على يمينه والكندافي على يساره

فأعطيت الأوامر بالهجوم ونهب دار بلعربي قائد « فرايكية » ( أصحاب الفراك ) مولاي عبد العزيز، حيث وحدا ضمن أشياء أخرى كيس مينا « باللويز » ( الذهب ) بين قفطين.

ورار مولاي عبد الحفيظ بعد ذلك صريح سيدي بلعبس السبتي، وصريح مولاي عبد الله بن احساين الحسي شريف مصوحت، ثم قرر بعد ذلك تعيين مولاي بوبكر حيفة على الحور وسوس وعبد الحميد والوررزي نشت على مراكش، وأمر أحير، بإخراج الفراك استعدادا للإنطلاق القادم مع محنته إلى الشاوية، فأرسلت الرسائل المعتدة إلى كل القبائل مختومة بخاتم مولاي عبد الحفيظ بن مولاي الحسن.

فبايعه الرحامنة والساوينة وقبائل الحور على التوالي، بستثناء القائدين مفسوس والكلولي، والشاوية ودكلة وعدة

لكن ماذا يحدث في فاس؟ فقد وصل إليها خبر مبايعة مولاي عبد الحفيظ دون أن يثير ذلك ستغراب لكن مصحوب ببعض عدم لدات والإكثرت ولإستهراء، ليس من الذي بويج سلطان، وله جميع لموصفت لذلك، ولكن من هؤلاء الذين بيعوه، لأنث تعمد أنه لا يوجد العدماء إلا نفس وهم من لهم لصلاحية والشرعية في إقراربيعة السلطان



ورجع بوشتي البغدادي من طنجة، بطلب من مولاي عبد العزيز لقيادة محلته، ويتنظر دائم الأيام والظروف المناسبة للإطلاق، وأصبح السلطان أكثر غضبا وحفا من تتبع تحركات أخيه ومحاولاته لإزاحته عن العرش. فكثف مجهوداته في الإستعدادات، علما بأن قبائل الجنوب لم تبعث له بأي رجل.

ولما لاحظ أن الفاسيين قد استقبلوا هذه المباينة ببرودة، جمع العلماء بمسجد القرويين، وطلب منهم الإجابة عن هذين السؤالين :

— هل حان وقت الحرب المقدسة؟

— هل يحق لخليفة الحوز مولاي عبد الحفيظ أن يأخذ العرش؟

وبعدما فكر العلماء جيدا، أجابوا بما يلي :

— لا، لم يحن الوقت لإعلان الحرب المقدسة مادام أن الأجانب لا يحتلون وجدة والدار البيضاء إلا لمدة حل مشكل اغتيال أتباعهم، ثم إن مولاي عبد الحفيظ ليس له الحق في ادعائه، لأنه لا يمكن أن يكون هناك سلطان إلا إذا كان ذا أشرعية تامة، فسلطاننا إذن هو مولاي عبد العزيز.

وعقب هذه الإجابات المناسبة غادر مولاي عبد العزيز فاس بمحلة من حوالي 3000 رجل ( 12 شتير 1907 ) ووصل إلى الرباط ( 23 شتير )، وكانت الحراسة الخلفية تقصف كالعدة القبائل الموجودة في الطريق : بني مطير، وكروان، وبني احسن.

وهذا في وقت كان فيه الفرنسيون بتادرت ( 11 شتير )، واستسلم زنطة والزيائدة وأولاد ريان وفي الوقت الذي وصلت فيه محلة مولاي عبد العزيز الرباط عائرة أراضي قبائل متمردة، كان مولاي عبد الحفيظ قد تحرك بإرساله محلة من 3500 رجل وأربع مدافع، مكونة في أغلبها من الرحامنة والسراغنة، بقيادة سيدي محمد ولد مولاي رشيد إلى الشاوية، لاستمالة القبائل إليه وإعاقة تحركات الفرنسيين في المنطقة ( غادرت هذه المحلة مراكش يوم 16 شتير )، فمرت عبر سطات لتعسكر بين قصبة مديونة وبرشيد، وحلبت حولها كلا من المذاكرة وأولاد زيان وأولاد سعيد، وأولاد سيدي بن داود، وأولاد بوزيري، والمزامرة.

كما ذهبت محلة « حفيظية » أخرى إلى بلاد حاحة حيث يوجد القائد انفلوس، فبعث الحزن ضدها جنودا نظاميين 300 من طنجة، و400 من الرباط ( 23 أكتوبر ).

وفي نفس الوقت ( 15 أكتوبر ) كانت محلة مولاي عبد العزيز قد غادرت الرباط في اتجاه مراكش بقيادة بوشتي البغدادي مع الشريف مولاي الزين أخ السلطان، ومادمت

أحدثت عن إخوته فريسي شير إلى أنه قد صحب معه أخه مولاي امحمد لمزيد من الإحتياط، وترك نفاس أخه مولاي الكبير، وكذا نرى أيضا ضمن هذه المحنة مولاي عبد المالك عم مولاي حسن، وسيدي عبد المالك بن عبد لقادر الذي سنجده في مرحلة لاحقة بالريف. ووصل عدد أفراد هذه المحنة 4000 رجل وسرية مدفعية (3 مدافع)، وبعض الرشاشات Maxim، وضابطان حرائب مدرين (سدرة والمدحي)، وعززت المحنة في لطريق بوحدات القائد قسم، والقائد ولد مامحمد الشركي قائد شراكة الحالي (1925)، الذي كان معاديا كبيرا لبوشتي اسعددي، وسيؤكد ذلك عند فراره منذ أول مواجهته

فعبون قصبة تمارة، وسيدي يحيى، وود الشراط وسيدي بن سميان عند الزيادة التي يسميها لفرسيون حلب Boulhau وفي هذا المكان نشبت معركة مع المذاكرة الذين لم يكونوا وحدهم، بل كانوا مؤازرين « بجنود » من محنة مولاي عبد الحفيظ بقيادة شخص يدعى : القائد رحو الذي كان له مدفع ويتبعه كثير من الشاوية. فقوم بوشتي بشجاعة وكاد أن يهزم، فطلب من وحدته الرجوع إلى المعسكر حيث طردوا العدو وأجبروا على المواجهة حتى حدود سهل فتم بعد نجاحهم في الوضعية، حيث كانت تتوالى القذائف على المعسكر، لدرجة أنه عذره كثير من الجنود في اتجاه بوزنقه مطردس دائما من قبل المذاكرة لكن سحط أقل من المعسكر، وبمجيء الصبح توقفت المطردة، وعسكر بقصبة الصحيرب (29 بوسر)، ووصل في ليوم التالي إلى تمارة عند الودية حيث مكثت خمسة عشر يوم

ويجب لقول إنه قد صعدت في هذه المواجهة عدة أمتعة وخيام، وأسلحة وأكياس المؤونة، وتركت عدة غار وخيول رغم تعميمات وتسيير بلغزي الصدم لبوشتي البغادي الذي كان يعاقب لخطئين كثيرا. فكذلك مخلف قواد الرحي للأفواج النظامية يكرهونه ليس لهذا لسبب ولكنه لأهم كانوا حفيظيين وأهم يرعبون في خدمة هذا السلطان الجديد المباع في مراكز المعادي للمسحيين، بدل تنفيذ أوامر بوشتي الذي يتلقى التعديلات من الجنرال Drude، وامنوطى مع الفرنسيين وكان هؤلاء القواد يبيعون في طريق، رصاصهم بالآلاف لشوية، ويتركون صوابيرهم تتحرك كقطع خشب فوق الماء. فأنهت بوشتي، وحوه ولد مامحمد لشركي الذي عذره وتراجع مع فرسانه عند أول لمواجهة سيدي بن سليمان، لقد كان بوشتي محارب جيدا، ولا يمكن أن نلومه على انهزامه أدم أتبع مولاي عبد الحفيظ، المتحمزين حمدا وفرحا يفعلون، وكان من نتائج هذه العملية انضمام حلف حمو لريسي وضموس إلى مولاي عبد الحفيظ.

وبعد سترحت محنة بوشتي ورممت صفوفها، رجعت إلى لربط، حيث يوجد السلطان معسكر دائما كدس، قرب من در الحرب، حيث بقي دون حرك إلى حدود ماي

وكانت فاس في هذه الأثناء هادئة.

فالروكي بوحمارة موجود دائما عند كبدانة بقصبة سلوان، حيث دخل في علاقات مع الإنسان من أجل ترميم صفوفه بالأسلحة والمؤن، مع العلم أنه لم يعد معه أفراد كثيرون ويحاول إعدده لإعتبار إليه، والاستمرار في لعب دور سلطان وهمي أمام أنساعه.

وقد كان مراقبا في هذه الجهة بحلة وجده العسكرية بالسعيدية، لكن هذه الأخيرة لم تعد تتوصل، ومد مدة، بأجورها، ولم يعد يعيش أفرادها إلا من نهب جبريهم يمينا ويسارا بل حتى القنائل الخاضعة للمخزن، ولم يعد يسودها أي نظام، ولم تصبح سوى جمعة من لرجل لاقيمة لها، ودون انسجام فيما بينها، أي جماعة من البصوص باعوا أسلحتهم من أجل الطعام بل إن قائدها عبد الرحمان من عبد الصادق قد سرق بدوره حيث أخذ قائد الرحي الجليلي السرخيني خيمته وخيوله وأمتعته شارحا لهم بأنه من الأفضل له حماية نفسه.

ورغم هذه الظروف بقت معسكرة أمام سلوان محاصرة بوحمارة، حيث سجدتهم بها في مرحلة لاحقة.

وماذا عن أخبار مولاي عبد الحفيظ؟

فبعد مبايعته، ولكونه دبلوماسيا قويا. ولكي يتقرب من الأقوياء، تزوج إحدى بنات سي المدني لكلاوي لالة ربيعة، وبنت موحى أحمو الزباني لالة ربيعة، وكنت هذه الأخيرة قد أهديت لمولاي الحسن أثناء محلته الأخيرة، فبقيت بحريم مراكش، وتوفي السلطان بنار ولد زيدوح، وقد كان مولاي عبد الحفيظ يبحث على تمتين علاقته بالمحارب القوي في رين، وعلى المرور من أراضي من أجل الوصول إلى هدفه الكبير : فاس، فتزوج بنته، واعظم إليه موحى أحمو بسهولة بعد مواجهة سيدي بن سليمان التي حكيت لك عها

وقد حدث وقت الإنطلاق من مراكش أفراد قصره، ومخزنه الذين كنا نلاحظ منهم. الوزير الأول سي المدني الكلاوي، وسي عيسى بن عمر وزير الشؤون الخارجية، والشريف سي محمد البعزاري الذي يحترمه الشاوية كثيرا، ونساؤه وخيامه ووحداته من لرحامنة وكلاوة وقنائل الحوز، وبعض المدافع والرشاشات فغادر مولاي عبد الحفيظ هذه المدينة في الأيام الأولى من دجنبر عبر زاوية بن ساسي وتملالت الجديد.

لكن هه بدأت المشاكل مع السراغنة أتباع مولاي عبد العزيز الذين حملوا السلاح تشجيع من وني يسمى سي محمد بن داود. وبعد مناوشات بسيطة ومفاوضت كثيرة، استسلموا وأمكن للمحلة أن تعسكر بالقلعة عاصمتهم (92 دجنبر 1907).

وبعد إقامة طوبخة سسر عنه عبر مولاي عبد الحفيظ هذه لأرصي مع أصدقائه الرحمة ليصل إلى مشرع الشعير وهو معمر عنى وادأم الربيع فوق واد كيسر معص الشيء (26 يناير 1908). وفي هذا المكان وصنه بأمايعة أهل فاس له (4 يناير).

ذلك أن أعين المدينة، القيقون من شش أني اصطب حركة مولاي عبد العرير، وتقدم الأفواج الفرنسية في الشوية، وانهزام محنة ولد مولاي رشيد بقصبة مديونة (1-1908)، والشرف والعناء وكل من يعتد وجودهم في مثل هذه المناسبات. قد اجتمعوا بمسجد مولاي ادريس. حيث تناقشوا في طبيعة الوضع سلب وإيجابا، وانتقدوا تسيير السلطان لشؤون وكثرة بدون (فقد طلب لسمند من مدة قرية مديون ونصف من فرنسا) وقرروا في النهاية، مبيعة مولاي عبد الحفيظ لكن شريطة أن يأخذ هذا السلطان الحديد مجموعة من التدبير لإقنود الأوضاع الحالية للمغرب، وأول تلك التدبير، مواصلة الحرب المقدسة دون هوادة وثابها إزالة الحواجز لدخول لمس والأسوق. وثالثها لا يسمح بوجود الأوروبيين إلا في لمياءات، والسكن في «الملاحات» (لكن عندما وصل مولاي عبد الحفيظ إلى فاس، لم يستطع أولم يرد تطبيق شروط وطلبات الأعيان، بل فرض مبالغ جديدة مضاعفة للأحرية الدولة)، وعدم عينو سي عبد السلام لأمراني ممثل لسلطان في فاس، عتو سوف لإحدر السلطان بهذا مستحده. (الوفد الذي جاء إلى مشرع الشعير)

فسر مولاي عبد الحفيظ برؤية أفراد الوحد. وبعث رسلا إلى مر كس لإعلان بديعة الحرب المقدسة بها، وطلب من الأمراني القديم بالشيء نفسه في فاس، وبعث إليه بأفواج كثيرة وقوية من لرجن ولتحق بالسلطان فيمعد عدة لاف من الرجب، لكن سلاحهم عتيق، ويقصهم لرصدص والبرود وكنت حزائن القصبة شبه فارغة. وبصفة عامة، بدأت القنائل تستجيب شيئا فشيئا لهذا النداء، ولم تكن تشهد في هذه الوحدات الموجودة مشرع الشعير، لاعمة ولا الشيطمة ولاححة ولادكلة، ولا سوس درعة.

ثم لتحق بالسلطان في مشرع الشعير. الملامر المخلص سيدي محمد بن مولاي رشيد مريضا تارك وراءه أفواج الشوية تحت قيده عمرو السكتسي، وحكى له ما يقع في الشمر فقد أصبح عنى رأس لفرسيين فائد حديد لجيسرل داماد D'Amade (الذي وصل يوم 5 يناير) لا يسير عنى نهج سديقه، حيث كان يترك حرسة قوية في المدعو التي يحتجها، فكانت توجد مجموعات في كل مكان في سوريقة وفضلة ومديونة وسطت ورشيد. فأرسلت وحدات تقوية مع الشريف مولاي امامون

وظل مولاي عبد الحفيظ دائم مشرع الشعير. ينتظر ويسمع قلقا من سير الأمور، وفي هذه الفية هرم فرسيوب عمر ولسكتاني في بلاد المدكرة، ورجع سيعراوي الذي

بعث لهجوم جديد إلى معسكر مشرع الشعير منهزما (7 أبريل)، وكنا نسمع بين الفترة والأخرى أصوات المدافع، ما العمل؟ ما الذي قمنا به منذ ثلاثة أشهر؟ فاستدعى مولاي عبد الحفيظ محمدا للتشاور في سير الأوضاع : فبعضهم يريد الرجوع إلى مراكش، والعص الآخر يريد البقاء هنا للتقوي أكثر وحماية معبر الواد. والإتصار على العدو قبل أن يصل إلى فاس فبرابرة موحى أحمو الزياتي سوف يلتحقون بالسلطان احميد الذي سيدخر إلى فاس دخول المنتصرين حاضيا برضى الجميع. لكن هل سيصل العدو إلى حدود الواد؟ تحدث آخرون، ومن ضمنهم البعزوي، للسلطان عن المخاطر التي تحيط به وعن وصعته غير المناسبة. فمن الأفضل الذهاب نحو فاس حيث يستطيع مولاي عبد الحفيظ بالنقود ومساعدة أعيان فاس معاقبة هؤلاء المتمردين حين يحين الوقت لذلك.

فأخذ مولاي عبد الحفيظ بهذه الاعتبارات والحشيات، خاصة أن وحدات التقوية التي أرسدها في هذه الفترة قد نقص اعداد أفراد جنودها، فلم يعد بجانبه سوى بعض الألف من الرجال وعشرات الرشاشات وأربعة مدافع، لكن أصدقاء ظلوا دائما ملارمين له وأعني بهم : المدي لكلاوي، وسي عيسى، والبعزوي وأتباعه الأوفياء من زيان أصحاب موحى أحمو الزياتي المكونين لحرسه الخاص، وقرر الذهاب إلى فاس شرقا، وهكذا انطلقا نحو بلاد سي مسكين (21، 23 أبريل) ثم مررنا بملكو، وصخرة الدجاجة، وعين مازا ببلاد بني خيران، ثم سيدي محمد ولد البصير، وسيدي عتروس ببلاد السماعلة ثم إلى واد كرو ومشع عشرين زوج حيث ارتحنا بعض الشيء. فوصل مولاي عبد الحفيظ إلى ضواحي مكناس عبر مولاي بوعزة وولماس وواد بهت ودخل المدينة دخولا احتفاليا (15 ماي)، وشعبيا كبيرين، وجاءت أفواج الكيش للأئحناء أمامه ومبايعته.

وبينما كان مولاي عبد الحفيظ يتقدم نحو مكناس، كان قد أعطى أوامره لقبائل الشاوية بالتوقف عن الحرب، وإمداده بالأفواج والوحدات التي كانت موحودة بناحيتهم، ففهمت القبائل المنهكة أنه قد انهزمت فاستسلمت الواحدة تلو أخرى للجنرال دامد D'Amade وقد كانت هذه الجهة كلها ترغب في السلام والتوقف عن الحرب.

وقد حاول السلطان الثاني - مولاي عبد العزيز الموجود دائما بالرباط، أن يواجه تقدم تحرك أحيه نحو فاس.

وفي ماي 1908 اجتمعت حملة عسكرية بقيادة بوشتي البغدادى في سلا بالحدائق المجاورة للمدينة، استعدادا للإنتلاق نحو فاس لمنع دخول مولاي عبد الحفيظ إلى هذه العاصمة فوصلت هذه الحملة إلى القنيطرة. (19) ثم سيدي عايش ومشع انرمة حيث توقفت، وكان قائد هذه الحملة هو مولاي الزين، والعارف بطرق ومسالك هذه الجهة هو القائد بلعروسي من بني احسن. وكانت وحدات النظاميين تحت قيادة قائد الرحى بن

دحان العددي، وعضد لشرردة وسي حسن، وفي مشرع الرمة، شع في كر السلاذ أن مولاي عبد الحفيظ الذي وصل إلى مكندس عبر ملاذ زبن وقد استقله أهل فاس استقبالا حارا ورائعا، فتضح لعص هؤلاء ارحر - الذين كذ كثير منهم من أتدع مولاي عبد الحفيظ - أن هذه الحمة سم يعد يرحى من وراثها أى طلل، واعترو أن مهمتهم قد انتهت وتوصل بوشنى البعدادي رسالة من لسطط مدعوه فيها بأن ينظم مع أتدعه إلى صفوفه وأنه سيوليهم عدة جيدة، وأصاف بأن أتدعه من الشرردة وسي حسن معسكرون بودي بهت سيمعنونهم من المورر - فرفض بوشنى الخيانة وطلب من أفوجه الرجوع إلى الرباط. وهكذا رجعت هذه المحلة إلى أكذال دون إطلاق رصاصة واحدة.

ودخل مولاي عبد الحفيظ إلى فاس وسط 1500 جندي (في 6 يونيو 1908)، فتوالت اعتراضات ومبيعة المدن وانقائس من كر الجهة (القصر، تطوان) حصاة بعد مبايعة مدينة فاس ذات الإشعاع اجهوي و لوطي لمهم

أم هو، فقد بحث في كر أرحاء دار المحرر عن لحرث التي يكر أن يكون مولاي عبد العزيز قد تركها، لكنه لم يجد شيئا - فستدعى الأعين ع فيهم من ليسو معه وقال لهم

"إبي فرح ومسورر عديعتكم وستقبلكم الحار لي (بنير)، وفي مستعد لأن أئدارس معكم كل الإصلاحات الفعلة واحادة، من أحل خنق وضعية أحسن من تدك التي تركها مولاي عبد العزيز - سامحه الله - لكن اعسمو أن الشروط التي وضعتموه غير مقولة، فأنتم مبالغون كثيرا، فحقكم لمشروع يعصي عكم الحقيقة، فهم بتعنق بالأروبيين فإنه من المستحل أن محرهم على احيه في الملاحات ثم إن القوة لا تنفع معهم، لكن وفي القتال، من السهر معهم من الدحول إلى فاس ومراكش، أما سلسة لشرطين الآخرين فإن أحدهم متعلق بالآخر فمن أحل القيم بالحرب لابد من لمل، بل وكثير من لمل، وقد وجدت الحرية ذرعة من جهة، وأمولها مسرة بشكل غير مسؤول، ثم يكم تريدون من جهة أخرى، أن ألغي كل الضرائب ولا أقوم بأي اقتراض. ولهذا يصعب على القيم بواجبي المقدس والذي من أحده بايعتموسي، وهكذا سأعمل في مقدس على الرفع من دفع كل المستحقات والضرائب، لئمتلا الحرية، إذا أوصى ذلك الله، وأقدم لكم الأمداء المكلفين بتنفيذ هذه المهمة".

فنظر الأعيان عصهم إلى عص مدهشين ككر لم يقولوا أي شيء

وبعد ذلك وصل بوشنى البعدادي من الرباط لسطط إلى مولاي عبد الحفيظ، وكان في استقبله أحوه سعيد، فسر سبطن لإصمام هذا الحار لقيوي. وعين اسعيد قائدا على أولاد ججمع، لكن لقتد القديم ولد سمحمد شركي (المحبر بالقرر الجديد) جاء إلى

القصر ليهدي إلى السلطان (50000 دورو) (250000 فرنك) من أجل الإبقاء عليه في منصبه. فاعتقل مولاي عبد الحفيظ الأخوان بوشتي واسعيد البغدادى، وصادر كل ممتلكتهما<sup>(20)</sup>.

وشرع أهل فاس ينتقدون بقوة قرارات سيدهم / سلطانهم الجديد.

ورغم كل هذا فإن مولاي عبد العزيز لم يعترف بالهزيمة. رغم كثرة انسحابات الجنود إلى الجهة الأخرى ظانين أنهم سيتقاضون رواتب أحسن، وإستشار في هذا الشأن كل الناس الدين لا يعرفون إلا مجاراته. وكان بالرباط M. Gaillard et M. Regnault. لكن لم يستطيعوا قول كبير شيء لأن الكل كان محتارا مترددا. وقال له بعض العلماء أن بقاءه بالرباط مكتوف الأيدي لا يزيد إلا التأزيم وضعيته أكثر فلا بد أن يبحث عن حل سواء بالإنجاء نحو فاس أو مراكش. فاستشار سيدي محمد بن داود من أبي الجعد الذي أجابه بأن عليه الذهاب إلى مراكش مروراً بالشاوية وبني مسكين، وبعد ذلك سيصل إلى بلاد السراغنة الذين ظلوا أوفياء له ومن هنا لن يبقى عليه سوى مد اليد للمتوكل الذي يتحكم جيدا في ضواحي مراكش، والذي هزم قبل مدة قرية القائد الحفيظي العيادي عبد الرحمن. وذهب فعلا مولاي عبد العزيز إلى مراكش بعد أن ترك نساءه وعياله بدار المخزن بالرباط، وفي حالة انهزامه سيطلب من الفرنسيين الرجوع إلى الشاوية عبر المنطقة التي يحتلوها، أم في حالة الانتصار رفقة قبائل الجنوب فسينطلق نحو فاس، ومن باب الإحتياط، أخذ أخاه مولاي امحمد إلى الدار البيضاء حيث ظل تحت حراسة الفرنسيين مخافة أن يعقبه زعيم إلى الرباط ويبيعونه.

فعدت الحملة لمغادرة الرباط يوم 12 يوليوز 1908، وكانت تتضمن عددا من الأوروبيين من البعثات العسكرية : المقدم Farriau والقبطان Rondenet والطبيب - النقيب Fourniel والملازم Maréchal، الذي اغتيل فيما بعد بفاس، والطبيب الإنجليزي Verdon طبيب السطون، والمدرّب العسكري الإنجليزي Bolding الذي تودى عليه لخدمة المخزن سنة 1903 وماك لان الذي كان في هذه الأثناء ببلاده إنجلترا؟

وقد كانت هذه الحملة المكونة من بعض أهل الغرب، وخاصة من أهل الحوز قد عززت بحوالي 3000 فارس من الشاوية بمختلف أقفادها : الزايدة، والمداكرة، وأولاد بوزيري وأولاد احريز، وأولاد زيان، بقيادة وزيرالحرب بن عبد الواحد. وقد توالى على هذه الوزارة الكياص الذي جاء من طنجة لتنظيم حملة ضد الريسولي، وعين ممثلا للسليطن بطنجة. فتاب عنه ابنه الذي كان خليفته خلال شهر، ثم عوض سي عثمان الجراي الذي ذهب خلال الأيام الأولى من يونيو 1908 إلى وجدة بصفة مندوب السلطان لدى الحكومة الفرنسية وعوض هو بدوره بعبد الواحد.

وكان الوزير لأول هو سيدي عبد الكريم بن سديم الذي موجودا باخرة أيضا، أما سي فضول عريبط فقد أنه هزم لا يقوى على التحرك وكان التحرك أشيخ قد تسأ بالهزيمة، وكان قائد المشور هو سي دريس بن يعيش الذي مرض بالربط، وسبب موت بعد مدة من ذلك وكان حبيبته بوشتي بن الفيلالي لا يحضى بمكانة محترمة في لحرور فعين بالنسبة عنه ولمدة مؤقتة بخاري يسمى سعيد بن المربط.

وكان هناك أيضا ( في المحلة ) مولاي عبد العزيز مع بعض الساء والجواري والعبيد في حدود الإثني عشر وترك الأحرار في مندرله بالربط ومكناس، ولم يكن هناك أي شعور بالثقة يسود هذه الحملة، فكان كل واحد يحس دون أن يصرح بذلك أن حكومة مولاي عبد العزيز آتية للهرجة والقتل، وأن أغلب الجنود كانوا مستعدين لتغيير رأيهم والرجوع دون محاربة.

فأخذت عدة احتياطات قبل الإنطلاق، حيث وجهت حركة أسفي بقيادة مولاي الزين وسي محمد بن عيسى لاحتلال المينة، وقيادة العميات من تمة بمساعدة القواد الجهويين نحو المتوكي الموالي لمولاي عبد العريز والمعارض القوي للكلالوي، وكما وجه إلى الصورة الأفراد الذين يملكون نحو مولاي عبد الحفيظ، بقيادة العزيري «الحاج عمر التازي» الذي كانت مهمته لسرية مراقبة تحركات القائد أموس، وسيرا على نهج أجداده وخوفه من أن يعتال فقد أبعد السيطر عنه كل المشكوك فيهم، من أجل ضمان لأمن والإطمئنان في هذه الحملة ويحاول الإستيلاء على امرسی مدم أن فاس قد صاغت منه.

وقد أخطر مولاي عبد الحفيظ لهجوم الذي يعده مولاي عبد العزيز صده وأعتقد أنه كان ينقصه المال لأنه أخرج لفراك ولم يستطع الإنطلاق إلا في 30 يوليو فبعث محنة بقيادة سي المديني وسي عيسى بن عمر مع الوحدات، وحمس مدافع، كان عيبه الوصول إلى مراكش مروراً سلاذ زيان

وقد تحركت في هذه الفترة أيضا فاش شرق بقوة، بيرعارس الروكي بوحمرة الذي وجد الوقت مناسباً ليعب دوراً هاماً، فأنه نحو ترة حيث حرض غيابة والحياينة (23 يوليو)، وبدأ في قتل فودهم.

واطلقت إد حملة مولاي عبد العريز يوم 17 يوليو، وكانت أول محطاته تدرية، وتوجهت بعد ذلك نحو رمور وبني حيران ثم صحرة لندجاجة ثم دار ولد لشافعي قرب واد أم الربيع حيث مكثنا خمسة عشر يوماً، ومن هنا انطلق القائد الامدعي في مهمة مع بعض الجنود نحو لرحمة لكنه لم يعجب سوى يومين، حيث استقبل بحفاوة من أهالي المنطقة، وهو حم يعنف بعد ساعت من ذلك ورجع مع كل رحيله مهروم سعد فقد



جوادين. وأحيرا عبرنا الواد عبر مشرع بن خلو نحو أولاد الشرقي حيث وصلنا إلى دار سي  
 علال الشرقي (9 غشت) ثم إلى قلعة السراغنة (10 غشت) التي رأينا فيها وصول ابن  
 ادريس بن يعيش سي محمد الحسن (الحاجب الحالي) من الرباط يحمل إلى السلطان نبأ  
 وفاة أبيه (ادريس بن يعيش) فبقينا خمسة أيام بقلعة السراغنة في قلق، وبدأ أفراد المحنة  
 يفقدون الثقة وتعددت وجهات النظر، فبعضهم يريد الرجوع إلى الرباط، والبعض الآخر  
 يريد الذهاب مباشرة إلى مراكش، ورأى الفريق الثالث بوجوب الذهاب إلى دلمات وانطلقت  
 في الأخير لتوقف بواد تاساوت، وقمنا من هذا المعسكر بصوكة ضد دار ولد جكير حيث  
 توجد أفواج حفيظية في واجهة حراسة أمامية بقيادة عمر والسكتاني، وكانت مهمتها  
 ناجحة حيث اعتقلت عدة أسرى ونهت الدار، وهرب السكتاني إلى الجبل، ورجعت  
 الصوكة إلى واد تاساوت مزهوة بهذا الانتصار، وبعد أيام من الراحة علمنا أن محلة مهمة  
 بعض الشيء قد تجمعت على قدم الأطلس بقيادة العيادي الرحماني، فاستدعى مولاي  
 عبد العزيز اسراغنة الموالين له، ووزع عليهم الأسلحة والمؤن لمواجهة العيادي، البعيد من  
 هنا في غير عحية على الضفة اليسرى لواد تاساوت.

فانطلقت على الساعة الثانية صباحا، ومشينا حتى حدود الساعة السابعة. حيث ظهر  
 بعض العباء على المشاة، فكان يركب اثنين أو أكثر على فرس أو بغل، وقد كان المسير متعبا  
 جدا وغير منظم وانطلاقه تصرف خطأ، فقد كان هناك حوالي 3000 فرس، لكنها وصلت  
 متعبة جدا. حتى إنه كان ينزل من على ظهرها في الساعات، وتفرق أفراد المحلة التي كانت  
 تمتد على طول حمس أو ست كيلومترات، وكلما اقتربنا من الوصول كم راد عدد  
 المتأخرين الذين يستقلون هذه الوضعية للإختفاء.

وعندما وصل معظم الفوج الأول أمام معسكر العيادي، الذي تراجع وتركهم يتبنونه  
 متفرقين متعبين. بدأت المواجهة ولم تستغرق سوى عشر دقائق. حيث كان المحاربون  
 البعيدون من المواجهة وفرسان الشاوية من المذاكرة وأولاد بوزيري يحاربون متراجعين إلى  
 الورا ومحدثين مزيدا من القوضى والإضطراب فرجعوا شبه غير محاربين تاركين أسلحتهم  
 ومؤناتهم وبغالهم وأمتعته لرجال العيادي الرحامنة وكلاوة الذين يطاردونهم، فاتجهوا  
 نحو معسكرهم القديم وسط تيران الأصحاب والأعداء، ولم يعد يفكر كل واحد إلا كيف  
 يسجو نفسه فقط. فبقت المدافع في ساحة المواجهة، وأطلقت البغال التي كانت تجرها  
 للفرار بأسرع وقت، إنها فعلا هزيمة كبيرة دون حرب تقريباً. وقد عمل السكك المجاورون  
 لمعسكرنا أيضا على سكب الماء في السواقي لإعاقة تحركات فرساننا وجنودنا، وكان المعسكر  
 قد نهب بما في ذلك صناديق السلطان الخاصة وكان السلطان يتابع هذه الإندحارات والمشاهد  
 بحزن وأسف ولم يعد من الممكن سماع أي نداء لجمع وتقوية المحلة من جديد. وسمعت

طلقات رصاص في المعسكر ولا يعرف هل أعدوؤ هم من يقصفون من فوق أو أتبعنا. لا يهتم. ولكن أصبح حصير ، وعسكر لعددي سيصون بين القصة ولأخرى. وعلم السلطان ( مولاي عبد العزيز) بدلع خرد أن وريته في احرب قد أصيب ورأى أحده مولاي يوسف أن السلطان الحالي قد أصيب في رحله. ففهم أنه فقد المواجهة. فحمل نساءه على البغال وتراجع بسرعة نحو لعرب وسط حرسه الخاص فقط.

وقد دامت المواجهة صد العيدي ما بين الساعة والثامنة صباحا. وفي وقت الزوال كان معسكرا ود تسوت مشط قدم وهر أغلب أتبع مولاي عبد العزيز نحو أم الربيع تاركين القلعة على يسارهم

وقد كن دليل كنه سبب لتشحر وصراع للصوص ونقاتهم. بما لأنهم يريدون أن يطهروا أنهم أعداء أو أنهم يريدون ختلاص وسرفة الأسلحة والمؤن والبقود واخيول، وكانوا يقابلون بطلقات الرصاص من أفراد الدواوير التي يمررون بها من حلف أسوار المنارل، مما يعني بأنه لا يوجد هـ أي مكان لنحو أو لإحتماء. وكنا يسبون من بين المصايق ليروا نتائج قصفهم، ويتركون الجثث، إذا ماكنت، عارية وعشا كان القائد يحاول لم هذه المجموعات من اللصوص والهديين. لقد كنت فعلا هزعة. نكراء لرحال حمقى عراة أو نصف عراة. وأمكن لسي قدور س عرنيط الذي بعثه M Regnault من الشوية أن يشفي غليله بهذا النظر

وأخيرا، وبعد عبور ود أم الربيع، حسب استطعتنا، وصلنا إلى مشرع سوحسينة ومشرع الخليفة ومشرع الشعير. وتوقف أتبع مولاي عبد الحفيظ على مطاردة. وتفرق كل أفراد حملتنا غير النظاميين إلى بلدانهم، كل حسب وحتته. أما التنظيميون فعبروا بلاد بني مسكين، ووصلوا إلى سطات. وكان السلطان معنا، عبر اولاد سي بن داود.

وفي الطريق، كان المبعوثون العسكريون الفرنسيون قد تعرضوا لمحاولات اغتيال كثيرة لأسباب مختلفة، لكن أهمهم هؤلاء المهتاحين الإنفعاليين ما هي العواقب الوخيمة التي قد تترتب عن مثل هـ الإغتياب. وأُسرُق لمقدم Fartrau إلى العقيد ( لكوولوسين Brulard ) فوصلت حملة فرسية أمام فوحد المهروم. وقد كن وصول هؤلاء الجنود قد أنقذ حياة العديد من. وأصبح نحن بالأمد نطلقا من سطات، ومعلوم أن كن لوحداث التي تدخل إلى منطقة نفود الفرنسيين نفرد من السلاح بأمر من الجنرال D Amade ووصلنا إلى الدار البيضاء مرور، ببرشيد ومديونة، وعلى طول الطريق كن حرس المراكز الفرنسية يخرجون لإهداء الأسلحة للسلطان المسكين

وانعقد بالدار البيضاء مؤتمر جمع وزير فرنسا M. Regnault والجنرالين D'Amade وليوطي للبت في مصير مولاي عبد العزيز ومهي الإجراءات التي يجب اتخاذها في الظروف

الحالية. وقد كان بعض الجياع يقصدون الفرنسيين في مناطق نفوذهم الذين لا يبذلون عنهم شيئا ولم يفقد عبد العزيز الشجاعة حيث استمر في البحث عن أتباع حدد قبل أن يذهب إلى طنجة مقابل راتب شهري (3000 فرنك)، بعد أن تخلى عن جميع حقوق العرش. ووصل إلى طنجة يوم 24 نوفمبر، حيث انظم أغلب جنوده القدامى إلى مولاي عبد الحفيظ. وبقيت البعثة العسكرية الفرنسية بالدار البيضاء إلى إشعار آخر، لكن كرس ما فاته لك مند وصولنا إلى سطات لاشك أنه موضح أحسن في كتابك.

وبمجرد انتشار خبر هذه الهزيمة الكاملة والنهائية، في أرجاء البلاد، تقوت منزلة مولاي عبد الحفيظ بعد أن كانت مضطربة بعض الشيء، فأطلقت المدافع طلقتها بهماس، ورينت الأسواق بقطع قماش من الحرير، ودامت الإحتفالات سبعة أيام، وبيعت مدن جديدة مولاي عبد الحفيظ. وحيث انضم إلى السلطان خلال شهري غشت وشتنبر مدن الربط وسلا والعرائش والجديدة وأزمور ووجدة وآسفي والصويرة التي قتل بها الحفيظيون القائد انفوس (فالح شتبر)

ولازل بعض أتباع مولاي عبد العزيز هنا وهناك، ظلوا أوفياء له مثل أصيلا التي صمدت بشجاعة وبقيادة رجل حرب قوي يدعى بوعودة، أمام هجمات الرميكي باشا القصر المولي لمولاي عبد الحفيظ، والسراغنة والمتوكي الذي واصل تقدمه نحو مراكش التي حاصرها بعد أن هزم أفواج سي التهامي الكلاوي بفروكة، لكن ما لبث أن وصل سي المدني الكلاوي وسي عيسى بن عمر من فاس مع وحدتهما : صاحبين معهما مولاي الكبير أح السطاك الذي ذهب إلى فاس بعد مبايعة مولاي عبد الحفيظ، عبر أراضي زيان والأطلس والوصول إلى مراكش من دمنا، وكانت مهمة هذه الحملة تقتضي محاربة المتوكي الذي كان «عزيزيا» والحاج عمر التازي بالصويرة المعارضين للسلطان.

لكن لما وصلت هذه القوات إلى مراكش، فهموا أن أعداء المعارضين أقوى منهم، فتداولوا فيم بينهم، وقال سي عيسى بن عمر : «أنا أتساءل : لماذا سنحارب؟ ما علينا إلا طلب السلام، والتفاهم فيما بيننا، حيث سنقسم الجنوب فيما بيننا نحن الثلاثة، فلنتصالح ولنذهب إلى فاس»

وهذا ما تم فعلا حيث كانت هناك مفاوضات بينه وبين المتوكي والكلاوي. فاتفقوا أخيرا وعم السلام، واحترمت وحفظت مصالح كل واحد منهم.

فوصلوا كهم إلى فاس عبر الرباط لغرض واحد، وكان الوزير الأول الذي عوض ولمدة مؤقتة سي عباس الفاسي قد صاحب مع عائلة مولاي عبد الحفيظ قسما من أفراد عائلته وخيوله وكلاب صيده، ومروض نسور صيده. وتيقن كل العريزيين أنه لن يصيبهم بأذى لافي أديانهم ولا في متاعهم (فبراير 1909)، لكن بالوصول إلى الرباط عادر مولاي

الكبير المحنة دون سثنان منحها نحو أصدقائه من رموز، بحث على ألب القبايل ضد مولاي عبد الحفيظ وسأحكي لك عن هذا في فرصة أخرى.

— ووصل مولاي عبد الحفيظ إلى لربط ( في آخر أكتوبر 1908 )، واستقر بطنجة وبايعته الدار البيضاء (25 يوسر)، وطلب أن يكون أخوه مولاي الرين ومولاي امحمد بحبه

لكن هذا الأخير لم يقف مكتوف الأيدي بعد هزيمة مولاي عبد العزيز، حيث جاءت عدة رسائل من جهات عديدة من مغرب يقل له فيها « تدبر أمورك إذا أردت أن تكون سلطانا، فبد عني استعداد لمؤازرتك » بل إنه أعد حاقمه لسطسي، ومحافة أن يذهب جنوبا عبد الرحمة المستعدين لمؤازرته، في مولاي عبد الحفيظ وضعه في جاسبه حتى تراقب تحركاته.

وعاد مولاي امحمد لدار البيضاء ليصل إلى قصبة الصخيرات، حيث استقبله عرب ازعير الذي كان في مقدمتهم صديقه الخاسر عيسى الذي سيذهب معه إلى الجنوب، فوصل هؤلاء الرجال إلى تمارة، حيث كنو بعض شت من لمرس مع القند السويسي والحاج بن عيسى ونحوه بهدوء نحو لربط حيث فصى الليل، وفي يوم لمولي اطلق نحو فس تحت حراسة قويه، فسحر المسكين من حديد، ووضعت القيود في رحبه حتى نزالة الفرجي آخر مرجه قبل فس . وقد كن هذا الرجل مشهورا في لقبا التي يخاف السلطان رد فعلها إن هي رأته في هذه الوضعية، وعندما وصل إلى فس وضعه مولاي عبد الحفيظ في قبة والأعمال دائما في رحليه <sup>21</sup>.

وعرفت البعث العسكرية الفرنسية بعض لتعيرات ويمكن أن يكون ذلك من نتائج أحداث بن عجيبة عوض لمقدم Farnau بالمقدم Mangin الذي كن قائد الشرطة الدولية بطنجة ( كنور لوليس)، حيث كان مساعد القطان Breunond وأصبح لأطباء هم الأطباء النقاء Bellot et Cristian

وفي شتر بعث للارم سديرة لى طنجة عند سي المهدي اسهني، وزير الحرب السابق، المولي للإخبار لمراقبة تحركاته، وتذكر أنه عندما رجع من حُج مكث في منزله الذي به وجمع فيه كل متاعه، وأصبح محمي أنخبر.

كما كان بطنجة أيضا وجه معروف مك لا الذي ستأنف علاقته مع السلطان منذ وصوله إلى هذه المدينة وبعد مدة من قول السلطان مولاي عبد الحفيظ شروط مؤتمر الجزيرة الخضراء، عثرت به كل القوات الأوروبية، ويطقت لبعثة عسكرية لفرنسية نحو فس (دجنبر 1908)، وأرسل سي قور من عريبط لمقدمة لبهى بقدمه إلى فس، وبمجرد وصول لصباط قدموا لسلطان لكن كن ستقبلهم باردا.



## **ولاية مولاي عبد الحفيظ**

(من 19 غشت 24 1908 إلى 30 مارس 1912)



## المواجهات الحربية الأولى ضد آيت يوسي وبني مطير.

لقد كست بديه ولاية عبد الحفيظ صعبة، خاصة أن شيب ضروري كان يقصه وينقص خزينة الدولة. إنه القود فقد اقتصر من جميع الجهات لكن كل شيء تحرر. فما العمل بدون نقود؟ لاشيء، ثم إن بعض القبائل لم تؤد مستحقاتها من الضرائب منذ خمس أو ثمان سنوات بعد أن أنهكتهم الحروب. ومن المستحيل الذهب عند قبائل الشوية الذين انسجموا مع الفرنسيين الذين يسهرون على الأمن في المدن والأسواق.

فأدرك مولاي عبد الحفيظ أنه لابد من إعلان لسلام مع لأجبت و حصوع لشروط ومقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء، وهذا ما خطب به في المسجد ( دحسر 1908)، ولم تعترف القوات الأحسية بمولاي عبد الحفيظ إلا بعد استجابته لهذه القرارات.

فكل شيء بدأ كالسابق، فهي بداية ولاية مولاي عبد الحفيظ تشبه بدايات مولاي عبد العزيز، بنفس الأشخاص الذين يبدو أنهم انتعشوا واسترجعوا حيويتهم من حديد. فهاهو الريسوني قد طب وحصص على حكم منطق جبالة كما قلت لث سابق وهاهو بوحامرة وأتباعه يريد استئناف معامره القديمة، وههم آيت يوسي وبني مطير والمتمردون المعتادون قد أعلنوا العصيان ولابد من محاربتهم من جديد.

ووصل وزير فرنسا M. Regnault إلى فاس لينحدث مع السلطان حول الإجراءات الواجب اتخاذها، فأشار مولاي عبد الحفيظ بأنه يرغب أن تسحب فرنسا من برشيد ومدبونة، وأن لا يبقى في انداليس إلا مدة مؤقتة، حتى يعد محبته من جديد ويرجع الأوضاع إلى نصابها في سطة، ثم عوص مولاي الأمير سي محمد لأمره في الشاوية. ولم رأى مستوى المدرسين الفرنسيين الخيد أعجب بهم وعمدعتهم له، عين المقدم Mangin قائدا عاما لكل لمدرسين العسكرين ( 22 فبراير)، وسيلتحق به فيما بعد وحدات من بين 15 و20000 رجل، ثم توجه وزيره الأول وصهره سي المدي الكلاوي نحو فاس مع وحدات الجنوب ومنها إلى وحدة قصد تركيز الحدود في تلك المنطقة.

وفي الوقت الذي كنت فيه وحدات الجنوب وفودها سي مدي الكلاوي، وسي عيسى بن عمر، وسي عبد الله لتوكي، وفود الرحمة وبلاذ حمر متجهة نحو فاس



ولم تلتحق بها وحدات دكالة وحاحا أرسل مولاي عبد الحفيظ مبعوثين فرسين للبحث في القضيبة المعقدة في الشاوية والشرق. ثم عين سي الحاج محمد المقرى وزيراً في المالية، وسي عبد الله القدسي وزيراً في الخارجية « أثناء غياب سي عيسى بن عمر، (19 ماي).

فتنست البلاد الصعداء شيئاً ما، في انتظار الجديد، وكانت الشاوية هادئة.

وأصبح للفرنسيين قائد جديد (الجنرال Moinier الذي عوض AmadeD يوم 22 فبراير) لكن البرابرة وكعادتهم لازالوا مستمرين في تمردهم، فأرغم مولاي عبد الحفيظ على إرسال ثلاث محلات الأولى ضد آيت يوسي، والثانية ضد بني مطير، والثالثة لمراقبة تحركات بوحمارة

وجمعت الحملة المتجهة ضد آيت يوسي في فبراير بقيادة اسعيد البغدادى الذي أطلق السلطان سراحه، وسي محبوب عم مولاي الكبير، وكان طابور المشاة تحت قيادة بوعودة الذي التحق بصوف مولاي عبد الحفيظ، وكانت المدفعية مكونة من مدفع Hotchkiss ومدفعين حسيين (80 ملم). وعشرات الرشاشات Garner بقيادة الملازم بن اسديرة والمساعد (Adjudent Rouchon) وقائد الأفواج النظامية هو قائد الرحي بلخير التيزبني.

ووصبت هذه الحملة عبر فاس إلى صفرو حيث عسكرت تحت الزياتين (3 مارس)، ووقعت مواجهة قوية هناك أياماً بعد تشييد المعسكر (6 مارس) لكن المدفعية حسمت الموقف. ولم يثر آيت يوسي إلا لأنهم لا يريدون أداء الضرائب خاصة بعد أن غتوا بالخيول والأبقار والأعنام والبالغ، ولم تصمد منهم في المواجهة سوى فخذة واحدة وهم آيت علي، وكان لاند من تنظيم عدة صوكات ضدهم من معسكر مستارة الحرف فقد كان على رأسهم شخص قوي يدعى محمد أغامي، لكن أجبروا في الأخير على الإستسلام وأداء مستحقاتهم عناء، وتزويد المخزن ب 250 جندي بقيادة قائد رحي، يتحمون مصاريف رعيته.

وأعطيت الأوامر بعد انتهاء هذه العملية، برفع المعسكر والإنطلاق عند بني مطير. حيث الوضعية ليست على ما يرام.

وفي الوقت الذي كنا فيه عند آيت يوسي، كان مولاي عبد الحفيظ قد جمع حملة في فاس لإرجاع بني مطير إلى الصواب، وسأشرح لك لماذا؟.

فقد كن هناك في فاس شريف محبوب محترم من سلالة مولاي ادرس يسمى سيدي محمد س الكبير الكتاني كان وراء موافقة علماء فاس على مبايعة مولاي عبد الحفيظ (مد 4 ماي 1908)، لكن بشروط لابد من الإلتزام بها، وكان يؤكد دائماً على عدم وجوب دخول الأوروبيين إلى فاس، ولم يقبل مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء لتي قبلها

السلطان ولاحظ أن الأوروبيين قد رجعو إلى فاس وأن السلطان يستشيرهم في تسيير الأمور، وكان لابد من إعادة كل شيء من البداية، فتصدعت وثيرة انتقدية إلى أن قرر معارضة السلطان بشكل مباشر، وذهب عند بني مطير ليحرصهم. ويشر بادلاع الحرب المقدسة (19، 21 مارس) ولتف حولة 5000 محارب، وكان يود للذهاب حتى عند بني مكليد.

لكن السلطان جمع محنة من 2000 رجل فاس، بقيادة بوحيرة وند « موالين ادحو» بالقصر، وكان ضمنهم مدربون عسكريون تحجب، وصطط صف (Pivati) في المدفعية و (Bolding) أنجليري في الخيالة. لكن أحد قواد بني مطير، بعد أن تملكه الخوف قبض على الشريف حينما كان يستعد للذهاب عند بني مكليد، وسلمه للمخزن الذي اعتقله، ورغم ذلك قرر السلطان أن تستمر المحنة في مهمتها ومعاقبة الدين وقمو إلى جانب هذا المتمرذ ( كان الإنطلاق يوم 28 مارس)

وقد كان بوحيرة يتقدم، وفي اتنه كبير وبيطء نحو بني مطير، لأن هؤلاء الرجال قد ظلوا مدة طويلة أحرارا وأقوياء. وعسكر أخيرا على بعد كيلو مترات من فصه الحاجب، وبعد يومين وحد نفسه محاصر مجموعة من محاربين من بني مطير، وبني مكليد، وآيت سخمان وكروان بن وحتى رمور الدين شعبوا نارا قوية في هذه المواجهة، فوفعت انفشقات وتصدعات في معسكره وتركه رحلت المدافع والخيم والمؤن وفروا نحو فاس كأرانب تطاردها كلاب صيد، وكانت هذه أول هزيمة لأفواج المخزن الحديد (15 أبريل).

وكانت حمزة سي محبوب عد أن أنفرت مهمتها آيت يوسي قد عذرت معسكر مسترة الحرف قد وصلت إلى شربة ثم أمفلا حليب. وفي هذا المكان وصد بيا هزيمة المحلة ببني مطير، وكان وجودهم معمره بعض لشيء لأن بني مطير كانوا قد اتفقوا مع آيت يوسي لمحاورة المحلة لمعسكره أمفلا، ولكن مولاي عبد الحفيظ أعطى أمره لكل وحداته لمحاربة بالرجوع إلى فاس، وأعني محبت، ومحنة أخرى كنت توجد معمو الحامل ضد أتباع الروكي سأحدثك عنها بعد قليل

فاجتمع إذن كل الخنود ببيت سكمة، وأخذت بعض لتجريدات حراسة أبواب فاس، لأننا كنا نحاف هجوم لبراس فأعصبت السدق والأحور المتأخرة للحدود، وطمت محلة قوية ضد بني مطير بقيادة سي محبوب (22 أبريل).

وفي الوقت الذي كان فيه الشريف الكتني يعدي من الجند الذي حكم به عليه السلطان (4 ماي) كان نحن تقدم نحو بني مصر، وبعد هجومين فويين (6، و18 ماي) ردتهم قواتنا، احتلت المحنة قصبة الحجب، ورأت لموضع والأمكن لتني هزمت فيها محنة بوحيرة ووجدت في ساحة المعركة القديمة لدفع لمتروكة عند القرار وقد كان للمدفعية

بقيدة بن سديرة وضباط الصفPisani, Rouchon, Guerrazدورا كبيرا في هذا الانتصار. بالإضافة إلى بعض المدربين المخزنين النقيب le Glay والآنجليزيBolding.

وعندما انهزم بنو مطير تماما، استسلموا وجاؤوا بغير انهم ( الهدية) وأدوا مبالغ هامة ( 100000دورو) عرامة. وأجبروا على مؤونة وعناية خاصة بطابورهم ضمن الأفواح المخزنية وقد كان هذا الانتصار المخزني انجازا خارقا لم تشهد القبيلة مثلها منذ القديم.

فأقامت الحملة في راحة تامة بقصبة الحاجب وسط البلاد مدة شهرين في صيافة بني مطير فاستدعها السلطان من فاس لتدمير موقع تمرد أصبح أكثر خطورة، ذلك أن أتباع بوحمارة قد جاؤوا في عصابات من 40 إلى 50 فارس لنهب القرى على مسافة قريبة من فاس، ويجب وضع حد لبوحمارة هذا الذي صمد أمام قوات مولاي عبد العزيز وكان السلطان المتحمس والمسرور بنجاحه في بني مطير أكد أنه قادر على النجاح في هذه المهمة.

نهاية مأساوية لغامرة بوحماره



لقد تركت بوحمارة في سنووان حتى أحكي لك عن الريسولي، وقدم مولاي عبد الحفيظ من مراكش.

وتعلم أن سنووان هي قصة قوية، نيت منذ عهد مولاي اسماعيل على يد حمية من البخاريين، كانت توجد بها دائما حمية محزبية (500 رجل) سواء في عهد مولاي الحسن أو مولاي عبد العزيز، لكنها سقطت في يد بوحمارة (ربيع 1903).

وقد لحا إلهي الروكي بعد أن هزمه بوعمدة وعبد المالك بوجدة (يوليور 1906)، ولم يفقد قوته بل ارداد قوة تمتدجته مع الإسبد واشترى لندوق والرصاص وكانت قصبته قريبة من بحيرة كبيرة سسحة بوعرك التي يسميها الإسبن Marchica حيث كانت تصله المراكب التجارية إلى حدود أفراد قصبته، ويقال بأن الروكي قد أصبح يتوفر الآن على 20000 رجل و 10 مدافع وست رشاشات (ربيع 1907).

ولم يقف المخزن مكتوف الأيدي، بل أرسل محلة مراقبة بقيادة الباشا سي الحاج علال وبنى معسكره عند كبدانة بالقرب من هذه البحيرة وهاجم رجال سنووان المحلة، هجومين قوين (18 و 25 ماي 1907) بل إن المحلة الشريفة قد حوصرت على الشريط الرملي الذي يفصل La Marchica والبحر، ونهب أتناع بوحمارة وريفة المحاورين المعسكر (27 و 31 ماي 1907)، وقد قتل في هذه المواجهات بعض قواد لرحى مع مولاي بوبكر عم السلطان، لكن، وعوض أن يهزم بوحمارة الأفواح المحزبية تدمويؤكد انتصره، فإنه تراجع إلى قصبته مخافة، ودون شك - أن يعقبه أحد إليها وينهب مؤنه وأسسحته، وأعاد المخزن تكوين صفوف . . كما هزمت محلة أخرى بقيادة سي محمد بن الحيلالي الذي خرج مع 3000 رجل، وعاد إلى سلوان ب 38 قتيل و 200 أسير (شتنر 1907)، وقد أصبحت هذه المحلة المسكينة عاجزة تدم عن الحركة، فأفرادها دون أجور ودون طعام بن ودون لباس، وكان عليها أن تعيش مما يعطيها الأهالي المهكين من كل هذه الحروب، وكانت هذه فرصة أخرى انتصر فيها بوحمارة (10 دحمر 1907). كما قتل أيضا سي محمد بن الحيلالي مع خمس قواد الرحي، أما الذين تبقيوا فقد فروا ودعو النندق والرصاص. واضطر السلطان أن يدعوهم لالتحق بفاس فوصل آلاف الرجال بحرا (مدينية ثم طنجة نهاية ينير 1908).

وبعد هذه الانتصارات استرجع بوحمارة قواه، وضمد جروحه، وأعد دعم صفوفه بالأسلحة والمؤن، وكان يعلم أن مطالبا بالعرش بدأ نفوذه يتقوى في الجنوب وبويع سلطانا في مراكش ( 16 عشت 1907 ) فلماذا لا ينزل هو بدوره إلى فاس، وهو الذي لازال يدعي أنه هو مولاي محمد ولد مولاي الحسن، قبل أن يصعد الآخر إليها؟

ولكن للحصول على النقود، فقد أكد أهالي الجبال أنه باع للإسبان ماسح الرصاص والحديد الموجودة بسلوان في جبال بني اغرو. حيث كان يتحرك المهندسون في هذه المناطق ويعدون طرق استغلال المعدنين : فأصبح الريفي يكره الروكي الذي باع الأرض المغربية لنصارى ففي الوقت الذي كان فيه مولاي عبد العزيز يعد لحمته التي أجهضت في الجنوب، كان الروكي قد غادر قصبة سلوان عبر كلالعة وبني أوليشك. وبني توزان، وبني اسعيد الدين طرده من أراضيهم، نحو واد زم (تاويرت)، وهكذا رحع إلى تارة (23 يويه 1908 ) حيث سيعيد اطوار مسرحيته القديمة وكان الحيانية يحيطون به دائما، وبعث رسلا إلى عيائه واتسول والبرانس لضمهم إلى صفوفه من جديد لأنه وصل بأفراد قليلين ككلب مهزوم بعد أن فر مع بعض أتباعه عبر عيون سيدي ملوك ومسون وهاهي تزة قد رأيت رعيهما من جديد.

ولد كان بوحمارة قد جهز عصابات كبيرة مهمتها الحراسة متسامحة مع الأصدقاء وباهة الأعداء، فإن مولاي عبد الحفيظ، ومنذ شهوره الأولى من التولية، كان قد بعث وحدة بقيادة ابن اسعيد في الاتجاه الذي يمكن أن يكون قد ذهب إليه الروكي ليصل إلى فاس، خاصة أن هناك إشاعات كثيرة بالمدينة تقول إن بوحمارة موجود بقصبة أولاد زيان، والبعض الآخر يقول بأنهم رأوه بعين السيت. وفي الأيام الأخيرة من فبراير انطلق 2500 رجل شرقا لكن توقفوا بمنطقة عنق الجبل، في متحنى سبو حيث كان الطقس مضطربا، والبرد قارس جدا وزوايع ورياح وأمطار كان مستحيلا معها القيام بأية صوكة فالحیوانات الموحودة في العراء تموت تباعا، والمرضى وغير المرضى من أفراد المحلة يرجعون إلى فاس القريبة منهم.

فاستدعى السلطان هذه المحلة لترجع إلى باب سكة 19 أبريل 1909. في الوقت الذي كنت تقود فيها بقايا المحلة المهزومة ببني مطير وكنا في حاجة إلى رجال للرجوع لقصبة الحاجب.

واستأنفت عصابات بوحمارة عملها التخريبي، فقد وصلوا عند الشواشي وملتقى نهري سبو وإدور، وقد كان قائد هذه الطليعة عبد زنجي قديم للسلطان وأصبح خليفة لبوحمارة يدعى العبيد الجليلي ووصل بتمرده ونهبه حتى أولاد الحاج مخلف وراء النيران والدماء بل إنه قام استطلاعات حتى حدود قنطرة واد سبو.

وطينة شهر مدي وبويو كنت لأوسع صاحبة فس والمناطق المحورة بها مضطربة وأصبحت لقنائل احصاة فقة من ردود فعل اسطرب لذي لا يحميهم، وكان المنهويون يدخلون إلى المدينة حذقن، بل إن اخوف قد تسرب إلى سكان فاس أنفسهم حيث أغلقوا باب فتوح.

فلا بد من لدخل إدو وسرعة وهك استدعى مولاي عبد الحفيظ حمته المنتصرة سي مطير إلى فاس، بعد أن تركت حمية نقصة حارب، بل به ودون نظار وصولها بعث طليعة من صبور عسدي في حوئي 700 رجل، وكان حيلالي في هذه لآداء معسكرا بعين السبيت عند سي سدو وبوحمارة مع 500 نظامي يوحد بعين تدوس وشيد المعسكر لشريف بالحجرة الكحلة عني سسو فقامت صوكة صد الجيلالي، وكانت المواجهة في منبسط عني منقوي ودي الس وواد بون، وفر للمردود المنهزمون عند الحياية، ولم نظاردهم بل اكتفي بنهت معسكرهم والروحوع إلى حجرة الكحة.

وبعد إقامة في هذه المنطقة، رفعت محلة سي محسوب<sup>(2)</sup> المعسكر في اتجاه الشمال الشرقي نحو شراكة وقشالة، وعدم أ بوحمارة الذي لتحو به الجيلالي، قد وصل مع أتباعه إلى مرله عبد الضفة اليسرى لورغة فقد كان يريد، ودون شك، أن يصم إليه جبالة ويهجم معهم عني فاس لأنه وحسب هذه المعلومات فإن إعداد حنوده الحاليين قليل جدا مكون أساس من حبيثة صفة المسمى لأدو

والذي يبدو جديا، أ فدل حية ترة قد تخت عنه ولم تعد تمده بالمو، وسيحاول البحث عن مصدر حر فمر عر عر مديونة وقعة السلاس، مهددا بالهجوم على فاس البالي بقشالة (6-8 عشت 1909) وجبل أمركو.

وكانت محنت تقدم فرسد، ولاد جمع قطعة عرض بلاد شركة، في نجه اللحق بالروكي والقص عني في حوص ورعة، التي يقوي فيها صفوفه بالقنائل المحورة

وفي ليوم مدي عسكر فيه قرب سوق شير قشالة بعين أم كدر (عشت) أخبرنا أهلي المنطقة أن الروكي قد ذهب عند السلاس حيث عسكر، وأنه يتحرك شجريدات متفرقة عني طول ود ورعة وحبال سي وريعل وعم الحبر كل صفوف الحمة

فأمر سي محبوب بأ أن يتطي لكل حيولهم، وك عني بعد ساعتين تقريبا من واد ورغة، ولما اقترب لاحظنا في الوقت لذي كنا نستعد فيه لعبور الواد، طليعة حنود الروكي بالسهر، وأخبر المستطعمون بأن حمته تمتد على طول عدة كيلومتر تتحللها فراعات وتقصعات وسط صفوف

فبدأ الهجوم، ومدا الوهلة لأوئى انتصر المخزن وقد كان بو وريعل القريين جدا من مرتفعاتهم الحبية مدين يتصرون تحه لريح (من سيمور)، قد لاحصو صعب وحدات



الروكي، فذهبوا صده، أملا في تحصيل نصيب من غنائم القافلة، فتقطعت وتلاشت محلة العدو، وهوجمت في خمس أو ست أماكن، فكان المحاربون يفرون، والحراس يغادرون قفنتهم، فكنا نجتمع العبيد والإماء المستعطفين والخيول واليغال المحملة بالأمعة، وشرع في نهب صموقه، لكن بوحماره وهو المحارب الجيد والقوي، قد أوقف جنوده وشجعهم على المواجهة أكثر، وبعث تجريدات لتقوية النقط الضعيفة، واستأنفت المواجهة، ولم يكن الهروب (هروب أتباع الروكي) هو المنتظر كما رأينا قبل لحظات بل كنت هناك مواجهة قوية ومستمدة أمام عدد أكبر من الجنود، وعند غروب الشمس توفعت المواجهة، وبقيت محلة الروكي في أماكنها وقضى بوحماره ليله فوق تل.

لقد كرر فعلا يوما عصيبا، قصصنا فيه دون توقف منذ الساعة الثانية بعد الزوال، وكان هناك عدة قتلى وجرحى من الجانبين.

وعند العجر، اختفى الروكي في اتجاه الشمال الشرقي نحو بني خالد وبني مسكيدة (بلالة عويش) فطارده جباله إلى حدود زاوية مولاي عمران عند بني مستارة، فجمعت المحلة الشريفة الأسلحة والمؤن والأمعة التي تركها هذا المتمرّد عند فراره، وأسرت عدة جرحى ومرضى لم يستطيعوا اللحاق به، ومشطت حوض ورغة، وبعد غياب مرتين رجعت إلى معسكرها، بعثت إلى فاس بحوالي 200 أسير و40 رأس مقطوعة لتعلق على باب محروق، وقد كان من ضمن القتلى الخليفة الجليلي (10 و11 غشت).

ثم عبرت المحلة واد ورغة إلى المشرع في منبسط بلاد بني ورياغل، ثم صعدت نحو واد أوديبار لتصل إلى مولاي بوشتي الصغير، حيث عسكرت، وأرسل قائد الحملة من هذه النقطة بعض القواد مع حراسهم، إلى مختلف الجهات لمعرفة أي الجهات اتجه نحوها الروكي، فجاءت الأخبار مؤكدة وجوده بزاوية مولاي عمران.

وفي أحد الأيام جاءنا أهالي بني مستارة يخبروننا أن قوات بوحماره قد تلاشت، وأن فرسانه يغادرونه شيئا فشيئا، وأنه لم تعد له الأموال الكافية، ولم يبق حوله سوى حريمه وخمسين فردا من العبيد، ومن السهل القبض على هذا المتمرّد الذي تعبوا من مؤونته وتغديته. وكان اليوم يوم جمعة، فقرر الذهاب أولا للصلاة، ثم الإنطلاق حيث كان الفرسان يتبعون مدفع 80، والرشاشات في الأمام، وكان أهالي البلاد يساعدون على عبور مسالك هذه البلاد الوعرة والمترقعة التي يصعب فيها التحرك بسهولة وسرعة. وأخيرا وصلنا في حدود الساعة الرابعة والنصف إلى مشارف الزاوية التي لجأ إليها بوحماره (22 غشت).

فبدأت المواجهة، حيث كان دفاعه قويا، فالعبيد يقصفون من الزاوية نفسها. مما أفقدنا عدة أفراد، لأنهم كانوا يرمون من ثقب الأسوار، وكان السكان المجاورون للزاوية قد

غادروا مشائيتهم بمجرد عندهم تقارب، واحتتموا بئنائهم ونسائهم وبهائمهم سعيدا عن مسرح المواجهة التي ستصروا بهيتها.

وقترح في هذه لأثناء، أحد أفراد محلة الفكرة التالية إن الوسيلة الوحيدة لقبض على بوحمره دون فقدان مريد من الأرواح هي إشعل النار في سقف الراوية فتطوع أحد الرجل بعد أن تحرد من ثيابه تمام، ناحتا عن مكان مناسب ليبدأ عمله، فبسط أرضا، وأخذ يمشي على بطه كئعبان في المعرجات والأمكنع الوعرة، مختفيا وراء أدنى مرتفع في الأرض، وازداد دوي البنادق للإلهاء المحصرين عن تحركات هذا الرجل، ووصل أخيرا واشتعلت النار بالسقف فلم تعد الوضعية بالراوية مريحة، فقد كنا نسمع الصراخ، وكان بوحمره، وتحت حراسة قصف العبيد من لشرفت ولثقب، يحرق النساء الواحدة تلو الأخرى من الزاوية، وكان بعض العبيد يقدمون أمام يطبقون النيران يمين ويسار، والسقف المحروق قد سقط صه، نكر أب بوحمره؟

وقد كان الهرب لمتمردون يحاولون الإبتعاد من المواجهة في صم متسللين، لكن فرساند كانوا يحاصروهم واحمروهم على لدفع من جديد، وكان أحد الجنود الذي يعرف الروكي قد ميره من وسط النساء، فاعتقوه وأحاط قواد الرحي فرحين بكونهم هم الأوائل الذين عرفوه، وكان معهم : بن الحيلالي، والسغال الزمراني، وعقرة ولنجم، واعتقل معه الكل : النساء والفتيات والعبيد والإماء، وقد كان سي محسوب قائد المحلة الشريفة قد بقي بمعسكر مولاي بوشتي، وكانت التحريفة التي قبضت على بوحمره تحت قيادة سي عبد الكريم ولد محمد لشركي.

وبوصول لسن، كانت الأفواج تراف ونحرس أسرها، حيث قصت الليل في مكان القبض على بوحمره، فستألف لسكن حياتهم ليومية، وبمجرد القبض على الروكي رجع الملازم الحرائري بن سديرة، « الفرنسي الوحيد » في هذا الإعتقل، إلى المعسكر ليخبر سي محسوب بالباء الحديد، فأرسل سي محسوب رقاصا إلى المقدم Mangin لإطلاعه بالحديد<sup>(2)</sup>.

وفي اليوم الموالي على الساعة لثمة صبح، أدخل لروكي إلى المعسكر وسط استغراب كبير. فلم يكن برندي سوى فميص، ورأسه عار تمام، لكن كان يمشي متحتر، فخورا. وقد كان عمره حوالي ٩٠ سنة، وسم يكن عبه بقصة كمولاي امحمد، لكن عينه مفتوحتان واقتن، وكان يبدو كأنه لا يطر إليه، وكان وحيدا، رحلاه مغولدن فقد احتفى كل رجاله، وسبى جنة ساءه وبع أفراد لمحمة عبه وإماءه، وهو سبطن الشرق لسبق يمشي كنص بئيس، وعندما وصل عند قائد لمحلة اشكنى له من اخوع والرد، فكساه سي محسوب، وقدم له الطعام، ووضع له الحداد الأغلال برحنيه وأركب بغلة « بالسريجة »،

واتجه به نحو فاس تحت حراسة بقيادة سي عبد الكريم، وبقيت المحلة معسكرة بمولاي بوشتى.

ومجرد علم السلطان بالنبا أعد قفصا قويا قضبانه من حديد، مثل قفص الحيوان المفترس، وأرسل تجريدة لإستقباله، فأدخل بوحماره إلى هذا القفص مكبلا دائما إلى فاس عبر باب بوجت، فأعلن « البراحون » في كل الأنحاء في فاس الجديد وفاس البالي، نبأ القبض على بوحماره، فعم الفرح والإرتياح، وأطلقت المدافع طلقات الفرح، وأغلقت المحلات وحرح الناس جماعات من الأسواق، وأقيمت حفلات التبوريدة وتراحم الناس لرؤية هذا المهزوم، والذي سيراه السلطان بدوره مثل شعبه.

فأدخله الحراس بسهولة إلى المشور الجديد مخافة الهيجان الشعبي، فعزفت الموسيقى، ولعبت التوريدة. وكان السلطان محاطا بكل الخزن : الوزراء والكتاب حالسا في الخلف أمام حيوان قصره. فطيف بهذا الأسير كل أنحاء القصر حتى يتعرف عليه كل الحاضرين.

فأنزل القفص أمام مولاي عبد الحفيظ الذي أخذ يتأمل « صاحبه » مدة طويلة. وكان ينظر إليه وهو بدوره دون أن يقول أي شيء وأخيرا بدأ الحوار بين الرجلين كما سأقول لك :

\_\_\_ ما اسمك يا ولد الحرام؟

\_\_\_ اجيلالي الزرهوني.

\_\_\_ لماذا انتحلت صفة أخينا مولاي أمحمد منذ سنوات؟ وعارضت أخيرا أيها الكذاب سلطتنا رعاها الله.

\_\_\_ لا يقع إلا القدر المكتوب.

\_\_\_ فلماذا كنت تتجه نحو وزان؟

\_\_\_ لاتسألني أي سؤال لأنني لن أجيب عنه، لكن أعطني طعاما لأنني جائع وبعد ذلك سأعترف، لأنني أرى أن هناك أشياء كثيرة يجب أن نتحدث فيها.

فاستغرب السلطان من وثوقية هذا الرجل في نفسه، وأمر بإعطائه الطعام، وقدم له الخبز والسمن

\_\_\_ هل هذا طعام يقدم إلى السلاطين؟

فرفض أن يأكل.

وأشار السلطان إلى حاجبه الذي أعطى أوامره، وبعد لحظات جاءه عيذار أمام القفص بطجينين من لحم الدجاج والغنم، فكان بوحماره يأكل كثيرا، ويبطئ، والسلطان ينتظر دائما، وطلب شايًا فأعطيه، ولما رشف آخر رشقة قال له مولاي عبد الحفيظ :

\_\_\_ حسب فئس نبي الآن بعد أن امتلأ بطش - دا ذهبت عند جبلة؟

\_\_\_ لقد كنت داهبا إلى مولاي عند السلام، لأن نمة كان من الممكن أن أتفاوض معك؟!

\_\_\_ كيف؟ ألا نستحي من تصرفاتك؟

\_\_\_ لست أستحي من تصرفاتي، كما لا نستحي أنت من تصرفاتك، فكما من أسرة واحدة، فمحر الإنسان روكيان

\_\_\_ فإد كنت أ روكب. فبني لم أت من دوار في الجبل امتطي حمار. وأطالب عرش فاس. فأد من أسرة لسطر لمحدر سسه من عبي بن أبي طالب (ص)، وأنا بفضل الله ورسوله هن هو السلطان.

\_\_\_ نعم، هذا صحيح، لكن يبدو لي أنك تحتقني كثير وتعامني كرعي أغنام، فأنا متعب وأريد أن أستريح رعم آلام الأعدال في رحبي. فلا داعي للإطلة في الكلام فيما أن تطلق سراجي وتضمسي إلى جانبك أشغل معك، أو تعدمني، فلو كنت مكانك وكنت مكاني، فبني لن أفكر سوى في هدين حدين

ولم يتدخل السلطان، كما لو أن بوحماره هو من يتحكم في الحوار

\_\_\_ إطمئن، فب لا فتن وأشوه أحسد أمثلك

وقد حاول سيدي عبد القادر الفاسي أن يسأله، لكنه أجابه :

\_\_\_ لن أحيك، فأنا لا أتحدث أبدا مع غير الملتحين.

وفي لوقت لندي كنت فيه حطب المسجد تنوه بالقبض على بوحماره، طل هذا الرجل في قفصه محروس باب بوجت، وكان قد بني سورا مربع من الإسمنت حتى يمكن لكل واحد أن شمي عليه من رؤيته، ولدا شمي غيل كل أهلي فس أطفلا وشيوخا وأيتام ومشردين، وعجرة فوق عدهم من رؤية الروكي، نقل إلى در المحر حيث سجن في بنية تحت حر سه مشددة دئما.

وبعد سعة أيام من هذا الإنتصار، دامت الحفلات يوميا بباب محروق بأشكال مختلفة حفلات سأكحي لك عنها، لأن فقد عرست خسار الحرب من قبل لأسرى المعوثين بعد هزيمة الروكي بواد ورعة ومن قبل من لازالت محلة سي محبوب تطاردهم في سواحي فاس.

ووفد على فس عدد حديد من لرؤوس لمقصوعة (60 إلى 80) الذين عمل اليهود، وتجار المحلة كلعده على تمجيحه، وحباطة قصعة حلد في العنز، وعنقت على جدران باب محروق أمام حشد كبير من لفس، ووسط الأهريج لغمدت لموسيقية والأفراح.

كما وصل أيضا 300 أو 400 أسير لأنذكر العدد جيدا، أفواجا أفواجا، فكانت توضع في أرجلهم الأعلال بمجرد وصولهم، وتقطع يد ورجل كل واحد منهم. وكان يقال إنه لم يكن هناك إلا أتباع بوحمارة لكن المؤكد أنه كان من ضمنهم جبالة وبعض المسكين الأبرياء الذين اعتنقوا صدفة لأن حملة سي محبوب لازالت دائما في المواجهة، ولما انتهت مهمته رجع سي عبد الكريم مع رجاله إلى مولاي بوشتى الصغير. ولما كانت قوة السلطان مزهوة بهذا الانتصار الكبير، أي القبض على بوحمارة، فإنها مشطت كل هذه المنطقة الجبلية، من كل المتمردين الصامدين والمتحصنين بالجبال، وخلال ثلاثة أو أربعة أشهر استخلصوا الضرائب، حيث كانت تذهب تجريدة يوميا بقوادها إلى هذه المنطقة أو تلك لإخضاع المزيد من القبائل، وجلب الأسلحة والقطعان والأغنام والبغال فكان الشعير والقمح يتراكم ويتكاثر في مولاي بوشتى بالإضافة إلى عدد الأسرى المتزايد الذين يبعثون إلى فاس أفواجا بدرجة ارتفعت بها منزلة أفواج مولاي عبد الحفيظ في عين الجميع.

وقد كنت الإعدامات وتعليق الرؤوس متواصلة يوميا في باب محروق، حيث كان يتجمع الناس من الأسواق كل يوم خميس، وكان بائعو الحلويات يتحركون بنشاط في الأسواق، والسقوؤون يقرعون أجراسهم، والنساء يضحكن خلف حياكهن، والموسيقات تعزف واختلطت فرقة السلطان بفرق الشيوخات المزيينات بالحلي، فكان الحفل بهيجا لدى العامة، وكان الجزائريون بباب محروق يشحذون سكاكينهم لقطع يد يمني ورجل يسرى لهذا السحين ويد يسرى ورجل يمني للآخر. فسالت الدماء وسط أفراح أهل فاس، ولكي يوقف نزيف هؤلاء البؤساء، فإنهم كانوا يحملون إلى صهريج ماء ساخن ويحشى ما تبقى من أعضائهم الدامية وسط صراخهم وآلامهم. ومات كثير منهم هنا لتزييفهم من الدم.

وبعد بضعة أيام من احتفال الخيالة هذا، تجمع قناصل القوات الأجنبية الموحودة بفاس، وقرروا استضافة السلطان، وطلبوا منه باسم الإنسانية والتحضر أن يكف عن هذه التصفيات الشعة.

فأجابهم مولاي عبد الحفيظ بأنه هو السلطان هنا وليس غيره، وأن له الحق في عقاب المتمردين كيف يريد، ولم يعقب عليه الأوروبيون لأنه، وهو سلطان المغرب، لم يكن يتدخل لافي شؤون فرنسا أو إنجلترا أو غيرها، ليخفف من مآسي أسراهم ومحرميهم، بل أنه ثار صدهم وحاطهم بقوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » المائدة 32.

واستمرت الحفلات الدموية بباب محروق.

واستقبل يوما قافلة من الأسرى وسألهم بعض الأسئلة :

— ماذا كنتم تفعلون في فخذائكم؟ فيجبني كل واحد على حدة، لأنني سأجازيكم  
بالإلتحاق بصوف نحر.

— فتبين أنه يوجد من بين هؤلاء الأسرى كثير من الموسيقيين، موسيقى سوحمارة،  
لأنه كان له موسيقوه وخيمته وخيمته.

فستقدم السلطان العرب الدين يريلون الأضراس، وأمرهم بقلع أسنن كل هؤلاء  
الموسيقيين لأنهم لن يستطيعوا العناء بدون أسنن، وستعصى على هؤلاء المسكين الدامية  
أفواههم أن يعرفوا على «غيظتهم» مرأمرهم التي لم تعد تصدر أي صوت.

وقال مولاي عبد الحفيظ :

— أتروا إنهم يسو سوي دحين مكرة.

وسجن بعضهم، ووضع الآخرين في أقفاص الأسود.

وخلال هذا الوقت كله فإن سوحمارة كان يوضع بضع الساعات داخل قفصه في  
ساحة المشور وأخرج مولاي عبد الحفيظ في يوم الجمعة مولاي امحمد لصلاة الجمعة  
بمسجد فاس الجديد، فتبين وللمرة الأخيرة أن سوحمارة لا يشبه مولاي امحمد في شيء.

وألح السلطان على لروكي لأحد معبومات من منجمه في بني افروز، وعن كنوزه  
التي يمكن أن تكون له في تزة أو في مك حرة، ولم يستطع سوحمارة قول أي شيء لأنه  
لا يتوفر على أي شيء. ومرة الأيام وللمرء دائما حي، من بدأ يسترجع شجاعته.

لقد مر أسوع على إلقاء القصر على المتمرد، وقل مستشرو السلطان :

— سيد ! إن سوحمارة خطير رغم كونه أسيرا ألا ترون أنه من المأساة قتله : خاصة  
أن الأوروبيين - شئت الله منهم - قدورون على المحي عندك، وأداء فديته لإطلاق سراحه،  
وقد سبق أن حثحو رسم العدالة في باب محروق، فأظهر لهم أنك سيطر الذي نصره  
الشعب، والذي يشبهه عمداؤ بجدي الميموبين مولاي الحسن ومولاي سمعيل.

فدعا السلطان لاجتماع يحدد فيه مصير اللروكي. وقد كان الاجتماع سرى حصره  
الحاج أحمد الكريسي، وبعض فواد لأفواج البطامية لأوفياء، وسي ادريس ولد مو والقائدين  
بوهو ومبارك السوسي، فتوجهوا عند الأمير الذي أخرجوه من قفصه ومن السيق في اتجاه  
حديقة الوحوش. حيث توجد الأسود والسمور والفهود التي جاء بها سي المهدي لمبهي من  
انجلترا إلى مولاي عبد العزيز (1901) فأدخل إلى قفص أسد طنا أن الأسد سيقترسه، لكن  
لم يضره هذا الأخير إلا على كتفه براحه فانزوى في الركن وأحد يطير في هدوء إلى  
المتفرجين. فقال مولاي عبد الحفيظ للحاضرين

\_\_ اطرؤا ! ما يكون هذا الرجل الذي رفض الأسد اقتراسه ؟ إنه ساحر جبار .

فالتفت متعبا إلى القائد مبارك السوسي وقال له :

\_\_ عندك مسدسك . اقتله بمجرد أن أخرجه .

فأخرج بوحماره، فشق القائد مبارك رأسه بطلقة من مسدسه Mauser . وجر عبدان جثته في ركن من القصر، وصب عليه الغاز وأحرق (15، 16 شتنبر 1909).

هكذا إذن كانت النهاية المأساوية لهذا المتمرّد المشهور الذي هزم أفواج مولاي عبد العزيز والذي عين وعزل قواد الشرق، وتخلوا عنه الواحد تلو الآخر وأتم ثروته بواد ورغة .

ولم تعد محلة سي محجوب إلى فاس إلا في نونبر، حيث دخلت دخول المتصرين، مرة بيب محروفي المزين دائما برؤوس المتمردين . وعمت سلطة مولاي عبد الحميد البلاد كلها، واعترفت به تازة وجاء غيثة واتسول والبرانس الأقوياء لمبايعته . وزدّدت مكانة المخزن قوة معد القبض على بوحماره .

مصاعب جديدة للمخزن الحفيظي





ولا يعني هذا أن مولاي عبد الحفيظ لم تعد له أي مشكل في الحكم خاصة بعد القضاء على بوحمدرة وامتداد بيعته في المغرب كله. بل إن أحد إخوته مولاي الكبير قد التحق بالجبال. في محاولة منه كما يقل. للحصول على العرش. ثم إن الإسبان كانوا يريدون الشروع في استغلال منجم الحديد بكبدانة التي أعطاهم إيها الروكي، والذين قتل منهم العديد من العمال والمهندسين على يد رفاة وأرسلوا في المقابل فيلقا من 50000 جندي ليحتلوا رأس ماء، وسوق العرب بكبدانة والناصور والمجمع المعروفة ( ستمبر 1909)، وأرسل مولاي عبد الحفيظ رسالات احتجاج إلى القوى الكبرى. وأخيرا، فإن الخزينة تشكو من فراع كبير، وأصبحت تأخذ الضرائب مضاعفة مرة أو ثلاث مرات ويقال إن عدة قواد أغنياء صودرت أملاكهم. وأرسلت محلة إلى تازة لاستخلاص كل الضرائب المتأخرة، لكن الوضعية طلت كما هي، وأخذ السطون يفكر في مغادرة فاس نحو مراكش، حيث يمكن القائل الجيوب القوية والغنية أن تؤدي صرائها التي لم تكن تعطيها إلا بصعوبة للخليفة مولاي سوكرو. لكن القائل المحبطة بعدس قد احتجت بشدة وقلقت من تصرفات السلطان. مما أحف الداء من اندلاع ثورة شامة بعدم يغادر السطون وفوجه فاس.

وكان مولاي عبد الحفيظ قلق بعض الشيء من تحركات مولاي الكبير ونعلم أنه ابن آخر لمولاي الحسن صويل القدمة، وسمير / عيط، منقط الوجه - الذي رجع إلى مراكش ( أبريل - ماي 1909) مع محلة قواد الجنوب عند مولاي عبد الحفيظ، لكن بوصوله إلى الرباط ولأدري هل كان يخاف أن يسجنه أحاه ويصادر كل أملاكه؟ وهل كان يفكر في ضم عديد من الاتع ليطلب بالعرش؟ لأعظم ولكنني أرى أنه خوف خاصة بعدما علم أن ضيعاته وذخائره من احووب والشبي قد صادرها السلطان اختفى ليلة مع أتباعه الأوفياء عند زمور وازعير. فاستقبله رمور استقبلا حرا وقدموا له المؤن. وبعد مرور شهر ( ماي) كان مولاي لكبير يبحث عن الرحوع وطلب العفو، فقد خاف كثيرا، وهو محقق في ذلك، عندما صودرت أملاكه. لكنه كان يعلم أنه ليس هو المستهدف في شخصه، فصعد عبر تافودايت نحو واد بهت (بونيو)، وكتب إلى مولاي عبد الحفيظ يطلب منه بحسن معاملة أهله ( نسائه وأطفاله). وأن يرجع إليه أملاكه، أم بالنسبة له فهو يريد لذهاب إلى

الحج إذا سمح له السلطان، لكن هذا الأخير أجابه بأن أملاكه لن ترد إليه إلا في فاس التي يجب أن يأتي إليها.

لكن مولاي الكبير كان يشك في هذا الإقتراح، وبينما كان كل اهتمام المغرب منصبا على القبض على بوحمار، فإنه (مولاي الكبير) ذهب مختفيا عند كروان وبني مطير وآيت سحمان وبني مكليد وآيت يوسي وغياة يحدث القبائل في محاولة منه لمبايعته (نونبر، دجنبر).

وقد دخلت محلة سي محبوب إلى فاس مزهوة بانتصارها على بوحمار. فأرسلها مولاي عبد الحفيظ نحو القبائل التي يبدو أنها تساند مولاي عبد الكبير، وفي هذه الظروف طلب قائد البعثة الفرنسية Mangin من المديرين العسكريين الالتحاق في خدمة المحلة. ويمكن أن يكون قد توصل بمراسلة بهذا الخصوص من حكومتهم؟ ولما كان السلطان فخرا بانتصاره الأخير. فقد ترك الأوروبيين جانبا وأصبح يتدارس يوميا، الكتب العلمية مع ثلاثة علماء، وبهذا رجع إلى الطريق الصحيح. ولم ينظر المديرين العسكريين الفرنسيون والإنجليز إلى المسألة إلا من الجانب الديني / المسيحي، أو ليس حريا أن يوجد جيش كبير من المسلمين أفضل من جيش مصغر من الأوروبيين؟ وهكذا طلب من اسطمبول مده بمدرسين عسكريين أتراك. ثم إن تراجع نفوذ المديرين العسكريين قد سر الأتراك الذين سبصل منهم نقيب واحد وعشر ضباط صف إلى طنجة (9 نونبر) لمصاحبة محلة سي محبوب التي سوف تنطلق نحو الحياينة.

فانهزمت هذه المحلة تماما لأن المديرين الأتراك لم يقوموا بأي مجهود لتنظيم صفوف المحلة المتفرقة لتنظيم صفوف المحلة المتفرقة، لأنهم دخلوا، ومنذ البداية في صراع مع قواد الرحى الذين يريدون أن يتحكموا فيهم، فرجعت الأفواج إلى فاس، ثم توجهت بعد ذلك نحو الشرق.

ومولاي الكبير موجود بتازة (20 دجنبر) وعلم أن قائد المحلة سي محبوب قريبه من جهة الأم. فعوض بسي عمر بن العبدى خليفة وزير الحرب وقريب الكلاوي، مخافة أن ينظم سي محبوب إلى مولاي الكبير.

ودخل الأتراك في صراع مع الفرنسيين الذين بقوا في فاس، لا يقومون إلا بتمرير الطوابير، وأرادوا أن يحلوا محلهم، وبدا أن وجودهم هنا أصبح غير مرغوب فيه. وظهرت بعض عناوين المقالات في صفحات جرائد المسلمين، بايعاز من الأتراك من مثل « لماذا تحتفزون بالفرنسيين؟ فلن نجتنب منهم سوى الأخطاء فذكروا أحداث 1870. » فعلقت البعثة الفرنسية مهماتها وخدماتها تماما (1910/1/10). ولما تعبت فرنسا من رؤية تصرفات،

وردود فعل مولاي عبد الحفيظ الجديدة، والذي لم يعد يحترم الإتفاقيات السابقة. وجدت أنه حن الوقت لتذكير السلطان بمجموعة من القضايا التي لم تحل بعد ( خاصة : معاقبة قاتل Dr Mauchamp ) - إضافة إلى بعض الديون المتأخرة وأنه إذا لم يسحب المديرين الأتراك، فإنها ستتدي على بعثتها وقدصلها وتطلب تسوية عاجلة لكل القصاب.

فاستجاب السلطان لهذا الشرط، خاصة أن الأتراك لم يحسوا التصرف عند الحيينة، وأن الجنود المغاربة قلقين من وجودهم. رحص مولاي عبد الحفيظ للمدربين العسكريين الفرنسيين بالالتحاق ومرافقة محلاته (28 1910).

ولازالت المحلة الشريفة معسكرة أمام تارة منذ عدة أشهر. لكن المنطقة هادئة وليست هناك أي معارضة أو عصيان. ولم يعد مولاي الكبير مقلق كثيرا.

ووصلت إلى صنهاجة الداخلون في مواجهة مع المخزن (12 أبريل)، لكن عند المرور سواد اللين. تذكر الحيينة انتصارهم السابق فهاجموا المحلة وكسدها هزيمة قوية 20 قتيلا، منهم ثلاث قواد المائة وعددا كبيرا من الحرحى (15 أبريل)، فترجع المخزن إلى سوق أربعاء تيس والحيينة يطاردونهم دائما، لكنهم اختفوا بمجرد علمهم أن السلطان قد بعث ضدهم بثلاثة طواير مع المدفعية والحاجب الحاج أحمد الكريسي، فاستأنفت المواجهات مع صنهاجة.

لكن هاهو مولاي الكبير يثير الشكوك من جديد، فقد بايعه الحيينة واتسول والبرانس ومكناسة بتازة. فرجعت المحلة إلى معسكرها القديم (نهاية ماي)، واعتقد أنه كان يلزم هذا المطالب بالعرش الحديد الأسلحة والقود، فهو لا يعرف أين يتجه، فقد كان يتحرك من قبيلة إلى أخرى ويمكن أن يكون مستاء أو قنقا من هذه المبايع، وأخيرا، بعث محلة إلى ورغة لمواجهة المحلة الشريفة وشيئ فشيئ ودور حرب، بدأ يطب «الأمن» من مولاي عبد الحفيظ الذي يحبيه دائم

« ارجع إلى فاس، وسرد إليك أملاكك »

وعوض أن يذهب مولاي الكبير، الخائف من غضب السلطان، إلى فاس اتجه نحو وجدة ليصل إلى المنطقة الفرنسية، لكن وجوده قمة كان قد أخرج حكومتك التي لها عدة مشاكل مع مولاي عبد الحفيظ، فنقتله من وهران عبر طنجة بحرا نحو فاس وكان قد جاء سي بومدين كاتب M Gaillard إلى السلطان الذي سامحه والتزم بأن لا يؤدي، وضمنت الحكومة الفرنسية حمايته، واعطيه بدور شك منصب خليفة مراکش الذي كان به مولاي بوبكر. لكن رغم كل هذه الضمانات فإن مولاي عبد الكبير ظل حائف، فاتجه نحو العنجرة، وبعد ثلاث أو أربعة أيام انطلق قائد الرحي الحاج المهدي لطاوير طنجة صحبة بعض الحراس بأمر من الباشا، في مطاردته، فاعتقله واقتاده نحو فاس رغم الحماية الفرنسية.

وأقنع مولاي عبد الحفيظ بصعوبة بعدم إعدامه، فقد كان يريد قطع رأسه فأعطيه مسكن بدار المخزن حيث عاش منذ ذلك الوقت أسيرا، وهذه كانت نهاية تحركه ( شتنبر / أكتوبر 1910).

وفي هذه الفترة كان مولاي عبد الحفيظ، ويتنسيق مع وزيره الأول سي المدي الكلاوي، يريد إعادة تنظيم صفوف جيشه النظامي، فأصبح هناك عدد قار للجنود، تحت ضغط فراغ الخزينة، لكن كانوا يتقاضون رواتبهم بانتظام، وينضبطون للتعليمات، أما الذين لا يريدون الانضباط للنظام الجديد يمكنهم الذهاب، فذهبوا إلى فاس حيث قاموا بعدة سرقات، بل بعدة اغتيالات فقد سرح، وفي دفعة واحدة : أكثر من 3000 رجل وكان Mangin قد اقترح نقلهم إلى قبائلهم الأصلية، حتى يكونون أقل خطورة من فاس. وكان ممن بقى من الجنود طابور الزنوج، وطابور العسكر العبيد ( حوالي 650 رجل )، وسرية التدريب ( 150 رجل ) بقيادة البيعة وأربع طوابير من المشاة ب 500 رجل وثلاثة طوابير الخيالة ب 150 فارس، وطابوري مدفعية بأربع قطع / مدفع لكل واحد وطابور من المهندسين ب 200 رجل، بمجموع جيش صغير من 3250 رجل ولما كان المال قليلا، فإن مولاي عبد الحفيظ كان مضطرا إلى تكوين جيش صغير على غرار الأروبيين وهذا ما لم يكن يردده منذ شهور ورغم هذا فإنه كان يكلمه ذلك أكثر من 7000 دورو و(350000 فرنك ) أسبوعيا

وإن لم تبعث القبائل وحدات الناية، وكانت تبعثها، فإن قوات المخزن تبدو ضعيفة جدا لمواجهة تحالف قبائل الشرق، أو قبائل جنوب فاس، وقد كان الوزير الأول سي المدي الكلاوي لا يتواصل مع السلطان كثيرا، وكان يقال أنه يبذل قصارى جهده للإساءة إلى السلطان. وهكذا قرر أن تؤدي كل القبائل المخزن الضرائب، ومعلوم أنه، ومنذ قرون، كانت هذه القبائل لا تقدم للسلطان سوا الخدمات العسكرية مما يعفيهم من الضرائب، وبهذا التصرف سيجبر الشراة وغيرهم على التمرد، فلم يعودوا يرسلوا أي فرد منهم إلى فاس، ثم إن القبائل التي كانت متمردة دائما : بني مطير، وأيت يوسي، وكروان وبني حسن مستعدون للبارود، ومسرجون خيولهم لتهديد فاس، مما أرغم مولاي عبد الحفيظ أن يطلب الفرتسين لحمايته.

وعنى العموم، لم يكن السلطان هو المشار إليه بسوء التصرف، بل محربه، وكان قد عين وزراء حدد لكن الوقت كان قد فات. ولكن أنت تريد أن تعرف كيف كان يتكون مخزن مولاي عبد الحفيظ، وماذا أصبح وزراء مولاي عبد العزيز القدماء بعد ذهابه.

ففي وقت بيعة مولاي عبد الحفيظ بفاس، وهزيمة مولاي عبد العزيز، لم يعد الوزير الأول سي فضول غرنيط يقوم بأي شيء، وبقي في الرباط مجردا عن أي سلطة.

ثم إن عبد الكريم بن سيمون الذي ذهب إلى فاس ليشغل منصب الوزير الأول، رفض فوقع مريضاً ثم مات بعد ذلك، وفي ليوم المولي دنس قبره وقطع رأسه ( ولعل ذلك بأمر من السلطان) وعلق رأسه بالمصلى مكتوب فوقه « هذ جزء من يبيع وطنه إلى المسيحيين ».

واعتقل مولاي عبد الحفيظ، اثر هذا الحدث أحد أحفاد عبد الكريم بتهمة تدنيس القبر ومكتب في المصلى

وقد كان المدني الكلاوي هو وزير الحرب، لكنه لم يبق في البنيقة سوى بعض الوقت وعين بدله فيها ابنه سي محمد العربي، أم بالنسبة له هو فقد حل محل بن كور الخليفة السابق للمسيحي في مصب لوزير الأول، وأصبح بن كور وزيرا للشكايات. وبقي لشيخ اشزي في لربط، ثم ذهب إلى الدار البيضاء، ومنها إلى طنجة حيث سيموت.

أم سي محمد الركينة صاحب مولاي عبد العزيز، فقد ذهب مع سيده إلى منفه الاختياري وعوض بأخ احمد بن مبارك الكريسي حاجب مولاي عبد الحفيظ.

وبالنسبة لقائد لمشور، فإن قصر مركش أعطى مولاي عبد الحفيظ أمر إدارته إلى الباشا ادريس كيشيش البخاري، ولكن بالوصول إلى مكاس عوض الحاج بن عيسى باشا مكاس. الذي كنت له علاقة جوار مع البربرة وسبعة حرية معروفة، وكان قد مهد لطريق لسلطان جديد في هذه لمطق، ويحزبه مولاي عبد الحفيظ فقد أعطاه منصب قائد مشوره، وعين ادريس باشا فاس الجديد محل لقائد الشير مومو الذي بقي مواليا لمولاي عبد العزيز، والذي سيعتقل بمجرد وصوله. لكن عندما وصل الجنود لتنفيذ تعليمات لسلطان، حتمى لبشر باب القصر، وكان ساء لمحرر المحجبات بحسب إدرته بأن غياب مولاي عبد العزيز، قد ندحن له حتى إذا دحن مولاي عبد الحفيظ إلى القصر وجده في طريقه، معبر الجبل راكع على رحليه طلبا عموه فسامحه وأدرجه ضمن طبور عبيده.

وتذكر أن قائد شركة وأولاد جامع ولد با محمد الشرقي، كان قد أعطى لمولاي عبد الحفيظ 50000 دورو ليعين باشا على فاس، والبقاء في قيادته أو منصبه التي كانت ستعطي لسعيد لبعداي، وعندما رجع اخذ بن عيسى مع سجنه مولاي محمد الذي ذهب يبحث عنه في غمرة مدعب أنه سيتحالف معه، عين قائدا للمشور وباش فاس البالي، واحتفظ لولد با محمد لشركي بفدة شراكة

وكان حبيبة قائد، مشور سي مصطفى بن عيش، ودحت القصر فتاة من عائلة ادريس بن يعيش تروجه مولاي عبد الحفيظ وأهداها كيسين من لقود ولؤلؤتين نفيستين.

وعين مصطفى قائدا للمشور. وطلب السلطان النقود من الحاج بن عيسى الذي لا يستطيع أو لا يريد إعطائها له، ومادام أن الوقت قد صافد تمرد زمور المواليين لمولاي الكبير، فقد اتهم هذا الرجل ( الحاج بن عيسى ) الذي كان مقربا من مولاي عبد الحفيظ كان يساند هؤلاء، فاعتقل ( 19 ماي 1910 )، وصودرت أملاكه، وأخذت إحدى نسائه : لالة التول وعنت لتعترف بمكان وجود مال العائلة لكنها لم تكن تعلم شيئا، ولاتستطيع الإخبار بمكان وجود نقود زوجها.

وبهذا أصبح سي مصطفى بن يعيش قائد المشور.

أما ابن عيسى فقد أطلق سراحه بتدخل من الوزير الفرنسي M. Regnault وذهب إلى مراكش.

وبدأ أحداث الفتنة والإضطرابات. كان باشا فاس هو الحاج المقرري. وعوض سي محمد البغدادى الذي عينته فرنسا، لكن كان كل هذا في بداية عهد مولاي عبد الحفيظ، أما باشا فاس فكان هو سي عبد الرحمان بن عبد الصدوق الذي عزل وعوض سي الحسين بن موحى أحمو الزياتي، أخ لالة رابعة زوج مولاي عبد الحفيظ التي سبق أن أهديت إلى مولاي الحسن الذي كان يردها زوجة مولاي عبد العزيز، لكن هذا الأخير كان يفضل كما تعلم، الشركسيات، وتركها في مراكش، وتزوجها مولاي عبد الحفيظ ليضم إليه قوة زيان، فاستطاع الوصول إلى فاس مرورا بأرض زيان، وكان على رأس الحملة بنت موحى أحمو أقوى قائد في بلاد خنيفرة، وطيلة الطريق لم تعرف الحملة أي عرقلة أو مشكل وأخذ ولد موحى أحمو في مزاوله مهامه لم يكن رجلا يعرف القراءة والكتابة، ولكن كان بربريا قويا ذا ألفة يحب كثيرا الخيول ورائحة البارود من أجل البقاء في منصب باشا فاس البالي، فذهب يوما إلى أهاليه بالجبل بعدما نودي عليه، وعوضه عبد الكريم ولد با محمد الشركي الذي ألقى القبض على بوحماره.

وكان وزير الشؤون الخارجية ( وزير البحر ) هو سي عيسى بن عمر قائد عبدة، عوض ( في غشت 1910 ) بالحاج محمد المقرري الذي أصبح فيما بعد الوزير الأول عندما رجع سي المدني إلى قصبة تلوات ( دجنبر 1911 )، ومنذ وصوله إلى سنة 1910 كان سي الحاج المقرري هو أمين الأمداء، مكان الشيخ التازي ومكان أمين الشكارة سي الطيب المقرري.

وأرسل الحاج عمر التازي إلى موكادور (الصويرة) بعد هزيمة مولاي عبد العزيز، وفي الوقت الذي اتجه عديد من اتباع السلطان المخلوع إلى الدار البيضاء، لطلب اللجوء من الفرنسيين، أخذ بعضهم شيئا فشيئا الطريق نحو فاس، وعندما هدأت الأوضاع أصبحوا يبحثون عن مزاوله مهمة ما في المخزن الجديد، لكن أفهم الحاج عمر التازي أنه لا مكان له

قرب السلطان، حاصلة أُل الوزير الأول سي المدني الكلاوي قد شغل منزله بفاس وأصبح ملكه، وهذا سبب آخر لكي لا يذهب إلى فاس.

وهذا كل ما يتعلق بالنسبة لخزن مولاي عبد الحفيظ<sup>(24)</sup>.

### آخر أحداث مغرب ما قبل الحماية

لقد انتهت روايتي ولم يعد لي ما أقوله لك، فالمغرب « القديم » سوف يختفي، وما يقع الآن مثبت عندك في كتبك، وكنت طول هذه لمدة حليمة « لطابور عسكر العبيد، وكان علي اللقاء حوار السلطان بفاس، فقد أعيد تنظيم الطواوير، كما قلت لك، وأصبح لكل طابور ضابط فرنسي، وكان هناك أيضا أنجيزيان للخيالة، تعرف منهما Bolding، ضمن الحرس الأسود للسلطان.

فهل كانت هناك حملات في هذه الأثناء؟ أبدا، لم تكن هناك أي مواجهات، ولم يعد السلطان يعول في تدخلاته سوى على أفواجه النظامية. وكانت قبائل الخزن قد تمردت لأنهم لم ترد أداء الضرائب ولاحظ آخرون بأن مولاي عبد الحفيظ لم يلتزم بالشروط التي أقرها العلماء، وأنه يتصرف مثل مولاي عبد العزيز، حيث يعتمد على المسيحيين، فتزايد عدد المتمردين يوم بعد الآخر، وانتشروا في الأسواق وأصبحت الطرق خطيرة كالسابق، فهم يهربون في سبطان جديد. ولم يعد نعرف ماذا نريد فكثير النهب والقتل، وكان أدنى رد فعل من مولاي عبد الحفيظ سيثعل فتيل السية.

وكان أول من تمرد : بني احسن وجباله لأن مولاي عبد الحفيظ كان يريد أن يسلم قشتالة وبني زروال، وبني مسكيدة وبني وريغل إلى قائدي أولاد جامع وشراكة، وقد استنجدت هذه القبائل سوحمارة، وكان يحاول أن يقبض عليهم بهذه الطريقة. فاتجهت نحو أمكنة المحلة بقيادة القائد دقة بوبرين، والشريف مولاي يوسف، وكان في فاس سوء تواصل بين السلطان وورثائه من جهة، وبين الورراء فيما بينهم من جهة أخرى : الوزير الأول سي المدني ضد المتوكي وورير الشكايات الذي عوض بن كبور، ولم يعد للمخزن سلطة كبيرة، فكل القبائل قد تنكرت له باستثناء بعض بني وارين والحياينة، وتعلم أن هؤلاء الناس كورق الشجر في مهب الريح وكان الشراردة وبني مطير وكروان وزمور وازعير ومجاط صامدون أمامه، فإذا أراد السلطان أن يذهب إلى الحوز كما قال فإنه لا بد أن يوجههم في الطريق، ويخصعهم على التوالي، فكانت محلة بفاس لإخضاع الشراردة، وأريد أن أقول أن المحنة كانت في كمل استعدادهم، لأنه لم تكن هناك وحدات القبائل فكان الطاميون يكوون حوالي 2000 رجل.

فاصبقت هذه الحملة من فاس ( يوم 28 فبراير 1911)، بقيادة وزير الحرب سي محمد لعربي س المدني كما كان هناك أيضا بقود سي محمد البغدادي، والمقدم Breumond



والنقيب LeGlay، كما كانت تضم طوابير المشاة ( الخمسة ) في حوالي 1700 إلى 1800 محارب. وطوابير الخيالة (الثلاثة) في 350 فرس وطابور المدفعية، ومجموعة من 80 محارب من الجبل / « جبلي » بقيادة AdjutantPisau، وسرية مدفعية بقيادة المار شال Des logis Guerraz معلومات من اسديرة، وقد كونت هذه الأفواج منظمة على الطريقة الجديدة التي كان يعارضها العلاف، ومادام لم يبق في فاس سوى بعض غير النظاميين مع المدفعية، فقد استدعيت وحدات الحوز التي جمعت بصعوبة لتتجه نحو فاس عبر الرباط ( وصلوا حوالي 12 ابريل).

ووصلت محلة سي محمد العربي إلى بلاد الشراردة، وهزمت المتمردين دون صعوبة كبيرة بسوق سبت الشراردة ( 3 مارس )، وتابعت مسيرها أماما في اتجاه معسكر العدو سي محمد بن يعقوب، حين شنت المدفعية المتمردين، وطوردوا إلى جبل سلفات (7 مارس)، وعسكرت الأفواج الشريفة، بعد حسن صنعها بدار القائد حفيظ حيث جاءت القبائل المنهزمة لإعلان طاعتها، وبقت هنا مدة شهر إلى أن استدعيت بصفة استعجالية إلى فاس حيث الوضعية أصبحت صعبة بعض الشيء.

وفي الوقت الذي كانت فيه هذه القوات المهمة في بلاد الشراردة، علم السطان بأن كروان ويني مطير يتجهون نحو مكناس، فبعث ضدهم بعض الجنود الذين تبقوا عنده (اسديرة)، لكن هذه الحملة لم تقم بأي شيء فكان أفرادها يبيعون الرصاص مقلدين قوادهم. وبمجرد رؤيتهم العدو تراجعوا دون أن يحاربوا، وطردت إلى حدود نزالة فرجي آخر محطة قبل فاس. وفقدت حوالي 30 قتيل وكثيرا من الجرحى (27 مارس).

وقد شجعت هذه الهزيمة البرابر، الذين يستعدون لمحصرة فاس، فقد علموا أنه لم يعد مع السطان أحد، وأنه محتار في أمره، فكتب إلى الرحامنة وقبائل الحوز طالبا منهم النجدة، وأنهم إذا بعثوا له بالرجال سيغفهم مدة خمس سنوات. لكن لم يستجب لطلبه.

وهاهي بعض أفواج البرابر أخذت تقلق ضواحي فاس القريبة، فكانوا يرون بالبرج الجنوبي ودار الدباغ، وهي في ملكية السلطان جنوب المدينة، ولم يتفرقوا إلا بعد قصف المدافع. وقد كانت كل الطرق المؤدية إلى فاس مقطوعة ومحروسة، وأصبح التزود بالمؤن صعبا، فأخذ الفاسيون يحتجون في بيوتهم، وطلب من محلة الشراردة الإلتحاق بفاس، ومن الحرال Moinier أن يبعث محلة الحوز الموجودة حاليا بالرباط، وأخذ حركة من 1500 رجل من قبائل الشاوية بقيادة سي محمد الأمراتي.

ونهب بو مطير مكناس وبايعوا بها أخ السلطان مولاي الزين، الذي ما فتى أن كون مخزنه ( 19 ابريل )

وأصبح من الصعب على محنة الشراردة الالتحاق بفاس، لأنه كان عليها أن تحارب يوميا القبائل التي تعرق سيرهم وتنددي بالانتصار خاصة أن الشرفاء تراجعوا إلى فاس، والشراردة وبني احسن خلفهم، ولوداية وشركة وأولاد حامع يقفون أمامها

فالتنمرد على أشده، والبلاد في فوضى حقيقية، وكانت القبائل المتمردة معسكرة براس الماء ( الشراردة وبني مطير وزرهانة ) وسيدي احمد البرنوصي شركة والوداية وأولاد حامع ) وعضواحي سيدي حرازم ( بني وارين وغيانة ) وغير بعيد من دار الدبيغ ( آيت يوسي )، وكان لهم نفس قنن العمليات الذي يعطيهم الأوامر بالدخول إلى المدينة، كل واحدة حسب موقعها

ولم يبق مع السلطان إلا بعض الحياية، وبعض فرق بني وارين، وناداهم السلطان من جديد للإضبط والتعقير بواسطة سي محمد بوشندة الورياني، لكن هؤلاء الرجال لم يكونوا يرجعون إلا لأخذ الأسلحة والبقود، حيث كان يعطي 20 فرنك يوميا لكل فارس، وأصبحت مصريف الحرب أكثر إرهاقا للمحرنية. والوضعية بفاس أصبحت أكثر خطورة : فتدخلت المواد الغذائية، وارتفعت الأسعار كثيرا، وأصبحت العصابات تتردد على الطرقات، كما أن وضعية الأروبيين الذين يريد الرحلة طردهم، أقل أمانا.

ولكي يبعد مولاي عبد الحفيظ عنه الخطر، خاصة أن دوي الرصاص وصل إلى دار المحزن، فإنه صلب مساندة الحكومة الفرنسية ( 4 ماي ) بينما أرسل الإنسان 10000 جندي إلى ضواحي ستة، والألمان يريدون التمرركز سوس فأنت تعرف البقية ولست أدري لماذا تريد أن أحكي لك بعد ذلك؟

وكان يتحرك مع المحنة التي جمعها الأمراني 2000 من المشاة بقيادة العقيد Brulard، والتحقت بها في لالة بطوقوت دعم بالمهدية مع العقيد Gourand 13 (ماي)، كما وصل أيضا الجيرال Momier مع أفواجه من الدار البيضاء، وانطلق الكل نحو فاس، عبر طريق زكوطه، ووقعت عدة مواجهات لأستطيع وضعها لك. ودخل الفرنسيون فاس يوم 21 ماي 1912

فتنفس لكل الصعداء، ووضح بالسة لكل الفاسيين أن مولاي عبد الحفيظ لم يتحده سوى تدخل الفرنسيين الذين تسمع أوفهم من معسكرهم بدر الدبع.

وعزل السلطان الوريير لأول سي المدني الكلاوي، وعين باشا على مراكش سي ادريس ولد منو الذي عوض سي التهامي الكلاوي ( 26 ماي 1912 ).

وكان على الفرنسيين للاستلاء وتهدة ضواحي فاس أن يقوموا بعدة مواجهات ضد القبائل الثائرة، وقد حصع آيت يوسي ( 18 ماي ) وسومطير، وشركة ( 2 يونيو )، وأدوا

عرامة / خسائر الحرب لكن ثاروا من جديد مادام معسكر الفرنسيين قد هوجم من قبل أيت يوسي وأيت صفروشن، ويني وارين ويني سادن (6 يونيو)، وبعدما أجلى الفرنسيون الخطر عن معسكرهم أرسلوا حملة إلى صفرو، وأخرى إلى مكناس (بومطير وكروان) حيث استقبل الجنرال Moinier مولاي الزين مستسلما خائفا هو والقبائل التي بايعته.

وطل المدني (الكلاوي)، يراقبه السلطان بعد أن أذن له بالذهاب إلى قصبته بتلوات، وعرض الحاج محمد المقرى.

وأصبح وجود الفرنسيين واضحا، على مستوى تنظيم الجيش وتسيير إدارة القبائل، وتحولت سلطنتها بصفة طبيعية إلى حماية، أما الدول الأخرى فقد كانت تعطي لفرنسا حرية التصرف في كل شيء. شريطة أن تترك أو تسمح لها بالتجارة في المغرب.

ولما تحدى الكل على مولاي عبد الحفيظ، أصبح مضطرا لقبول دعم ومساندة الفرنسيين. وعندما رجع M:Regnault إلى فاس، ومعه نص الاتفاقية (25 مارس 1912) وقعها بعد أيام من التردد.

وعندما انتشر هذا الخبر تمردت القبائل من جديد. وتوثرت الأعصاب بالعاصمة، وتسرب التدمير والفلق إلى أفواج الجنود، فالسلطان الذي بويغ ليقف ضد النصارى قد وقع معهم الاتفاقية، وكان يقال في الأسواق بأن عبد الحفيظ قد باع المغرب نهائيا للفرنسيين الموحدين بفاس، وإلى الإسمان الموجودين بالعرائش والقصر، ونزل يوما المتمردون من قصة الشرادة. وكان جنود الطواير المدمرون من كل الإصلاحات المراد تطبيقها عليهم والتي لا يفهمونها، مدعومين في ذلك من أفراد المخزن القلقون على مصيرهم، وعس قوادهم، قد قتلوا ضباطهم الفرنسيين، وتسلبوا إلى فاس في محاولة لقتل كل الأوروبيين الذين يجدونهم في طريقهم (17 أبريل 1912).

ولم يعد الأمان والهدوء إلى المدينة إلا بعودة حملات مكناس وصفرو وتيفت وأدرك مولاي عبد الحفيظ أنه لم يستطيع أن يبقى على العرش، وعندما وصل الجنرال ليوطى الذي استقبه بفاس (24 ماي) لأخذ الإدارة العامة للشؤون المغربية تنسيق مع السلطان، طلب مولاي عبد الحفيظ الذهاب إلى الرباط تاركا خليفته مولاي يوسف (6 يونيو) بفاس. وصحبه إلى الرباط عسكر العبيد الذي يراد أن يحول إلى حرس شريفى / ملكي : فاتحها إلى مكناس مع الوزير Regnault الذي اتجه إلى طنجة وبالرباط ألح السلطان على ترك السطة / الملك فأعطي تعويضا جيدا، واتجه مع نسائه وعبيده وبعض أخاربه إلى طنجة لينتقم بعدوه القديم المخلوع مولاي عبد العزيز (12 غشت 1912).

ورجع طبور عسكر العبيد إلى فاس، التي بويغ بها السلطان مولاي يوسف بموافقة ليوطى (20 غشت 1912) فماذا وقع عبد ذلك؟

بعد أحداث فاس برر روكي جديد : الشريف سي الحجامي عند جباله حيث جمع محلة ووصل إلى حدود حجرة الكحة وأخذ يقصف فاس، بل إنه دخل زاوية مولاي ادريس، التي أخذ منها عطاء الصريح ليظهر للقدائل أنه دخل فاس فخرج القائد الفرنسي Gourand، بعد أن انصمت إليه قوات القائل من باب الكيسة في اتجاه زلاغ وهزم محلة الحجامي بالحجرة الكحة.

وفي الجنوب دخل ابن ماء العينين الهبة مع محاربين من سوس ودرعة ( 18 غشت 1912 ) في مواجهات الفرنسيين في مراكش، وسجن كل الموجودين بها منهم، لكنه لم يستطع الصمود أمام أفواج Mangin بسيدي بوعثمان.

وكانت هذه هي آخر أنفاس مغرب قديم مات، بكل كل ما قلته لك تاريخ أمس، ويجب أن تعلم أكثر مني أن ذاكرتي ليست جيدة فيما يتعلق بالأحداث الراهنة، عكس ما حدث في عهد مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز لأنني لم أصبح فيها شيئا بعد.

فالطرق، الآن أصبحت معبدة، بدل الطرق الترابية العادية، وحلت القناطر محل المعابر والمرافق، فقد مضى زمن أفواج الجنود المغنين في السهول، زمن « السروت » ( أفواج الخيل ) « زمن القصاره » الكلام غير المنتهي، زمن المحلات، وفي كلمة واحدة أقول : هذه ليست سوى ذكريات خادم قديم مثلي يحكيها بأسى وأسف.

وبهذه الكلمة الحزينة أنهى الحاج سالم العبدى روايته.

# الهوامش

- 1 - البركة 2، 9 من رأس المال والقود، و «العشور» هو العشر من المحاصيل الزراعية.
- 2 - سعيق لأمر بمرض لمعربي (12 يونيو 1904) بما قدره 5، 62 مليون فرنك فرنسي، بصحابة مداحيل ديوانة الدولة (10) وبغائدة 5، مقدم من رابطة البنوك الفرنسية، برئاسة بنك باريس وهولندا.
- 3 - حسب هذه الحكاية فقد توفي الريسولي بأجدير يوم 4 ماي 1925.
- 4 - مكت مريسوسي أبيع أو خمس سنوات بالسجن، وقام بمحاولة فرار فاشلة، ثم أطلق سراحه بتدخل من الحاج محمد اطريرس نائب السلطان بطنجة.
- 5 - حطيف Perdicaris الأمريكي ورييه البريطاني M. Varlry يوم 18 ماي 1904، وأطلق سراحهما يوم 25 يونيو مني. بعد أن استجيب بشروط الريسولي.
- 6 - وصلت السفينتين الحريتين Kleber et Galilée إلى طنجة يوم 30 غشت 1904.
- 7 - تسم مريسوسي مهامه يوم 1 أبريل 1905. حيث أعاد النظام إلى السوق الكبير، مسح إنجازات عصيته، ووحدت طنجة نفسها منحصرة تحت قبضه.
- 8 - عبر القيصر لأسي طنجة يوم 31 مارس 1905، وسط حراسة قوية، وقد جاء على متن الباخرة Hamburg، ومكت بعض استعادت بالموصية الألمانية لكن هذه الزيارة عمت بزيارة أخرى قام بها الوزير الأول Courte de Tattenbach الذي وصل إلى فاس يوم 11 ماي، ودار السلطان ليقيم صد مطاعم الفرنسيين، مما جعل وراء الحزن بقترون عني لستعد قنول عقد مؤتمر دولي (30 ماي).
- 9 - افتتح مؤتمر حرية خضراء أشغاله يوم 15 يناير 1906، وكان المندوبون المغربية في المؤتمر: الحاج محمد اطريري، وسي لحج لمري، وتوصل إلى «اتفاقية عامة» وقعت عليها القوات الكبرى يوم 7 أبريل قدمها الوزير الإصصالي M Malmus، عميد السلك الدبلوماسي إلى مثل السلطان في فاس سنة بعد انعقاده، وقبلها لسلطان بطهير، شريح 18 يونيو 1906.
- 10 - كان عيال M. Charbonnet يوم 17 ماي 1906
- 1 - مد يونيو 1906 وتمرد تافيلالت، كان العبور إلى الأسواق دوي منية تحت نفوذ فرنسا ممنوعا، وأراد قبالة الإصصام إلى هائر بورد، التابعة للقائد الكلاوي، وإلى آبت إيلمان وأهالي دوة لتكوين شبه كونفدرالية بأسحب
- 12 - فقد جاء هـد شريف يظلب العون والسائدة من سلطان المغرب صد الفرنسيين في موريطانيا وتوات، وكست سكه معين سميره قرب الساقية الحمراء، فوق واد دوة واسمه الحقيقي مولاي احمد بن محمد العاضل. (Martin, quatre) 1923 Aclan p 378 siècle d'histoire Marocain). ومن أبنائه مولاي الهية الذي سيلعب دورا هـما فـم بعد (1912)، وعادر ماء العينين فاس في غشت 1906.
- 13 - في أكتوبر 1906، احتلت المدينة بمساعدة أحد أعان المدينة بن ريجان الذي كان قد عزله باشا أصيلا.
- 14 - يتعلق الأمر بمجموعة السفى الحربية للأميرال (Suffreu, Saint-louis Charlemagne)، الراسية أمام طنجة يوم 9 دجنبر 1906.

- 15- يتبعو الأمراء بالصفحة سيدي محمد بوشني أبعد دي، حمدي كبير، شعر منصب باشا من مدة 20 سنة وتوفي عن سن 82 سنة يوم 27 نوفمبر 1932
- 16- وقد نشر البريسولي على أحد 20000 حية سريسي قديمة لألا، لكن مقل حكم المعجزة ولم يبق على حجر سوى دسوى دة 5000 حية للأعسر، وهذه هدية المعجزة لألا لا كما يعتقد مسلم لعبيدي، دي يقول بأن مبالغ مضمونه ثم بعد البريسولي
- 17- بالفعل بعد كبريسوب الإسباب بالعرش مؤلفة البريسولي، لدي اعترفو به « سلطان بنجل (1913) وقد ساعده كل لموصلي المتناهي حرلات (Alfau Marina Jordanana) في حدود 1919، الترخيص دي عوض فيه Berenguer حرل Jordanana لتوفي، دي ألح على حصول حيفة سلطان مولاي المهدي ورفض البريسولي للمتمرد، وبعد صمد شحنة (عس برید) في يوليو، عشت 1919، أحر على اترجح نحو نارروث أمام بقوات لإسبانية الكبيرة، به، فترة لأقويده، وبعد هزيمة نوال عشت 1921 حرل Berenger على التراجع إلى حبل معلم إلى أن استدعي إلى مدريد سنة 1912، وبركه Burguera دي عوض في أمد، مشغلا في خراج بعد لكریم ودخل البريسولي إلى ثرروت، بكنه مرض س Hydronic أخرى له الأطباء لإسباب عمية يوم 12 فبراير 1924، وكاب عبد الكريم الذي مد سفته في ماضف يعود لإسباب قد غفل البريسولي غفر سكهه يوم 27 يناير 1925، لأنه كب يرى فيه صديقا للإسباب، وأرسته إلى فيه بحبر حيث سته في مه ثلاث أشهر بعد ذلك (10 أبريل 1925)
- 18- مولاي شيه عم سلطان وحكمه ديفاللت، وقد حور إليه الدحول في حرب المقدسة مع اسعيد السحاري سنة 1906، فكل شرفه ديفاللت كنو، صمد مولاي عبد العزير ولا فشتت هذه الحافوه حاء سيدي محمد يعرض خدمته على مولاي عبد الحفيظ
- 19- مساء بوطي حائل
- 20- وبعد ثلاثة أشهر من سجن أصغر سرح بوشني أبعد دي وعين بشا على لقصر الكبير مؤقدا
- 21- بوفي مولاي محمد، دي كسب عهده بفضه وبدي عرفه بقصر الربط يعيش طيف مع مولاي يوسف، مهمكا في فراته وشعبه يوم 5 شتنر 946، وفي نفس المرحلة كب مولاي الكبير يعيش مع سره حتى سنة وفاته 1939
- 22- توفي محبوب في يونيو 1946
- 23- راوي في هذا حرة من حكاية (مطردة بوحماره هو بن سديرة)
- 24- كن خراج عمر سري ورر لأمالك الحرة في عهد مولاي يوسف ورير خبرت والدية وشؤون الحرجية واستحدثت في عهد خماية بيقب / ورزن لسيير شؤون أمالك لأهائي (عمر اشري) ووزارة الأخماس والأوقاف لإسلامية (سي حمد خي) وتوفي سي عمر السري بالرباط في 28 يناير 1936
- 26- ملاحظة
- نعم أن مولاي عبد الحفيظ وصل على من سحرة Du'haly، دوس ستغيد شعبي كمتعد (12 عشت 1912)، ومسم ستغيدته بنجر بويحي، دي كب برفقه في لبحره مع M Saint-Aulaire و مقدم Simon
- و كب سؤوه وأولاده وخدمه قد اشعوا نحو دس وذهب استغيد نخوع في رحله نصف رسمه إلى فرنسا فيل أن يتحقق بعدده تعميم أخيه مولاي عبد حبر
- وأثناء حرب لبركو أدية 14-19، قضى بعض أيام سدي على نفقه الأكل الذين كبو يساندوه دائما، وب شنت الحرب وفشت نه جن لألا، قبل لإقامة بريس في Engghien، وأرسل معنه بفضة إلى دس حرب بريس، وتوفي يوم 4 أبريل 1937 عن سن 61 سنة، ودفي في حقو رهيب بريس، كسجد سدي عبد الله إلى حوار أحمه وحيفته مولاي يوسف الذي توفي قده سنة 1927، وسيدني إلى حو. ه أخوه مولاي عبد العزير الذي توفي بطمحة إلى إثر سكة قلبية يوم 10 يونيو 1943
- م سس سكر أباء مولاي حسن، مولاي محمد بيه توفي سنة 1946 ف تصغير ب سيدي محمد المهدي وسيدي محمد مكاسي شواف سنة 1947 و 1948

تم الطبع بمطابع أفريقيا الشرق 2002  
159 مكررة، شارع يعقوب المنصور الدار البيضاء  
الهاتف 022.25.98.13 / 022.25.95.04  
الفاكس 022.44.00.80 / 022.25.29.20





حصريات

**kitabweb-2013.forumsmaroc.com**

# زمن "المحلات" السلطانية

تهدف هذه الترجمة لفت الانتباه إلى مصدر آخر من مصادر الكتابة التاريخية الواصفة لأحداث المغرب خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. إنها الرواية الشفوية التي يمكن اعتمادها أو الاستئناس بها لفهم بعض ما حدث خلال هذه الفترة. ولا يمكننا الادعاء أن ما جاء في هذا الكتاب كله صائب في بابه، لاعتبارات كثيرة أهمها كون لويس أرنو قد تغيب عنه أشياء، أو يزيد أخرى حين سماعه رواية الحاج سالم العبدى البخاري، فضلا عما يمكن أن يصبب ذاكرة الراوي من سهو أو نسيان أو...

ومع هذا كله يبقى كتاب "زمن محلات" مهما جدا للقارئ لتفرد به بآراء وتبعه لدقائق قد لا توجد في مصادر تاريخ هذه الفترة بحكم ملازمته أهم التحركات الحزنية / السلطانية منذ عهد مولاي الحسن الأول إلى بداية عهد الحماية.

ونحن إن نترجم هذا الكتاب نبغي تمكين الباحثين في هذه المرحلة من أخذ فكرة نوعية عن الرواية الشفوية التي قد تساعد في تدقيق كل جديد ومميز، كما يمكنها الإفادة في الفهم والتفسير والتحليل والمقارنة والاقناع".

## المترجم :

محمد ناجي بن عمر

- من مواليد 1966/2/1 بآبن جرير

- أستاذ باحث بكلية الآداب - أكادير

- عضو مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي بكلية الآداب - أكادير

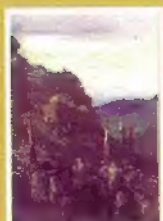
- له :

- مقالات في الأدب واللسانيات (مؤلف مشترك).

- سوس والصحراء المغربية تواصل ثقافي وفكري (مؤلف مشترك)

- عدة مقالات في مجلات وجرائد عربية ومغربية

- مؤلفات قيد الطبع (تحقيق تراث)



لوحة الغلاف للفنان

Jean de la Nézière

ISBN 9981-25-229-8



9 789981 252295